المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد التاسع والسبعين

١ اكتوبر سنة ١٩٣١ — ١٩ جماد اول سنة ١٣٥٠

☆ المذاهب الكونية الجديدة

للسر جيمز جينز

من خطبة القاها في نيويورك على اعضاء الجمعيات العلمية المحتفية به

لقد طلب اليَّ أن أتكلَّم في موضوع ارتقاء العلم في السنوات الاخيرة . فكان لا مندوحة لي عن ان افكر في المقابلة بين العلم اليومَ ، وما كان عليه من خمس وعشرين سنة إذ كنت ادرّسُ في بلادكم . فلنوجه افكارنا الى ما قبل ذلك قليلاً . لنرجع خمسين سنة الى اواسط العهد المادي في حكم الملكة فكتوريا . فنجد أن العلم حينئذٍ لم يشغله تأملُ الكون قَط . ويمكن تشبيه العلم حينئذٍ بطرق تتشعب في جهات مختلفة — فعلم الطبيعة في جهة ، والكيمياء في جهة ، وعلم الفلك في جهة ثالثة ، وهكذا . كانت تنطلق كلها من مركزٍ واحد هو ذواتنا البشرية !

فكنا نحسب البشر المركز الذي يبدأ به كل علم . فعلم الفلك كان يعد قليلاً — وقليلاً جداً بحسب مقاييس الفلك الآن — عن مقرنا في الارض لزيارة ما يجاور سيَّارنا . وكان

علم الطبيعة يحاول ان يكشف مايستطيع كشفه عن الطبيعة والمادة ، ولكنهُ لم يستطع قط أن يصل الى بناء الكون الاساسي . فالدقائق التي كانت تحسب أساساً لبناء المادة ، كانت أصغر من ان يتناولها البحث في تلك الايام ، ولم يكن في استطاعة احد ان يتناول إلاَّ الذرات التي تراها العين البشرية او الآلات المكبرة التي صنعها الانسان . وعلى هذا كانت سائر العلوم

فنتجت من ذلك نتيجة محتومة ، هي النظر الى الكون كشيء يشبهُ الآلة المادية التي نفحصهُ بها . ففي حوادث الحياة اليومية ، كما كانت تدرَّس حينئذٍ ، كنا نعلم ان الاجسام تتحرك اذا دُفعت أو جُرَّت . وأبسط التجارب الطبيعية كانت تجربة نقوم بها بعضلاتنا — كرفع ثقل — فكنا نسلِّم أن كل الاجسام حوالينا تتصرف كأنَّ قوة — شبيهة بقوة عضلاتنا — تجرُّها او تدفعها . وهكذا تصوَّر العالم الطبيعيُّ كوناً ، لا تجد فيهِ أنى اتجهت إلاَّ اجساماً ومواداً ، تتصرف بحسب قوى الدفع والجرّ التي تفعل بها . وبكلمة اخرى كان يتصور الكون ، بناء ميكانيكيًّا لا غير

وتلت ذلك عشر سنوات عجيبة . خمس سنوات في آخر القرن الماضي وخمس في مطلع هذا القرن من ١٨٩٦ — ١٩٠٥ . فاذا حان الوقت لكتابة تاريخ العلم كتابة قائمة على أساس من الاتزان والمشاركة ، وَجَد المؤرخ المحقق ان هذه السنوات العشر لها من المقام العالي ما لا يفوقها فيها أي سنوات عشر أخرى في تاريخ العالم كلهِ . ان المكتشفات التي تمت فيها تضاهي المكتشفات التي بدأت سنة ١٦٠٩ لما صنع غليليو تلسكوبهُ وكشف بهِ عن بناء جديد للسموات ، ومكتشفات تلك السنوات العجيبة التي اولها مباحث نيوتن في كمبردج وذروتها اخراج ناموس الجاذبية ، المعلن ان الكون خاضع لنواميس كونية

هذه السنوات العشر الاخيرة كانت في نظر الرجل العامي عهداً اصبح فيهِ علم الطبيعة من وراء قوة الفهم . فالصور التي كان قد رسمها في ذهنهِ للكون قد زالت وحلت محلها المعادلات الرياضية القاسية الباردة . ولكنها في نظر العلماء كانت شيئاً أعظم من ذلك . انها تمثل العهد الذي اتخذ فيهِ العلم مظهراً جديداً أخاذاً ، إذ اتيح لنا فيهِ ، ان نتأمل الكون على انهُ وحدة ، وبدلاً من ان نحسب العلم طرقاً متشعبة من دائرتنا الضيقة ، بدأنا نحسبهُ طرقاً متجهة الى نقطة مركزية تفضي بنا الى فهم الكون فهماً شاملاً فاسمحوا لي ان اذكركم بالمكتشفات العظيمة التي تمت في هذه السنوات ولم تدرك كل مقتضياتها ومغازيها بعد

في مطلع هذه الحقبة استفرد الالكترون فنجم عن ذلك اكتشافنا انَّ لهُ بناءً شيئاً . وصرنا ننظر اليهِ كأنهُ كون في نفسهِ ، لا مجرَّد ذرة صلبة ورثناها من عهد ديمقريطس ولقريطوس . وفي تلك السنوات نفسها كشف عن فعل الاشعاع ، وهذا الاكتشاف مكننا

من النفوذ الى أسرار الذرة وبناء المادة الكونية الاساسي اكثر من أيّ اكتشاف آخر. ثم لما حلّ القرن العشرون ، أبدعت عبقرية الاستاذ بلانك نظرية المقدار (الكوتم) وحتى الآن لم نصل الى المعاني الفلسفية التي تتضمنها ظاهرة الاشعاع ونظرية المقدار هذه . ولكن الثانية ، قضت الى حين ، على الاقل ، على الجبرية في علم الطبيعة . ولا نستطيع أن نعلم الآن هل الجبرية تعود الى مقامها السابق أم لا ، ولكنها قد رسمت لنا ، على الاقل ، صورة للكون تسيطر عليها قوى غير القوى الميكانيكية الجامدة التي كان يتصورها أسلافنا

ثم في ختام السنوات العشر ، جاء اينشتين بنظرية النسبية . فازالت الركن المادي الذي مضت قرون وهو اساس كل مباحثنا ، وهنا اصبح درس الطبيعة من وراء قوى الفهم في الرجل العامي — ولكنهُ في الوقت نفسه اضحى ذا لذة أخاذة خاصة للعالم والفيلسوف

وفي أثناء هذه السنوات ، كانت ثمة ظاهرة جديدة آخذة في الظهور ، أعني الاشعاع الكوني الذي لم نصل الى قراءته بعدُ . فالأشعة الكونية تأتينا رسلاً من أعماق الفضاء ، ويظهر أن الرسالة التي تحملها ، على ما نستطيع أن نفهمها الآن ، هي أن علمي الطبيعة والكيمياء اللذين ندرسهما على الارض ، انما هما حواشي فقط لموضوعات أوسع لطافاً في الفضاء ، وهذه الاشعة الكونية تحدثنا منبئة بالاحوال السائدة هنالك

كل هذه المباحث التي أشرتُ اليها لماماً ، قائمة على البحث العلمي الذي تناولتهُ طائفة من العلماء الدائبين في عقدٍ واحد . ونحن لم نبدأ في إدراك المغازي التي تتضمنها إلاّ الآن . ورغم ضآلة ما عرفهُ ، يصحُّ أن نقول بأن العلم قد تناول الكون من أقصاه إلى أقصاه ، من اكبر الاجرام المعروفة بالسدم اللولبية ، إلى أصغر الاجسام وأدقها وهي الالكترونات والبروتونات . فنحن نعتقد انهُ لا يوجد جرم كوني أكبر من السدم اللولبية إلاّ الكون نفسهُ ، وليست ثمة ما هو أصغر من الالكترون ، على ما نعلم

في أية جهة تطلعنا لا نجد الاّ مظاهر عجيبة . فنحن نرى اننا لا نستطيع أن نفسر الكون ، في أدق ظاهراته أو أعظمها ، على انهُ شيء ميكانيكي ، كما كان أسلافنا يفعلون في المعهد الفكتوري . تظر في الطرف الواحد فترى أدق الاجسام — الالكترون — ونجد اننا لا نكتفي بأن نحسبهُ ذرة صلبة ، أو شحنة كهربائية ، بل حزمة من الامواج ، على ما يقول الطبيعيون . فاذا شئنا أن نشبههُ بشيء ، وجب ألاّ نشبههُ بجسم مادي ، بل بشيء من قبيل أمواج في البحر ، كمجموعة أمواج تتحرك في طرق خاصة ، وبطريقة حركتها تعيّن مظاهر المادة كما تبدو لنا . فيسأل المادي في الحال — ولكنها أمواج في ماذا ؟ والجواب الذي نجيب به عن هذا السؤال هو قولنا انها أمواج في لاشيء ، لأنهُ لم يبق في العلم شيء

يصح أن يكون وسطاً للتموج. أما وقد زال الاثير بقيل النظرية النسبية فقد زال كل شيء له قدرة على التموّج. والامواج يجب ان تحسب مجرد أمواج رياضية. فهي امواج وصفية! اكثرها ظاهرة مادية. ونحن نستطيع ان نعبر عنها بالمعادلات الرياضية. فاذا حاولنا ان نتجاوز المعادلات لتحديد الامواج بأنها امواج في شيء مادي، افضت بنا المحاولة الى مجموعة من المفارقات والمتناقضات

وما يصحّ على الامواج يصحّ على الكهربائية. فعلينا ان نفكّر بالكهربائية عن سبيل المعادلات الرياضية فقط. قرأت في عدد الاحد الماضي من جريدة نيويورك تيمس نص الخطبة التي ألقاها الاستاذ اينشتين في اكسفورد، موضحاً فيها آراءهُ في طبيعة الكهربائية وهو افضل وصف لهذه الآراء كما نتنظر. ولكنني سألت نفسي وأنا اقرأ « ترى كم قارئ يستطيع ان يفهم هذا الكلام » ؟ لا اجور على احد اذا قلت ان احداً لم يتعلم الرياضيات العالية لا يستطيع ان يفهمهُ. او على الاقل لا يستطيع ان يتابع افكار اينشتين كما يجب وكما تستحق

كنا نحسب كلّ الظاهرات الطبيعية نتيجة لتفاعل القوى. فجاء اينشتين القوة من الطبيعة. فاصبحنا لا نعتقد الآن بوجود ما يدعى قوة. فالذرات الدقيقة، والاجسام الكبيرة: تسير في مسالك، يهيّئها لها شيء آخر غير القوى المتفاعلة. وما يحدّد هذه المسالك هو تحدّب الفضاء. فاذا سألت ما معنى « تحدّب الفضاء » لم يستطع احدٌ غير الرياضي ان يجيب ومتى أجاب لم يفهم مغزى جوابه الا رياضيٌّ مثلهُ

واذا نظرنا الى الطرف الآخر من الكون، رأينا ان علماء الفلك في السنوات الاخيرة قد كشفوا ان الفضاء اوسع جداً مما كانوا يتصورون. فكنا نحسب المكان في الماضي هو الفضاء الذي يشغلهُ النظام الشمسي وما يجاوره. ولكننا نعلم الآن ان النظام الشمسيّ ليس الا كذرة رمل ازاء كل الرمال على كل شواطئ العالم. وما يصح على الفضاء يصح على الزمان. فكنا نحسب الزمان ممتداً طول التاريخ الانساني وقليلاً وراءه. ولكننا نعلم الآن من امتداد الزمان ما يجعل كل التاريخ البشري لمحة عين. فاذا اخذنا طابع بريد ومثّلنا بسمكه تاريخ الانسان المدوّن، ولصقنا هذا الطابع على ذروة برج كريسلر (وهو اعلى من ألف قدم) لم يكف علوُّ هذا البرج لتمثيل الزمن الفلكي بالنسبة الى التاريخ البشري

ومع ذلك فأبحاث المكتشفات على الدهشة لم يكن سعة المكان العظيمة وامتداد الزمان الطويل، بل ان الزمان والمكان نهائيان من كل جهاتهما. فأنت لا تستطيع ان تمضي في المكان الى الابد. ولا بدّ ان تعود الى حيث بدأنا السير: ولا تستطيع ان تمضي في الزمان الى الابد كذلك. فاذا مضينا في جهة معينة وصلنا الى شيء اسمهُ « البداية » مع اننا لا نعلم ماهو. واذا ذهبنا في الجهة المقابلة فقد نصل الى شيء اسمهُ « النهاية » وان كنا لا نعلم ماهو

ثم ان الرجل الذي لم يتعلم علم الرياضيين لا يستطيع ان يحقق ولا ان يتصور ما يقصد

بالمكان النهائي والزمان النهائي . انهما يبدوان منسجمين في معادلات الرياضي ولكن اذا حاولنا ان نرسم صورة لاحدهما عدنا بخفي حنين . فانهما ليسا اشياء نستطيع تمثيلها تمثيلاً ماديًا في اي شكل من الاشكال

وكل من حاضر في هذه الموضوعات او نشر فيها مقالات يعرف عدد الرسائل التي ترد اليه وخلاصتها ان محصل كلامه قول هراء . يقول الناس ان المكان لا يمكن ان يكون نهائيًا وما وراء الفضاء الا فضاء كذلك . والجواب ان كلّ هؤلاء يحاولون ان يضعوا مثالاً ماديًا لامتداد المكان، وطبيعة المكان لا تؤاتي ذلك. فاذا حسبت المكان صورة رياضية ، او صورة ذهنية على الاقل من غير استعمال الرياضيات ، امكن ان تفهم ما المقصود بالمكان النهائي ثم ان المكان ، كفكر ، او كصورة ذهنية ، بالطريقة التي عالجها اينشتين ، مصدر تنبثق منهُ ظاهرات الجاذبية والكهربائية والقوة . ولكن اذا حاولنا ان نتصوّر المكان كشيء مادي محسوس ، لم نتمكن من الردّ على اعتراضات الناس الذين يتهمونا بالغموض والاضطراب

والصعوبة نفسها تعرض سبيل التفكير إذ نعرض لظاهرة جديدة نعرف « باتساع الكون » . ذلك ان الدم الكبيرة تبدو كأنها آخذة في الابتعاد عنا بسرعات عظيمة مختلفة في كل الجهات . وابسط تعليل لذلك ، وهو تعليل مؤيّد تأييداً رياضيًا ، هو أن المكان او الفضاء ليس نهائيًا فحسب ولكنه في اتساع دائم . فمن يحاول ان يتصوّر هذا القول تصوّراً حسيًا يعترف فوراً بأن الفضاء لا يمكن ان يتسع الا على حساب فضاء وراءهُ . وما زلنا نفكر بطريقة حسيّة فهذا الاعتراض لا يردّ . والردّ الوحيد هو بعدم التفكير في الفضاء تفكيراً ماديًا حسيًا بل يجب حسبانهُ صورة رياضية ، او صورة ذهنية كالصور التي يتناولها العالم الرياضي في كل يوم

وهذه هي الحال في كل مسائل الفلك الكوني . بل وفي فروع علم الطبيعة التي تتناول أدق أجزاء المادة . اننا لا نستطيع ان نرسم الافكار العلمية الجديدة التي تدور حولها في صور مادية ، لانها في الواقع صُوَر تؤاتيها الرموز الرياضية وتقضي عليها مبادىء الهندسة وطرق تسييرهِ . فاذا فكرنا في الكون بأسباب من الرياضة العالية ، والفكر المجرّد ، والصوَر الذهنية ، امكننا فهمهُ ، ولكن اذا تصورناهُ آلة من الآلات او مجموعة من الآلات المنتشرة حولنا في كل جهة في الاثير ، تفعل بتناوب الدفع والجرّ ، تعذّر فهمهُ ، بل وافضى بنا السير ، اذ نتناوله بالبحث والتحليل ، الى مستنقع نرتطم فيه ، بالمتناقضات والمفارقات

هذا موجز للتغيّر الذي اصاب علم الطبيعة في السنوات الاخيرة . اما مغازيه الفلسفية فواسعة النطاق بعيدة الاثر ، وهي مازالت في حاجة الى الاستخراج والايضاح . ولا بدّ أن ينقضي وقت طويل قبلما تقال الكلمة الاخيرة

مبدأ قوة الحياة

في فلسفة برنارد شو

من كهوف التشاؤم الى رحب التفاؤل في مصير الانسان

« يجب ان تعيشوا حتى اذا ما تم كانت
الحياة بل قوة الحياة مدينة لكم »

يبدو لكل من يتتبع أقوال برنارد شو وكتاباته انهُ لا يقتنع بان يكون مؤلفاً مسرحيًّا . ومن الخطإ الفاضح في فهم الرجل أن نحسبهُ كاتب روايات تمثيلية لا غير . فتدكان برنارد شو من نشأته مصلحاً متحمساً . وهذا لا يقتضي عنايتهُ بالفلسفة فقط بل ينطوي على محاولته أن يكون فيلسوفاً . والمرجح ان الذين يحصرون معنى الفلسفة في حدود ضيقة ، ينكرون علينا وضع برنارد شو في مصاف الفلاسفة . وهؤلاء على صواب ان اقتنعنا معهم بان الفلسفة المدرسية هي الفلسفة كلها . ولكن اذا توسعنا في فهم معنى « الفلسفة » على انها كلُّ محاولة لوضع طريقة عملية غرضها ترقية وسائل الحياة فبرنارد شو فيلسوف قحّ

ولا اعلم طريقة لفهم الفلسفة الشاقية (نسبة الى شو) أبلغ من درس مبدإ « قوة الحياة ». ويجدر بنا أن نفهم نشأة هذه الفلسفة قبل تحليل عناصرها . ولقد يكون من أغرب غرائب الاتفاق في الحياة أن تكون فلسفة شو هذه قد بلغت ذروتها في الدرامة التي اجمع النقاد على انها اجل صورة لفنون عبقريته . ونقصد تلك الدرامة العظيمة — بل احدى الدرامات العظيمة النادرة التي انجبها القرن العشرون — « مان وسوپرمان » أي « الانسان وما فوق الانسان ». فالروايات التي تتقدم « مان وسوپرمان » ليست الاّ سلسلة من المحاولات والتجارب. فكأنهُ يحاول بها أن يتعرف الارض التي يسير فيها ويتخير الطريق . لقد مرَّ في طور قلَّد فيه ايبسن ، وخرج منهُ واثقاً ان في فلسفة ابسن — الفائلة باننا لا نعرف طريقاً تفضي بنا الى السعادة، بل ان كل الطرق تبعدنا عنها — شيئاً كثيراً مما يستحق العناية والدرس. على ان شو لم يقنع في حياته قط بموقف متشائم كهذا . وعليه لا بدَّ من ان نتصوَّر تصوُّراً سلسلة افكاره التي حدت به الى كتابة « مان وسوپرمان » . قال : اذا كان الانسان لا يستطيع ان يجد طريقاً تفضي به الى السعادة او ان يجتنب طريقاً توصلهُ الى الشقاء ، فليس أمامهُ الاّ الاعتصام بحبل الشجاعة. ولا بدَّ لهُ من ان يجد طريقاً اخرى . فشو لا يسلّم

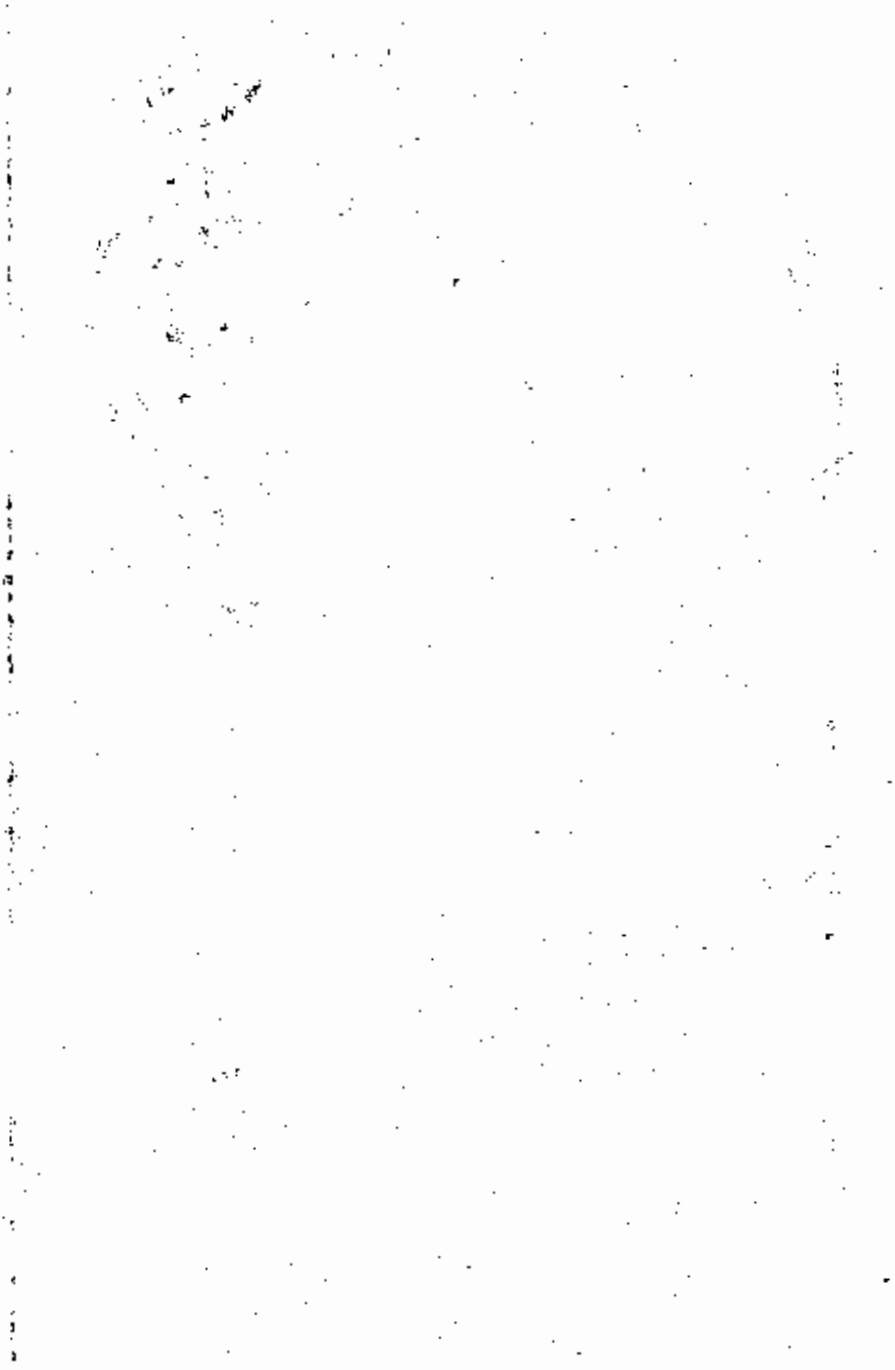

جورج برنارد شو في أحدث صورة لهُ

مقتطف | كنون ١٩٣١ — امام الصفحة ١٣٥

قط بالتحالف مع الفلاسفة الفانطين المتشائمين ، الذين انما عاشوا ليبرهنوا على أن الموت هو النهاية الوحيدة المرجوة للحياة. وهو كذلك لا يرفع صوته ، كما فعل توماس هاردى ، في ساعة قنوطه من الحصول على السعادة ، غاضباً حانقاً على الآلهة . ولكن بدلاً من كل هذا يخطر له فكر طارئ . إذا كان الانسان لا يستطيع أن يجتنب الشقاء ، أو إذا كان لا يستطيع الوصول الى السعادة ، فالحل الوحيد هو الثور على فلسفة معقولة من وراء هذا التشاؤم الظاهر . لابدَّ للانسان من أن ينظر الى المسألة من وجهة أخرى . وعليه ألاَّ يكتفي بالتسليم بتحتم البؤس والشقاء ، عليه ألاَّ يقنع باعتقاد ، يصم في صميمه « العناية » بالجور. ليحسب نفسهُ محاولة واحدة من محاولات الطبيعة . ليتبر انهُ سوف يكون ضحية ترتقي عليها الاجيال المقبلة ، معتبرة باخطائه ، متعلمة الحكمة من شقائه وحقه

وهكذا يمضي شو ، في رفق وخفة لمس ، من تشاؤم لا يفضي الاَّ الى القنوط ، ثم يخلع عن منكبيه معطف ابسن ، فتنفجر فواه المبدعة في درامة « مان وسوبرمان » . في هذه الدرامة ، يلمُّ شو كل خيوط معتقداته الفلسفية ، وينسج منها ثوباً فلسفيًّا ، سداهُ ولحمتهُ ، قوة الحياة

وفلسفة « قوة الحياة » فلسفة معقدة ، يتعذر بسطها في مقال قصير ، إلاَّ بتتبعنا لفصول الرواية ونشوء الفكرة فيها من مشهد الى مشهد ، ومن فصل الى آخر . ومما يجدر بنا الاشارة اليه هنا ، ان شو يعتقد ان المرأة في مسائل الزواج — هي التي تجدُّ في طلب الرجل — وهذا اسلوب برَّاق يقول به شو ان « قوة الحياة » تستخدم المرأة لتخليد النوع . وهذه النظرة هي اساس القصة في الدرامة التي بين ايدينا

والحديث الذي يفضي بشو الى ابداع « فلسفة قوة الحياة » ينشأ من تبرّمه . فها هو ذا ينظر الى الحياة فلا يرضى عما فيها . ففي كل ناحية يرى الحياة تسرف في انفاق الحياة من دون طائل . فهو يرى في الجهة الواحدة ، كلَّ الممكنات العظيمة التي تنطوي عليها طبيعة الانسان — اليس الانسان مخلوقاً في صورة الله ، آلة معقدة ، تملك في صميمها ، القوى الجسدية والعقلية والروحية ، التي لا تحدُّ — وفي ميدان الخيال يلتقي شو بالشاعر ، فينطق بلسانه ... « ما أعجب الانسان » ثم تنتابه الكآبة الشافية لحظة فيقول ... « نعم ولكن ما أكثر اخطاءه »

ولكن اذا كان الانسان كثير الاخطاء ، فماذا نقول في الاله ؟ ماذا نقول في « قوة الحياة » التي خلقت الانسان ؟ ان شو لا يردُّ عن هذين السؤالين . ولكن فلسفة « قوة الحياة » هي ردُّهُ البليغ

ويمكن الشور على خلاصة هذه الفلسفة في الحوار الدائر بين دُن جوان والشيطان .

لدن جوان يسلّم من البدء بان الحياة كفاح ولكنهُ لا يسلّم بان الكفاح مجرَّد من الامل بالنصر. فهي كفاح الغرض منهُ الانتجاء الى فوق. يبدأ قولهُ بان الانسان اكبر أملاً في فهم اغراض الحياة ومرادها، من الوحوش، لانه أذكى منها. خذ مثلاً الاجيال التي كانت في عصرها اضخم من الانسان — الجاثيريوم والاكتيوتورس — وثانيهما كان يستطيع ان يجتاز سبعة فراسخ في قفزة واحدة — ما كان مصيرها؟ انها ليست اكثر من آثار متحجرة في المتحفات. هذه الحيوانات الضخمة الحيارة — بقوتها الجسدية العظيمة — وشهوتها الملحة للحياة — ورغبتها في عمل عمل تكتسب به رضا الحياة — قد بادت كلها ولم يبق منها الا آثار! وما السبب في ذلك؟ ان دن جوان يردُّ على مسائله هذه ردًّا بسيطاً يتصف به عادة المفكر السطحيُّ فيقول: لقد بادت كلها لانها لم تملك ادمغة كافية لتعلمها كيف تعيش. وهكذا قضت هذه الحيوانات على نفسها، سواء شاءت ذلك ام لم تشأ.

هكذا يبدأ الحوار في موضوع «قوة الحياة». وإلى هنا، يستطيع الانسان، بفضل دماغه الكبير وعقله، ان يفهم المغزى ويطبقهُ. ولكننا هنا فقط نجد سرَّ الموقف الذي يقفهُ شو. نسلّم بأن للانسان ذكاء اسمى من ذكاء الحيوانات. ولنسلّم بأن الحيوانات التي كانت قوتها الجسدية اعظم جدًّا من قوة الانسان قد انقرضت. ولنسلّم كذلك بأن قوة الحياة تستعمل الانسان لتجربة تجاربها به، لعلّهُ يتعلم في المستقبل، غاية «قوة الحياة» وهدفها — فاذا سلّمنا بكل ذلك تلنا الى هنا تنتهي فلسفة شو!

كلاّ، هنا تبتدئ فلسفته

ويردُّ الشيطان على دعوى «دن جوان» بأن الانسان أصلح لفهم اغراض الحياة، بسبب دماغه فيقول: إذا صحَّ ان للانسان دماغاً، كما تقول يا دن جوان، فهل هذا الدماغ يعصمهُ من إبادة نوعه، كما فعل فقد الدماغ في الحيوانات الثديية التي أبادت نفسها. تعال معي فأخبرك بما رأيت في رحلتي حديثة الى الارض

هنا نصل الى التهمة التي يوجهها شو الى الطريقة التي يجري عليها الانسان في استخدام عقله، فيشوّه اغراض قوة الحياة تشويهاً

والتهمة الاولى الموجهة الى الانسان لا تقوم على انهُ لا يستعمل عقلهُ، بل تقوم على انهُ يستعملهُ في فن التدمير. في فن الحياة لا يخترع الانسان شيئاً واما في فن الموت فيخترع كل شيء. انهُ يستخدم نبوغهُ للتفنن في إثارة الحروب. ولكنهُ يمتنع عن استخدامه للارتقاء في تصوير الصور وكتابة الكتب وابداع الموسيقى. انهُ لم يرتقِ الا في ميدان التخريب. انهُ لم يتقدم في وسائل التغذية بل هو يأكل ويشرب ما كان يأكلهُ اسلافهُ ويشربونهُ من ألف

هنريك ابسن

١٨٢٨ — ١٩٠٦

شاعر ومؤلف مسرحي نروجي تأثر به شو في مطلع حياته كمؤلف مسرحي

مقتطف أكتوبر ١٩٣١ أمام الصفحة ١٣٧

سنة . ثم يقول شو، وعلى القول مسحة من السخرية، يأكل الانسان ويؤلف ويطرب كما كان اسلافهُ يأكلون ويشربون ويطربون من الف سنة ، ولكنه اذا خرج ليحارب اعداءه، لن يستطيع احدٌ أن يتتبع سرعة ابداعه وارتقائه في بناء ادوات التدمير

وهكذا تتسع رقعة التهمة بأن الانسان يسيء استعمال عقله . ففي المصانع آلات في استطاعة كلب بارع ان يستعملها . آلاتهُ الطابعة ، ودراجاتهُ ، وماكناتهُ — ادوات تنطوي على براعةٍ وإبداع. ولكنهما لا يذكران ازاء الابداع والبراعة، المتجليين في مدفع مكسيم ، وطربيد الغواصة ، والقنبلة الشديدة الانفجار ، والبندقية السريعة الانطلاق

هنا نصل الى المأزق في الدراما ! وإذ يتوقف الشيطان قليلاً في توجيه التهمة يلتفت الى دُن جوان ويقول : ان قوة الحياة التي تفاخر بها — وهذا النشاط العجيب الذي يبدو في اعمال الانسان ،وتلك المبتفقات من دماغهِ ، ماكانت نتيجتها ؟ ليست قوة الحياة الا قوة الموت ، لا اكثر ولا اقلّ . ان الانسان يقيس قوتهُ بمقياس غريب ، ولا يحسبها قوة الا اذا كانت مدمّرة . هنا يتحول التنديد بآلات الانسان المدمرة ، الى بحث نفسي عميق . فيبرهن شو بلسان شيطانهِ ان كل الوسائل التي يقصد بها تحسين النوع ، ليست الا قناعاً لاعمال التدمير . ثم يتمادى في تنديده بالانسان الكثير الاخطاء — بريائه ، وسعيه وراء اغراضه الخاصة ، وامتناعهِ عن الاصغاء الى الدعوة التي توجهها « قوة الحياة » وإصرارهِ على التقدم في دائرة ، وعنادهِ في تجاهل الورطة التي يخنقها بيديه

ولكن ورَ التفاؤل، في الحوار ، ابداً وتر حسّاس . فالانسان لا يزال في طور التجربة

لنعد الآن الى بعض التهم الاخرى الموجهة الى الانسان ! ما دياثة الانسان — يقول الشيطان هي ليست شيئاً قائماً على التسليم بقوة عليا . ولا علاقة لها قط ، برعاية الانسان للانسان. إن هي الا عذرٌ يتذرع به الانسان عن بغضهِ للشيطان . وهكذا يجيب الشيطان نفسه في الحوار فيقول : « ليست دياثة الانسان الا عذراً لكرهي »

وما شرائع الانسان ؟ انها ليست قائمة على الرغبة في العدل . ولا على رغبة في الاصلاح. إن هي الا عذر يمهد للانسان ، التمادي في شهوتهِ للتدمير . فالانسان يطلق الانسان ثم يأتي بالشرائع لتسويغ ما فعل . وهكذا يمضي الشيطان في توجيه التهم . فلم يبق للانسان شيئاً يرتكز عليه . ما آدابهُ ؟ نظام من القواعد غرضها المحافظة على اللياقة الاجتماعية . وما فنهُ ؟ عذرٌ للتمتع بالتحديق الى صور القبح !

الى هنا ، يبدو لنا ان شو راسخ الاعتقاد بأن الانسان قد احلّ قوة الموت محلّ قوة الحياة ، وانهُ يرى الانسان منفقاً كل قواه في عبادة الموت ، مريقاً قوى الحياة ،لا دمعة ولا

حسرة عليها . وفي خطاب الشيطان فكرة بسيطة ، ولكنها بليغة في وصف هذا الميل ، نتناولها فيما يلي ، لا لما تنطوي عليها من المشكلة الاجتماعية ، ولكن لأن الحادثة في نظر شو ، هي منتهى ما ينتظر من عبادتنا للموت ، بدلاً من عبادتنا للحياة ، يقول الشيطان : —

رأيت رجلاً يموت . كان بناء طويل لديه ذاسعة أولاد . فترك سبعة عشر جنيهاً موفرة في ناديه . فأنفقتها زوجته كلها في مأتمه ، ثم ذهبت مع أولادها الى ملجأ . ما كانت تنفق بسبع بنسات على تعليم أطفالها . فحكم عليها ان تعلمهم تعليماً مجانياً . ولكنها انفقت كل ما تملك على الموت . ان خيال — هؤلاء الناس ، ليلتهب ، وقواهم لتنشط عند التفكير بالموت — انهم مجبولة . وما هو اشد نظاعة من ذلك ، انهم يسرون به

فكيف التفت الى حياة الانسان وجدت تمجيداً للموت والتدمير . خذ مثلاً الآداب . فأكمن الاساليب الفنية في آداب الامم هي المأساة ، الرواية التي يقتل كل شخص في نهايتها . وقد بلغ من شدة تهافتنا على تقدير عظمة الانسان اننا اصبحنا في خطر من حسبان قدرته على التدمير مثال العظمة المجيد . ماذا نقرأ في الاسفار القديمة ؟ نقرأ عن زلازل وأعاصير واوبئة ، ومنها نخرج بقوة الله وعظمته ، وضعف الانسان وحقارته . اما الآن فاننا نقف على نقيض هذا . نرى جماعة من الناس تفتك بغيرها وتدمر بلادها . فنستنتج ان الفاتحين المنتصرين عظام ، وان المغلوبين المقهورين حقيرون

الى حدّ هنا قدمنا امثلة من البراهين والتهم التي انهال بها الشيطان على دن جوان ، مبيناً ان القوة المسيطرة على الارض ليست قوة الحياة بل قوة الموت . وهكذا نصل الى ذروة الاتهام ، اذ يقول انهُ لما عجزت الطبيعة عن استنباط وسائل وادوات كافية للتدمير ، استعملت الانسان حليفاً لها ، وجعلته يستنبط هذه الادوات

هذا هي دعوى الشيطان . وهي مزعزعة للانسانية ، ولكنها ليست حكماً نهائياً . فان شو ، بالبراعة التي يتصف بها كل محاور ماهر ، يصور الصورة بأتم الالوان ، حتى اذا بدا طيف التفاؤل بدا لامعاً براقاً . فاما اذا سلمنا ان الانسان قد اساء فهم اغراض الحياة افظع اساءة ، فليس ثمة سبب للقنوط . إذ لا نهاية للتجارب التي تجربها الحياة بالانسان

وإذ ينتهي الشيطان من كلامه ينقدم « دن جوان » للدفاع فيقول : لا يسأ الانسان بكل ضروب التهجم التي تنهال عليه ، ما دام لا يدعي « حياداً » . وبالتغلب على « الحين » يبدأ الانسان يرى قبساً من غرض الحياة الصحيح . والانسان لن يتغلب على الخوف ، الاّ إذ تصوّر انهُ يكافح في سبيل غرض كوني — اي متى تحقق ان شخصهُ ليس غرض الحياة النهائي بنفسه ، وانهُ ليس سوى مفسّر لرغبات الحياة . فاذا قلّل من التفكير بنفسه ، اصبح اقدر على

استجلاء ما تريدهُ « قوة الحياة » ان يفعل

وفلسفة قوة الحياة ، التي يقول برنارد شو ، تفضي بنا ، الى الصورة التي يرسمها السوبرمان . ان شو لا يحدد لنا اوصاف السوبرمان . فقد يكون شبيهاً بسوبرمان الفيلسوف نيتشه . ولكن لما كان رجل نيتشه ، غير روحيٍّ في صميمه ، فالراجح انهُ يختلف كلَّ الاختلاف عن رجل شو ، على ما يبدو لنا من صفاته ، في خلال الاحاديث التي تفضي الى خلقه

ولنلخص الآن مبدأ قوة الحياة في فلسفة برنارد شو . ان ميدان الانسان فهم رغبات « قوة الحياة » التي تسيطر عليه وتحكمهُ . وقوة الحياة تجرب التجارب بالانسان ، لانها تريدهُ ان يتعلم بالاختبار ، فهي لا تستعمله استعمال دمية او بوق . ولقوة الحياة مُثُلٌ عليا تحاول ان تحققها ، ولكن الانسان يفشل في تحقيقها مرة واخرى . وبعد تجارب عديدة متوالية يتعلم الحكماء فيدرك رغبات قوة الحياة ، ويخضع لها ، وهكذا يصبح انساناً اعلى في سلم الارتقاء من سلفه — اي انهُ يصبح سوبرمان . وهكذا يصحُّ ان نضع برنارد شو في مصاف الفلاسفة المتفائلين رغم ما يبدو في نقده اللاذع للاجتماع ، لانهُ يعتقد ان الانسان يملك القوة الكافية ، التي تستطيع ان تنشئ منه الرجل المتم لارادة قوة الحياة على الوجه الاكمل

وقد لخصت لدائرة المعارف البريطانية في طبعتها الاخيرة عقيدة برنارد شو المتقدمة فباترجمتهُ :

الانهُ او قوة الحياة قوة غير كاملة تسعى الى الكمال . فلو انها كانت عالمة بكل شيء وقادرة على كل شيء لما صحت بوجود نقائص في خلائقها . كما لا يسمح والد باصابة ابنائه بالامراض اذا كان يستطيع ان يمنع ذلك — وقد شغلت هذه القوة ما مضى من الزمن في محاولتها خلق ادوات تساعدها في سعيها للوغ الكمال . فلما وجدت ان هذه الادوات لا تمكنها من تحقيق الغرض بغيتها . بهذا تستطيع ان تعلل اندثار جبارة العصور الغابرة من الحيوانات . ذلك ان قوة الحياة وجدتها غير قادرة على ادراك غرضها ، وعلى الانفلات من قيود بيئتها وبنائها الجسماني . فخلقت اداة جديدة اسمها الانسان — وهذه الاداة لا تزال في دور التجربة . وعليه يحذر شو الانسان بانهُ اذا خاب في تحقيق غرض قوة الحياة صاغت نوعاً بدلهُ ونبذته كما نبذت « الموت » من قبله . ويلخص هذه العقيدة في قوله « يجب ان نعيشوا حتى اذا تم كانت الحياة ، بل كانت قوة الحياة مدينة لكم »

وقد وُلد جورج برنارد شو في دبلن عاصمة ارلندا في ٢٦ يوليو سنة ١٨٥٦ فبلغ الخامسة والسبعين في الصيف الماضي ومنح جائزة نوبل سنة ١٩٢٦ فوهب قيمة الجائزة فوراً — وهي نحو ٧٠٠٠ جنيه — الى المؤسسة الانكليزية السويدية لتنفقها في اذاعة الادب السويدي — والسويد وطن نوبل صاحب الجوائز المعروفة باسمه — في البلدان الناطقة بالانكليزية

* التجربة التي قضت على الاثير

تجربة ميكلسن — مورلي

وزيدة نسبية اينشتين

١

الاثير بالمعنى العلمي القديم هو ذاك العنصر الذي يملأ الفضاء بأكمله فيتخلل دقائق المادة وينتشر انتشاراً متواصلاً بين الاجرام السماوية ولا يدع فراغاً في هذا الكون الا ويملأه. فافتراض وجود هذا العنصر ينتفي وجود الفراغ المطلق من هذا الكون ويصبح الكون بأجمعه كتلة متلاحمة الاجزاء متراصة البنيان . وهذه الكتلة يملأها نوعان من الموجودات — المادة والاثير — كيفما سرت في هذا الكون فلنا ان تصادف مادة أو أن تكتنفك اثير ولا محل لفراغ ولا لذات ثالثة فيه

والأثير هو مادة في نهاية تركيبه . اي انه يتمتع بجميع خواص المادة بالرغم من اننا لا نشعر به ولا نختبره مباشرة . فله ثقله وكثافته ودقائقه وصلابته ومتانته ومرونته الى آخر ما للمادة المادية من الصفات . وقد اخذ العلماء القدماء يحسبون جميع هذه الخواص من الحقائق العلمية التي تتصل بالاثير فعمّموا له كثافته ومرونته وغيرهما . وهكذا توحدت النظرة العلمية لهذا الكون في المذهب المادي القائل ان الكون في نهاية تركيبه مادي وان السنن والصفات المادية هي السائدة في جميع نواحي هذا الكون

وقد ظن العلماء القدماء الذين ابتدعوا الاثير انهم مضطرون الى افتراض وجوده اضطراراً ، ذلك لعدم امكانهم تعليل ظاهرتين طبيعيتين هامتين الا بافتراضه . وهاتان الظاهرتان هما انتقال النور في هذا الفضاء ونعل الجاذبية بين الاجرام المادية . هاك الشمس تشع نورها فيصلنا بهاتي دقائق وهاكما تجذب الارض إليها فتضطرها الى الدوران حولها بدلاً من ان تتراجع عنها في اعماق الفضاء . كيف جاب النور هذه المسافة الهائلة وكيف تمكنت الشمس من جذب الارض لها على هذا البعد الشاسع ؟ اذن لابد من افتراض وجود وسط خاص تستطيع الشمس ان تبعث فيه قوة نورها وان تجذب الارض بواسطته . ومن هنا نشأ الاثير في التراث العلمي وترعرع

فالاثير اذن ذات علمية ابتدعت للاستجابة الى داعي انتقال النور وامكان فعل الجاذبية ،

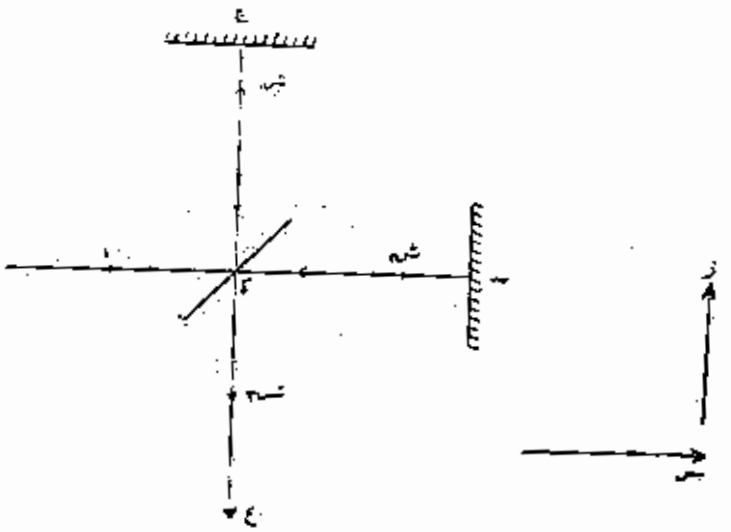

الشكل الثاني

الشكل الثالث

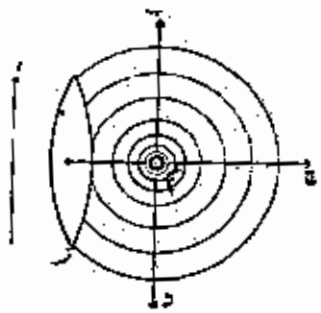

الشكل الأول

ثلاثة أشكال لإيضاح مقالة « التجربة التي قضت على الأثير »

مقتطف اكتوبر ١٩٣١ — امام الصفحة ١٤١

ولولا هاتان الظاهرتان لما كان خطر الاثير يذهن العلماء . وعلى هذا الافتراض يصبح النور مجرّد تموجات ذرات الاثير وتصبح الجاذبية ظاهرة اثيرية كذلك . فالنور ينشأ بحركة دورية خاصة في ذرات المادة، ولكن لما كانت هذه الذرات يحيط بها الاثير المحيط تامة فكل حركة فيها لابد منتقلة الى هذا الاثير الذي يكتنفها وهكذا تصبح حركة الذرات الدورية تموجاً اثيريًّا يشع في الفضاء الاثيري تبعاً لقاعدة رياضية مألوفة لا تتوقف الاّ على مجرّد الضغط الداخلي الحاصل في بحر الاثير وعلى كثافة هذا الاثير

هذه هي الصورة الموجزة التي تمخض عنها النظام النيوتوني عن كيفية انتقال النور في هذا الفضاء . النور تموج اثيري ينشأ في المادة ويشع في الاثير بسرعة تتوقف على خواص هذا الاثير فقط . فبعد أن ينفصل عن المادة ويصبح في الاثير لا يعود للمادة تأثير فيه على الاطلاق ، بل هو ينتشر في هذا الفضاء تبعاً لخواص الاثير الخالصة . وهذه الصورة الذهنية لا تختلف في شيء جوهري عن تموجات الهواء او تموجات سطح مائي ، بل قد استعارها العلماء وركبوها من اختبارهم للتموج في الهواء وفي الماء . فأنت اذا رميت حصاة في بركة ماء أخذت تموجات سطحية تنتشر من المركز الذي سقطت فيه الحصاة الى حدود البركة ، وهذه التموجات المائية تتوقف سرعتها وخواصها ، بعد أن تنفصل عن حركة الحصاة ، على خواص سطح الجسم المائي الذي تحدث فيه

٢

ونستطيع الآن بسهولة ان نتصور كيف يمكننا ان نختبر هذا الاثير اختباراً غير مباشر من مجرّد درسنا كيفية انتقال النور فيه. تصور أنك في زورق في النيل وبيدك قصبة تستطيع ان تمس بها سطح الماء فتحدث بذلك تموجات سطحية . فاذا لمست نقطة على سطح هذا الماء اصبحت هذه النقطة مركزاً تنبعث منه التموجات المائية السطحية في شكل دوائر متحدة المركز وبعد أن تلمس الماء تنفصل التموجات عنك وتستقل في سيرها مهما طرأ عليك من تغير . لأن الماء يكون قد تلقاها وجعلها ظاهرة مائية فقط . وقد يتبسط امامنا هذا الامر اذا وضحناه في رسم بسيط

ندع هذه الصفحة تمثل سطح الماء ونرمز الى الزورق[1] الذي انت فيه بالشكل ز فالنقطة التي تراها في وسط هذا الزورق تمثلك انت والخط الخارج منك الى النقطة م على سطح الماء يمثل القصبة التي في يدك . ونفرض ان الزورق يسير في الاتجاه ا . والآن اذا لمست م بقصبتك اصبحت م مركزاً مستقلاً عنك تنبعث منه التموجات الدائرية المرسومة في أعلى ، وبديهي ان سرعة هذه التموجات بالنسبة لسطح الماء واحدة في جميع جهاته لانا مفترضون ان سطح الماء متجانس التركيب . فتكون السرعة ج في الاتجاه ج معادلة للسرعة ب

(١) انظر الشكل الاول في صنعة الرسوم التي تصحب هذه المقالة

في الاتجاه ب ومعادلة كذلك للسرعة د في الاتجاه د ، هذا اذا قيست هذه السرع الثلاث بالنسبة لسطح الماء . وتستمر هذه السرع ثابتة من حيث مقدارها الكمي بصرف النظر عما قد يطرأ على الزورق بعد توليدها ، فقد تكسى حركة زورقك بعد توليد هذه التموجات فتسيرهُ في الاتجاه د أو قد تسيرهُ في الاتجاه ج او قد توقفه او قد تسرع في تسييره او قد تبطئ بك ، ولكن في جميع هذه الحالات فان التموج الذي احدثتهُ بتحريك صفو الماء يسير بسُرَعِهِ الثابتة بالنسبة لسطح الماء في جميع اتجاهات حركتهِ مستقلاً عنك تمام الاستقلال

ولكن الامر عكس ذلك اذا قست سرعة هذه التموجات بالنسبة اليك ، فان مقدار هذه السرع يتوقف على نسبة حركتي الزورق والتموجات وعلى اتجاه كلٍ من هاتين الحركتين أي انك اذا سرت في الاتجاه ا فانك تجد السرعة د اكبر من السرعة ج وهذه بدورها اكبر من السرعة ب . واذا ادخلت تغيراً على اتجاه سيرك او على مقدار سرعتك فان سرع التموجات الماثية بالنسبة اليك تتغير وفقاً لهذه التغيرات التي ادخلتها . وجميع ذلك مضبوط في علم الرياضيات ضبطاً كاملاً بحيث تستطيع ان تحسب اي سرعة نسبية بينك وبين التموجات الماثية اذا عرفت مقدار سرعة هذه التموجات بالنسبة للماء ايضاً واتجاه كل من هاتين السرعتين

اذا أنعم القارىء النظر قليلاً في العبارة الاخيرة في أعلى يجد اننا اسندنا السرعتين اللتين تناولهما ، اي سرعة الزورق وسرعة التموجات ، الى نظام ثالث مستقل عنهما ، اعني سطح الماء . فوجود هذا النظام ضروري لاتمام معنى كلمة « سرعة » بحد ذاتها . اي انهُ اذا زار الزورق ومن فيه من الوجود تظل للتموجات سرعة خصوصية ويظل لعبارة « سرعة التموجات » معنى علمي معيَّن لا يداخله اي ابهام . وكذلك اذا لم تكن ثمة تموجات اصلاً فان الزورق يتمتع بسرعة كاملة لها تعينها العلمي الكامل . وكل ذلك لامكان اسناد كلتا السرعتين الى نظام ثالث هو سطح الماء كما قلنا

فيكون لدينا إذن ثلاث سرع — سرعة التموجات بالنسبة للماء وسرعة الزورق بالنسبة للماء وسرعة الزورق بالنسبة للتموجات . والسرعة الثالثة هي مركَّب رياضي للسرعتين الاخريين ولم تكن هذه السرعة ممكنة الاَّ لان السرعتين المركَّبتين لها مستندتان الى نفس النظام الثالث اي ان توحيد هاتين السرعتين في سرعة واحدة قائم على وجود النظام الثالث الذي تتفرعان منهُ كلتاهما ، ويكون هذا النظام لذلك نظاماً توحيديًّا

في هذه الحال ، اي في حال وجود نظام توحيدي تتفرَّع عنهُ سرعتان مستقلتان ، تتغير السرعة الثالثة الموَحِّدة اذا طرأ اي تغيُّر على احدى السرعتين المركَّبتين لها . وكذلك تكون قد تغيرت احدى هاتين السرعتين او كلتاهما اذا شاهدنا تغيراً في السرعة النسبية بينهما

وكما ان وجود هذا النظام المستقل يحتم هذه النتائج فان وجود هذه النتائج يثبتا بوجود هذا النظام . اي اننا في حالة عدم تأكدنا من وجود هذا النظام نستطيع ان نجزم بوجوده اذا حصلت معنا هذه النتائج . وبعبارة مختصرة ، إن وجود النظام يحتم وجود هذه النتائج وكذلك وجود هذه النتائج يحتم وجود النظام

في المثل الذي ضربناهُ عن الزورق في النيل ترى بسهولة كيف ان وجود الماء يحتم تغيرات السرع التي وصفناها في أعلى . ولايضاح القضية العكسية ، اي قضية كيف ان وجود هذه التغيرات يحتم وجود الماء ، تصور انك لاتستطيع ان تختبر الماء مباشرة اي انك لاتراه ولا تلمسهُ ولا تستطيع ان تشربهُ ولكنك تستطيع ان تشاهد تموجاته . فالماء بالنسبة لجهازك الاحساسي معدوم ، اما تموجاته فتستطيع ان تشاهدها بحاسة خاصة . انت تسير في هذا الفضاء وهذه التموجات المائية تسير ايضاً ، فاذا غيَّرت احدى هاتين السرعتين واكتشفت ان السرعة النسبية بينهما قد تغيَّرت لذلك فقد حصلت على دلالة قاطعة بان كلتا هاتين السرعتين مسندتان الى وسط مادي ثالث مستقل عنهما وموحِّد لحركتيهما . ويكون اختبارك هذا التغيُّر في السرعة النسبية بمثابة اختبار غير مباشر للماء الذي لاتستطيع اختباره مباشرة فتبرهن بذلك على وجود الماء من مجرَّد دراستك حركة التموجات المائية

هذا ما رمينا اليه عند ما قلنا في أعلى اننا نستطيع بسهولة « ان نختبر هذا الاثير اختباراً غير مباشر من مجرَّد درسنا كيفية انتقال النور فيه » والآن ننتقل من مثلنا الايضاحي الى معالجة الموضوع نفسهُ ، وهو كيف يمكننا اثبات وجود الاثير من دراستنا النور . هذا ما نستطيعهُ بسهولة فائقة اذا اثبتنا ان السرعة النسبية بين النور وجسم مادي تتغيَّر اذا تغيرت سرعة النور في هذا الفضاء او سرعة الجسم المادي او كلتاهما

٣

هذا بالضبط ما اعتزم ميكلسن ومورلى في تجربتهما المشهورة ان يثبتاه . فنشرح اذن هذه التجربة بإسهاب لنرى قيمتها العلمية والنتائج الهامة التي تترتب عليها

١ هي شعاعة نور[٢] تقع على مرآة م نصف عاكسة فتنشق الى شعاعتين احداهما هي الشعاعة المنكوسة ش١ والاخرى هي الشعاعة المكسورة ش٢ . وقد وضعت م بالنسبة لاتجاه ا بحيث تجعل الشعاعتين ش١ و ش٢ متعامدتين احداهما على الاخرى البعض . وقد وضعت في سير هاتين الشعاعتين وعلى بعد واحد من م مرآتان اخريان ، هما ب ، ج ، تردان الشعاعتين الى م ، وهنا عند التقائهما ثانية تكسان عكساً نصفيًّا فتتحد الجزء المنكوس من ش١ مع الجزء المكسور من ش٢ في الشعاعة الاخيرة ش٣ . فاذا سارت كلتا الشعاعتين مسافة واحدة من

(٢) انظر الشكل الثاني في صفحة الرسوم

نقطة افتراقهما الى نقطة التقائهما ثانية ، اي اذا كانت المسافة م ب تعادل المسافة م ج تماماً تاماً ، فانك اذا وضعت عينيك في الوضع ع شاهدتَ الشعاعة ش٢ وهي شعاعة كاملة لا اثر للنقص فيها . اما اذا كانت المسافة م ب تنقص عن ، المسافة م ج ، او تزيد عليها ، بما يعادل نصف موجة النور ، او اي حاصل صحيح لنصف موجة النور ، فان الشعاعتين تكونان قد سارتا منذ انفراجهما الى اتحادهما ثانية مسافتين غير متعادلتين ، فينجم عن ذلك تداخل نوري بين حركة الموجتين ينشأ عنه نظام تداخلي تراه في شكل حلقات متعاقبة من النور والظلمة كما ترى في الشكل الثالث في صفحة الرسوم

ولا مجال هنا لشرح كيفية حصول هذا النظام من تداخل الشعاعتين ، فنكتفي بالقول ان نظاماً كهذا هو ما يشاهده المرء فعلاً

والآن اذا ازحنا ب او ج قليلاً اي اذا غيرنا المسافة م ب او م ج ، تتحرك هذه الحلقات بأن تتقلص شيئاً فشيئاً الى ان تختفي في الوسط المشترك بينها جميعاً وتظهر حلقات جديدة من خارج النظام ، وعدد ما يختفي يعادل عدد من يظهر من الحلقات ومن مقدار تغير م ب او م ج نستطيع ان نحسب عدد الحلقات التي يجب ان تختفي على هذا المنوال . كذلك اذا كنت مشاهداً هذا النظام وطنتت حلقاته تتقلص بغتة فيمكنك ان تكون على يقين ان م ب او م ج شرعت تتغير ، واذا حسبت عدد الحلقات المختفية استطعتَ ان تنبأ عن مقدار تغيُّر مدى هاتين المسافتين

في التجربة التي أجراها ميكلسن ومورلي في سنة ١٨٨٧ جعلت الشعاعة ش٢ موازية لحركة الارض س حول محورها ، اي وضعت ب بحيث تكون المسافة م ب ممتدة شرقاً غرباً فتكون لذلك الشعاعة ش١ ممتدة على اتجاه حركة الارض حول محورها ، اي تكون ممتدة شمالاً جنوباً في الاتجاه ز

دعنا الآن نحلل كيفية سير الشعاعتين في الاثير مستعينين بمثل الزورق وسير الموجات المائية في الماء ، عندما تنفصل الشعاعتان ش١ و ش٢ عن النقطة م تسيران كلتاهما بسرعة واحدة بالنسبة للاثير لانهما موجا اثيري وكفى . والاختلاف في سرعتيهما لا يكون الا باسنادها الى آلة ميكلسن ، اي ان سرعة ش١ بالنسبة لآلة ميكلسن (اي بالنسبة للزورق في مثلنا) هي غير سرعة ش٢ بالنسبة لهذه الآلة ، لان هذه الآلة تسير مع الارض في دورانها حول محورها والشعاعة ش١ ممتدة على هذا السير بينما ش٢ موازية له . ومن هذا الاعتبار ينتج معنا ان سرعة ش٢ بالنسبة لآلة ميكلسن عندما تكون ش٢ سائرة نحو ب هي

ث — س . . . . . (١)

حيث ث تمثل سرعة النور المطلقة في الاثير و س سرعة الارض حول محورها . وعند ما تنعكس ش م عن ب وتعود الى م تصبح سرعتها بالنسبة للآلة

ث + س . . . . . (٢)

اما ش ٢ فلها نفس السرعة في حالة سيرها نحو ج ورجوعها منها لانها في كلتا الحالتين متعامدة على اتجاه سير الآلة . ومقدار هذه السرعة هو

$$\sqrt{ث^2 + س^2} \quad . . . . . (٣)$$

لأنه مركب من سرعتين متعامدتين

ورتب ميكلصن اجزاء الآلة في الاوضاع المرسومة في الشكل الثاني واخذ يشاهد ش م من الوضع ع فارتسم امامه نظام تداخلي ناجم عن تداخل الشعاعين احدهما في الاخرى . وعندها ادار الآلة بكامل اجزائها حول المحور م بحيث اصبحت م ب متعامدة على اتجاه حركة الارض بعد ان كانت موازية لها ، واتخذت م ج وضعاً موازياً لحركة الارض بعد ان كان متعامداً عليها وبهذا التغير في وضع الآلة تغيرت سرعة كل من الشعاعين بالنسبة للآلة ولمبني ميكلصن ، فاصبحت سرعة الواحدة في الوضع السابق هي سرعة الاخرى في الوضع الحالي

ويترتب على هذا التغير في سرعة كل من الشعاعين بالنسبة للآلة تغير في الزمن الذي تستغرقهُ كل من الشعاعين في سيرها من م الى المرآة العاكسة ورجوعها الى م ثانية . ومن السهل ان نبرهن رياضيًّا ان الزمن الذي تستغرقهُ ش ٢ في وضعها الجديد اصغر من الزمن الذي تستغرقهُ ش ١ في وضعها الجديد ولذلك فهو أصغر من الزمن الذي استغرقتهُ ش ٢ في وضعها القديم . اي ان شعاعة من النور في سيرها في اتجاه متعامد على اتجاه حركة الارض تستغرق زمناً اقل مما تستغرق شعاعة اخرى تقطع نفس المسافة في جهة موازية لحركة الارض بشرط ان تنعكس الشعاعتان وتردان الى مصدرهما . هذا هو نفس ما يحدث لسابحين يتسابقان في السباحة من نفس النقطة في النهر . فاذا سار الواحد مع التيار ورجع الى نقطة البداية فانهُ يجد زميله الذي قطع نفس المسافة عرضاً قد رجع الى مركزه الاصلي ، قد سبقه الى هذه النقطة

واذن ، إن لإدارة آلة ميكلصن حول محورها مسافة تسعين درجة ، نتيجة حتمية ، هي تأخير الشعاعة الواحدة في رجوعها الى م وتعجيل الشعاعة الاخرى في هذا الرجوع . وهذا التأخير والتعجيل يؤثر في النظام التداخلي الذي يشاهده ميكلصن ، بان يستلزم تقلص بعض حلقاته واختفاءها في الوسط وظهور حلقات جديدة تتسرب الى النظام

من طرفه الخارجي . هذا لان تباطوء الموجة الواحدة في رجوعها يفضي الى تداخل جديد مع حركة الموجة الثانية التي لم تتباطأ بل بالعكس اسرعت في هذا الرجوع

ولما كنا نعرف مقدار سرعة الارض حول محورها وكذلك نعرف مقدار سرعة النور في الأثير ، ولما كنا نستطيع ان نقيس م ب و م ج قياساً مضبوطاً ونستطيع كذلك ان نقيس طول موجة النور ، فاننا بوضع قيم هذه المقادير في المعادلات الرياضية المناسبة نستطيع ان نحسب كمية التأخير والتعجيل في رجوع الشعاعين وبالتالي مقدار التغير الذي يجب ان يظهر في النظام التداخلي ، اي عدد الحلقات التي يجب ان تتقلص وتختفي

٤

هذا التعليل ليس بمقدور احد ان يعيب عليه في شيء فهو من الوجهة المنطقية كامل بحيث اذا افترضت النظرة التي تمخض عنها النظام النيوتوني فانك سوف الى الوصول الى هذه النتيجة السالفة اذا كان ثمة اثير واذا كان النور موجاً اثيرياً شبيهاً بالموج المائي فانه يحتم على الحلقات التداخلية في تجربة ميكلصن ان تتحرك اذا أديرت الآلة على محورها لتعيين درجة

وقد اجرى ميكلصن هذه التجربة وادار الآلة وحملق جيداً لمشاهدة التغير الذي يجب ان يظهر في الحلقات التداخلية ، ولكنها ظلت ثابتة في مركزها لم تتغير عنه قيد شعرة . واعاد ميكلصن التجربة مئتي وثلاثمائة ورباع ، واعادها غيره ، وفي جميع هذه المحاولات لم يحظ العلم الا بنتيجة سلبية بحتة ، تستثنى من ذلك تجارب ميلر الاميركي التي اسفرت عن بعض النتائج الايجابية والتي استفزت لذلك ميكلصن لاعادة التجربة من جديد ، فاعادها بضبط ودقة يفوقان ما كان ممكناً في آلته الاولى ، فحصل في هذه المرة أيضاً على نتيجة محض سلبية . ولذلك فالعلم الآن يعتبر هذه النتيجة السلبية حقيقة لا شك فيها

قلنا في مستهل هذا الزورق في النيل ان تغير احدى السرعتين بالنسبة لسطح الماء يقضي بتغير في السرعة النسبية بين السرعتين ، واننا نستطيع ان نحتم بوجود نظام ثالث موجود اذا شاهدنا هذا التغير في السرعة النسبية . وهذا القول ينطبق تمام الانطباق على تجربة ميكلصن . فنحن لا نشاهد الأثير ولا نختبره مباشرة ، ولكن اذا اثبتنا ان السرعة النسبية بين موجاته (اي النور) والارض (او آلة ميكلصن) تتغير بتغير سرعة الارض فيه فنستطيع عندئذ ان نجزم بوجوده . وفي تجربة ميكلصن اثبتنا نظرياً ان ادارة الآلة تسعين درجة حول محورها يؤدي حتماً الى تغير في السرعة النسبية بين الآلة وكل من الشعاعين ، وان هذا التغير يعلن عن نفسه بتغير نستطيع ان نشاهده في النظام التداخلي لشعاعي النور . واذن ، بالرغم من اننا لا نستطيع ان نختبر الأثير مباشرة فانه بامكاننا ان

نجتذبهُ الى نطاق خبرتنا بشيء من الحيلة ، وذلك بان نجري تجربة يكلص ونشاهد بأعيننا هذه التغيرات التداخلية ، فهي الرمز الختمي لوجود الاثير

اما التجربة نقد اجريت كما قلنا واعيدت عدة مرات ولم تفلح في كل مرة باثبات وجود اي اثر للتغير في النظام التداخلي المشاهَد . فحيلتنا اذن لاجتذاب الاثير الى حيز خبرتنا قد سقطت ، وبذلك لم يعد الاثير ذاتاً علمية مثبتاً وجودُها بالتجربة والامتحان بل فرضاً مجرداً . وهو لذلك يختلف جدَّ الاختلاف من الوجهة العلمية عن الكهرب مثلاً ، لان الكهرب ، وان كنا لا نستطيع ان نختبره مباشرةً ، فانهُ يمكننا ان نجري تجارب لا تعلَّل نتائجها الا بافتراض وجوده . اما الاثير فقد اجرينا التجربة الوحيدة التي لو نجحت لكنَّا اثبتاً وجوده ، ولكنها مع الاسف فشلت فشلاً مطبقاً

فماذا يتبقى لنا ان نفعل ؟

هناك احد احتمالين : اما ان يكون تعليلُنا النظري للتجربة قبل اجرائها ولنتائجها الحتمية ، خطاء ، او أن يكون الاساس الطبيعي الذي شيَّدنا عليهِ هذا التعليل اساساً لا وجود واقعيٌّ له . اما التعليل النظري فيستطيع اي امرء له المام بسيط بعلمي الرياضيات والطبيعيات ان يرى لنفسهِ ان لا غبار عليهِ البتة . واذن فالاساس الطبيعي الذي نشأ منهُ هذا التعليل هو الذي يجب ان نحوطهُ بالنقد والتشكيك . واذا فعلنا ذلك بهدوء ورزانة واستقلال عن النظرة النيوتونية ، وجدنا ان لا مسوغ البتة لافتراض وجود الاثير بالمعنى العلمي الدقيق ، بل ان ثمة اجماعاً تامًّا لتكران وجوده . وباقصاء الاثير عن الوجود العلمي نجد انفسنا مسوقين الى ترميم البناء النيوتوني باكمله بغيةَ اشادة هيكل جديد نحكم بتقيم والنتائج التجريبية الحديثة

وعماد هذا الهيكل هو ان سرعة الضوء ثابتة طبيعية مطلقة وان وحدات هذا الكون النهائية ليست المادة ولا الاثير بل هي الحوادث الفضائية — الزمنية التي يتداخل بعضها ببعض وتتناسب وتتعاقب . وان الاطلاق في هذا الكون لا يقوم على الفضاء بحد ذاته ولا على الزمن بحدّ ذاته ، بل على اندماج الفضاء والزمن في نظام واحد هو الفضاء — الزمن . وان الغاية المثلى للتعليل العلمي في انسجام المعادلات الرياضية المعلّلة بحيث تنطبق بانسجامها على الحقيقة الواقعية . وان هذا التعليل الحديث ينزع الى توحيد جميع مظاهر الطبيعة في قالب رياضي واحد . فتكون نبضات فؤادك امام من هي موضع حبك ، وانفجار بركان على الجانب الآخر من القمر ، أثرين مختلفين لنفس المعادلة الرياضية

هذه زبدة نسبية اينشتين

شارل مالك

فلسفة السعادة في الحضارة الحديثة

خلاصة كتاب برتراند رسل

بقلم يوسف حنا

لايكاد ينجو عصر من عصور الانسانية من الاعتقاد بأنهُ ينفرد بأكبر قسط من أسباب الشقاء في الحياة ، وبحث اليوم يتناول هذه الاسباب تحليلاً علميًا ، تتبعهُ بآخر في أسباب السعادة ، وكلا البحثين يمثلان خلاصة ما استطعت اقتباسهُ من آراء «برتراند رسل» الفيلسوف الانكليزي في كتابه Conquest of Happinesa

القسم الاول — أسباب الشقاء

١ — ﴿الاشتغال بالنفس﴾ : الاشتغال بالنفس وحصر الانسان إياها ضمن دائرة ذاتيته الفردية يفسد جوَّ الحياة ، كالمصباح حين تضعهُ في غرفة ثم تقفل نوافذها ، فانهُ يفسد الهواء . والانسان المشتغل عن الحياة وما فيها ، بنفسه ، يجد في أقل صدمة يصطدم بها في حياته ، طعنة مقصودة يوجهها اليه القدر المعاند ، المشتغل هو الآخر عن العالم كله بمحاربة هذا الفرد الوهم ، وفي هذا الاعتقاد المغلوط كثير من أسباب شقاء المرء

وأول خطوة في سبيل سعادة المرء هي خروجهُ من سجن ذاتيته واهتمامهُ بالحياة الخارجة عنه — صحيح ان الاهتمام بالعالم الخارجي لا يعني خلو سبيل نفس الفرد من العثرات . ولكن صحيح أيضاً ان أثر العثرات التي يحسها المرء خارج نفسه لا تفسد عليه حركة تلك النفس في صميمها كما يفسدها أثر أقل صدمة يصطدم بها المرء حين يكون حبيس نفسه ، مشغولاً بها عن العالم كله وما فيه — واكبر حرب طاحنة مثلاً لا تعرقل حركة حياتك الداخلية كما يعرقلها فكر بسيط يطرأ عليك باتجاه من سلطان أنانيتك واشتغالك بنفسك عن العالم

٢ — ﴿التنافس﴾ : سل الناس اليوم في اوربا وفي امريكا على الاخص ، عما يشغلهم في الحياة ، يجيبوك فوراً « يشغلنا فيها الكفاح للرزق » والحق ان هذا الجواب غير صحيح — ذلك ان حقيقة ما يسعى اليه الناس هناك هو النجاح لا الرزق — وما اكثر الناس الذين يعيشون حياة يفضلها الموت الف مرة ، بسبب التنافس والتطاحن في سبيل النجاح

والنجاح عند أولئك الناس هو شيء مادي لا يكاد يعدو المال ، فالمال عندهم هو كل شيء في الحياة ، وقد بانت شهوة الاندفاع وراء النجاح المادي مبلغاً خطيراً حقًا حتى ان

المرء يندفع اليوم في ألوان من المضاربات والمغامرات تجعل حياة اصحابها قلقاً مستمراً واضطراباً لا ينقطع له سبب

وليس من ينكر ان الرغبة في النجاح هي عامل خير في حياة الناس ، ولكنني انكر اننا حين نجعل هذه الرغبة عنصر السعادة الوحيد ، نفسد اسباب السعادة . فلتكن شهوة النجاح عنصراً من عناصر السعادة في الحياة ، لا خلاصة كل عناصرها مجتمعة معاً

٣ — ﴿الملل﴾ : والملل لا يعني غياب وسائل السعادة ، وانما هو نتيجة مباشرة لغياب الاسباب التي تثير العاطفة . والميل الى اثارة العاطفة في الانسان غريزة بعيدة الغور في نفسه ، واحسب ان هذه الشهوة كانت تجد كفايتها من الاثارة في العصور الاولى التي كان يقتات فيها الانسان بما يتصيد ، فلما انتقل الانسان الى عصر الزراعة ، اخذت تتضرب اليه اسباب الملل ، ونحن مازلنا نشعر بلذة بعيدة الاثر في النفس حين نخرج للصيد — فاميل الى اثارة العاطفة ظاهرة قوية الوضوح بين الطبع

وكثيراً ما نسمع عن ملل الحياة في هذا العصر الميكانيكي ، ولكننا نرى نحن ان العصر الميكانيكي أزال كثيراً من أسباب ملل الحياة الزراعية . فساعات العمل بين الناس ليست ساعات وحدة وانفراد كساعات المزارعين ، أما ساعات فراغهم فيمكن أن تصرف في كثير من أسباب إثارة العاطفة بفضل الآلة

فأين ساعات الليل المظلمة بالامس الزراعي من ساعات الليل في هذا العصر الميكانيكي

كانت العائلة في الماضي تجتمع ليلاً في غرفة أو في منزل ضئيل النور ليتحدث الأب وليصغي الابناء ، ولم يكن الخروج حتى من شارع الى آخر أمراً ميسوراً في كل وقت بسبب رداءة الطرق وقلة الانوار ، وكانت التقاليد تضغط بشدة على صدور البنين والبنات معاً

أما اليوم فالليل نهار متصل بأخيه النهار الشمسي .... والآلة التي احدثت تلك الثورة الاقتصادية ضربت على قيود الماضي بيد من حديد فخرجت المرأة تسعى وترتزق ، ولم تعد العائلة محصورة ضمن جدران المنزل وانما خرجت الى ميدان فسيح الجوانب بفضل الآلة فهناك دور السينما ، والراديو ، والمراسح ، والمراقص وما الى ذلك مهد سبيلها طرق مرصوفة وسيارات وطيارات ... وشوارع وطرق مضاءة وتقاليد جديدة لا تعرف تزمتاً ولا شبه تزمت

والرغبة في الهروب من الملل ، اذا لم تتوافر أسباب اثارة العاطفة قد تكون سبباً في شرور كثيرة ، فالاندفاع وراء المخدرات وأسباب الخلاعة سببه لشدان الخلاص من الملل وبواعثه

٤ — ﴿الحسد﴾ : الحسد سجية أولية في الانسان ، يبدي الطفل مظاهر قوية منها

قبل أن يتم السنة الاولى من حياته . وليس الحسد شرًّا كله — فالعامل الحيوي في وجود الديمقراطية وازدهارها ، مردُّه الى الحسد والغيرة — وهل ترى ان السواد من الناس كانوا يتطلعون الى المساواة لولا مايحسونه من أسباب الغيرة من الطبقات الاخرى ؟

وآفة الانسان في سجية الحسد اللعينة هي اعتياد المرء أن ينظر الى الحياة نظرة مقارنة ومفاضلة ، فالواحد لا يقنع بما عنده ويسعد به ثم يحاول أن يزيده ، وانما هو يقارن بين مايملك من أسباب السعادة وبين مايملك غيره منها ، فيحسد الغير ويشقى بحسده — والاجدى على الناس ألاّ يتجهوا في حياتهم الى المفاضلة اذا هم نشدوا الهناء وراحة البال

والحسد خدن التنافس ، فالتاجر الصغير مثلاً لا يحسد صاحب الملايين ولكنهُ يحسد التجار أمثاله ، وهذا عصرٌ واسع رقعة التنافس فهو واسع رقعة الحسد أيضاً

ثم ليذكر ان المواصلات العصرية المختلفة وربط انحاء العالم بعضها ببعض ، يشتى الوسائل الاخرى من مثل الصحف ، والسينما ، والراديو ، وما الى ذلك ، تعرض على الناس مختلف الوان الحياة الانسانية عرضاً أخّاذاً يوقد جذوة الحسد . وهل حياة العصر إلاّ تنافس وحسد بين طبقات من الناس وطبقات أخرى ؟ وبين أمم وأخرى ، وشعوب وشعوب ؟ وأعظم مايهدد مدنية العصر هو هذا التنافس الناشئ عن الحسد

٥ — ﴿ التعب ﴾ : من المفيد للجسم أن يجهد بعض الجهد ، ولكن ليس من الفائدة في شيء أن يرهق الجسم بالعمل — وقد كان العمال قبل العصر الميكانيكي الحاضر يرهقون أشد الارهاق ، فلما جاءت الآلة رفعت عنهم كابوس التعب الا أن هذا التعب الزائل حلَّ مكانه تعب آخر لا يقلُّ عن الاول خطراً — وهذا هو تعب الاعصاب وارهاقها

يترك عامل اليوم منزله الى المصنع فتلتقف أذناه أصوات السيارات والترموايات والوابورات وما شئت من جلبة الآلات ، فاذا وصل المصنع استقبلتهُ عاصفة هوجاء من الصخب والضوضاء ترهق الاعصاب شر ارهاق . وهو في هذا كله في قلق نفسي مستمر ، فهناك خشية الطرد ، ولؤم الرؤساء ، وخوف الاصطدام بآلة من الآلات ، كل هذا وأمثاله يثير في نفس العامل شتى الاضطرابات المتفاعلة مما يرهق النفس والاعصاب معاً

هذه هي حياة العمال . أما أصحاب العمل ففي شر آخر ، هم في قلق مستمر من التنافس والمغامرات والمضاربات ، وما قد تؤدي اليه من خراب ودمار

ولكن دعنا من التخصيص ونمال نبحث في حياة اليوم من وجوهها العامة

لا ينكر أن حياة اليوم هي جهاد مستمر في سبيل النجاح وهذا الجهاد العملي المضني معاً ، يفضي الى الاعياء ، ولكن الحق أيضاً ان معظم هذا الاعياء ناشئ عن قلق النفس ،

وليس أجدى على المرء من انتهاج فلسفة صحيحة تجعله متزن التفكير في أعماله متزن النفس، صحيح الحكم على الاشياء.

وهناك عامل خفي شديد الاثر في أسباب وجود التعب في العصر الحالي، هو الحاجة الى ما يثير العاطفة ويشحذها حتى تتذوق أسباب السعادة ودعني أمثل لك على ما أقول: —

ان أحوال الاقتصاد الحاضرة لا تساعد على الزواج المبكر، فاذا جاهد الرجل حتى تمكن من الزواج، كان ذلك وهو في سن الثلاثين أو الاربعين من عمره، وزوجه هي الاخرى تكون قد جاهدت جهاده وبلغت من السن ما بلغه هو، فتجيء حياتهما الزوجية فاترة أشد ما تكون حاجة الى اثارة العاطفة وفي هذا ارهاق مضن للاعصاب

٦ — ﴿فكرة الخطيئة﴾ : ليس من شك في أن فكرة الخطيئة لها أكبر الاثر في سعادة الانسان أو عدمها، وتستند هذه الفكرة من الناحية الدينية الى ما يسمونه الضمير، والضمير عند الناس، مصدر وحي يتعرف به المرء الخير من الشر، ولكن أترى ان العلوم النفسية الحديثة تقبل هذا القول؟ وهل الضمير الا مجموعة المواد التي يتألف منها العقل الباطن؟

ان أقوى نوازع هذا العقل هو الميل الى التستر، فالانسان ما يزال يحتفظ بسجية الاختباء التي كانت أم وسائل دفاعه عن نفسه في عصور حيوانيته، وما تزال هذه السجية قوية الاثر في نفسه

فالرجل لا يشعر بتأنيب الضمير من فعل شنعاء الا اذا افتضح أمره، فاذا تستر الامر فالاغلب انه لا يشعر بشيء من التأنيب أو التبكيت

والضمير لا يوحي لا بخير ولا بشر، وانما هو يفصح عما رسب في العقل الباطن من عادات ونوازع، والخوف من الاصطدام بهذه النوازع أو التساوق معها، هو ما نعرفه نحن باسم الخير والشر. وهذه المواد التي تتألف منها عقولنا الباطنة هي مجموعة ما ترسب فيها من وراثات، وما نكتسبه من البيئة التي ننشأ فيها والتي تكون ضمائرنا؛ فنتوهم نحن ان صوت ضمائرنا هو صوت الله

نخلص من هذا كله بنتيجة خطيرة، هي خلو قوانيننا الاخلاقية من سلطان العقل، والناس يتناولون هذه القوانين غير المعقولة كما يتناولون المخدرات وواجب المرء أن يبتعد عنها

أنا لا أقول بأن يعيش الناس بدون قوانين أخلاقية، ولكني أصر على وجوب اصطناع قوانين من وحي العقل لا من وحي الوراثة والبيئة

٧ — ﴿توهم عداء الناس﴾ : من ألوان الجنون أن يتوهم المرء وجود مطاردين له يقتفون خطاه لايقاع الأذى به، وكثيراً ما تنتهي هذه الاوهام الى ضرورة حفظ المصاب بها في أحد المستشفيات — ولكننا لسنا نبحث في هذه الحالات الشاذة، بل هناك كثيرون

من الناس يعيشون قريبة هذه الاوهام ، فتراهم في كدر مقيم بسببها

أبناء هذه الفئة من الناس يتوهمون انهم يحسنون الى الغير فيسيء اليهم ، يصفونهُ النية والارشاد فيتالم منه الجحود والنكران ، ويبذلون في سبيله كل تضحية ، فيسرف هو في الاساءة والشر ، فهؤلاء يجب أن يذكروا ان كثيراً مما يتخيلون انما هو مرض نفسي تسهل معالجته بقليل من العناية ولصحتي أن يذكروا الامور الآتية :

١ — ليست تضحياتهم التي يتوهمونها مثالاً لنكران النفس في سبيل الغير كما يظنون

٢ — ليجتهدوا في تعرف حقيقتهم . وفي تعرف هذه الحقيقة تخفيف لآلامهم فمنهم من يقدر مواهبهُ مثلاً فوق قدرها ، فيتوهمون ان الغير يسيء اليهم حين لا يعطيهم حقهم من التقدير لتلك المواهب الفذة ...

٣ — ليذكروا ان الناس لهم ما يشغلهم في الحياة غير انتقادهم لنكران تضحيات هؤلاء الافراد والاساءة اليهم

٤ — ليذكروا أيضاً ان الناس ليسوا دائماً على استعداد لقبول كل ما يقدم اليهم من التضحيات والارشاد وما الى ذلك

٨ — ﴿الخوف من الرأي العام﴾ : وهذا آخر ما نبحثه في مقال اليوم ، وهو أدق نقاط بحثنا

قليلون من الناس يستطيعون أن يسعدوا في الحياة اذا تنافرت آراؤهم وتقاليد الوسط أو الجماعة التي يعيشون معها ، ومن أقوى مظاهر العصر الحاضر اختلاف الناس اختلافاً بيّناً في معتقداتهم المدنية والسياسية والدينية وغير ذلك ، واذاً فأسباب عدم السعادة اليوم كثيرة كثرة هذه الاختلافات في المعتقدات ، وتضارب آراء الافراد والجماعات بعضها وبعض

وحضارة اليوم ثقب وثبات واسعة ، لا اثر ان فيها ، وهذا من شأنه أن يوسع رقعة تباين المشارب واختلاف الآراء وتضاربها . وليس أثقل على النفس من التضييق على ما يعتقده المرء انهُ حق

ومن أشد الاخطار الناتجة بين الناس القول بأن العبقرية اذا صح جوهرها فليس يقف في سبيل ظهورها عائق ما ، وان المرء الصحيح النزعة والآراء لابدَّ أن تتغلب نزعتهُ على الرأي العام وتضييقه . هذا خطأ مقيم وكم من عبقري نابغ دفن حيًّا هو وعبقريته دون أن يعرف الناس شيئاً عنه ؟ دفنه في الحياة جهل الناس وغباؤهم . ثم من ذا الذي قال ان العبقري وحده هو المكلف بتحدي الجماهير ؟ أليس الاقرب الى العقل أن تفسح الجماهير المكان لكل فرد من الناس حتى يظهر ما عنده خيراً كان أو شراً ؟ [البقية في باب الاخبار العلمية]

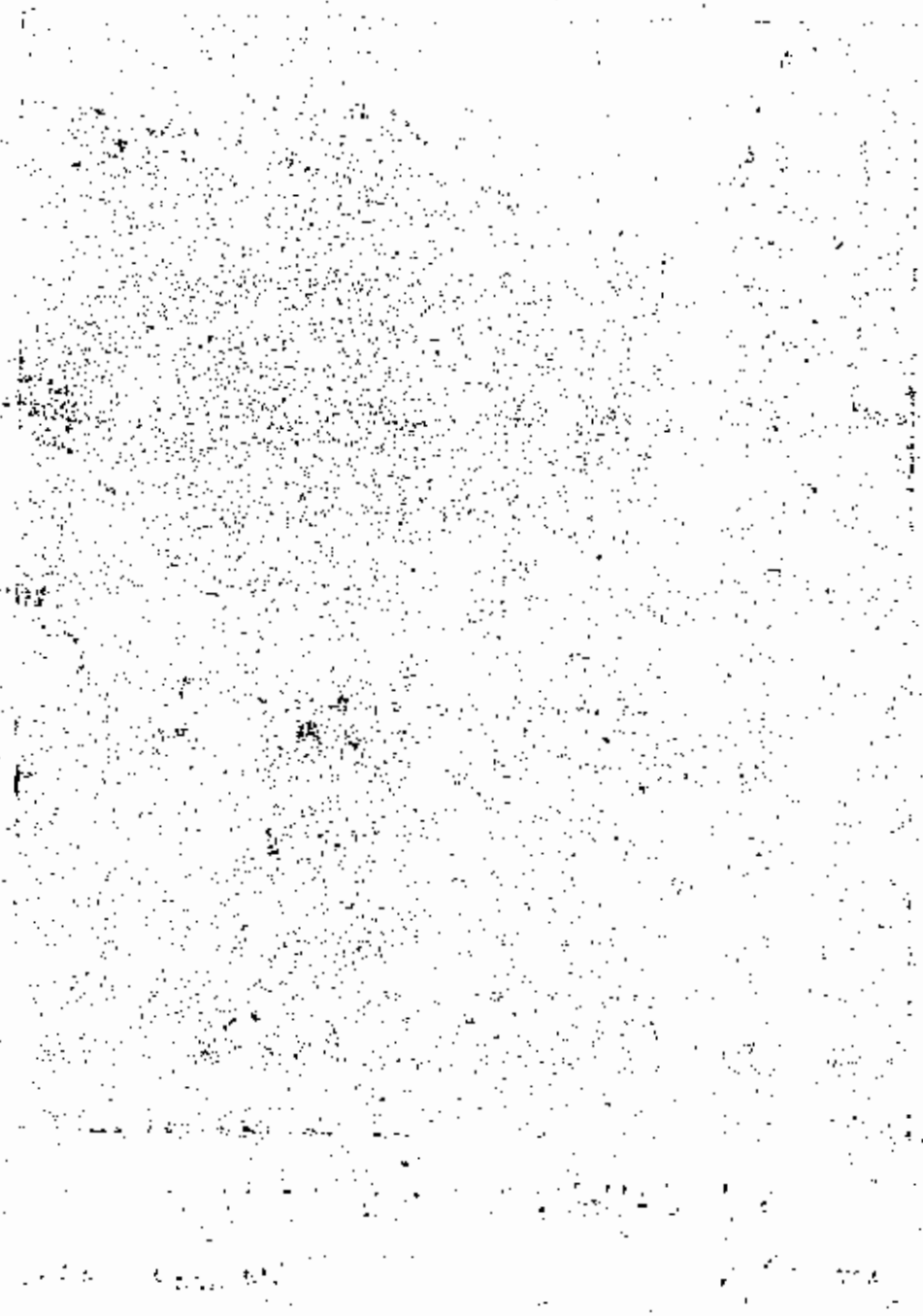

مشهدان في متحف فيلد بشيكاغو يمثلان الحيوانات في مسارحها

مقتطف اكتوبر ١٩٣١

امام الصفحة ١٥٣

وجوب انشاء دار للتاريخ الطبيعي

لغة الطبيعة وأثرها في الخلق الانساني

لاسماعيل مظهر

للطبيعة على الانسان سلطان غير محدود المدى ، ولا مقصور على ناحية خاصة من النواحي التي تتشعب فيها النفس الانسانية. يكفي لان تعتقد بهذا ان تذكر ان الانسان جزء من الارض، وأنهُ من صميم ثراها نشأ وترعرع ، ومن خيراتها عاش وتكاثر، ومن هوائها اتنفس ، ومن انهارها اغتذى ، ومن احجارها شيد ، ومن اشجارها تجُّد ، وفي حزونها ووهادها وتلالها وجبالها ضرب كل مضرب وسار كل مسار ، ومن مشارفها غذى النفس، ومن مناظرها زود الخيال ، ومن حقائقها كون العقل. سلطان موروث بالطبع، لا مكتسب بالمران ، سلطان لا تبالغ اذا قلت أنهُ قطعة من الفطرة، وجزء من الجبلّة ، تراءى للطفل بخياله منذ ان يفتح عينيه لاول مرة على نور هذه الدنيا ، ولا تفارق الانسان خيالاته الاّ عندما يسدل عليه الغضة الاخيرة ، ويخيم الموت على هيكله الترابي

على أن اهل العلم يحاولون اليوم أن يكسروا من حدة ذلك السلطان، سلطان الطبيعة على ابنها البار. يقولون بان الانسان استقوى على الطبيعة وأخضعها ، وأنه ذلّلها وألجمها ، ثم امتطاها. والحقيقة ان الانسان كلما ازداد استقواءً على الطبيعة في ناحية زاد سلطانها عليه، واستبدادها به في نواحٍ اخرى . فاذا كان الانسان قد حبس تيار الكهرباء في سلك محصور في زجاجة مفرغة من الهواء فتوهج ، واذا كان قد امتطى الريح بآلات داخلية الاحتراق تدير محركات تضرب الهواء فترتفع فيه جسماً اثقل منه ، واذا كان قد اسر البخار فمشى به فوق الارض وعلى متن البحار سالكاً سبيلاً ذُللاً ، فان كل هذا وما يجري مجراه من المستكشفات التي استخدم فيها الانسان قوى الطبيعة ، انما تصبح للانسان اسراً جديداً بالتقليد والصفات المكتسبة والمادة التي تصبح على مر الاجيال فطرة. خذ لذلك مثلاً حركة الانتقال من مكان الى مكان . فان الانسان ظلّ قروناً ودهوراً ينتقل من مكان الى آخر مشياً على رجليه ، فلما الّف الحيوان اتخذ منهُ متوناً يسافر عليها ، وظهوراً ينقل عليها متاعه وزاده . فانتقل بذلك من حال اجتماعية الى اخرى . ثم استخدم العربات ثم البخار ثم

الكهرباء . وكان في كل مدرج من هذه المدارج مدفوعاً الى التطبع بما نال من انتصار على الطبيعة والتعود على حالات جديدة، حتى اصبح اسيراً لهذه العادات بل عبداً لمخترعات عقله ، ومستنبطات ادراكه ، ومستحدثات تصوره ، فانتقل بتطور الحالات الاجتماعية من حال الى اخرى يستحيل عليه في الوقت الحاضر ان يرتد عنها أو يرجع بها الى الحالات الاولى التي درج عليها اسلافه الدهور الطوال. ومع هذا يقولون ان الانسان استعلى على الطبيعة ، ولكن الحقيقة انه استخدمها فأسرته ، وعبّدها فاذلته ، وذللها فصفّدته ، وخلقت منه خلقاً جديداً له عاداته التي لم يدرج عليها آباؤه الاولون ، ونزعت به منازع حديثة أحاطته بكثير من القيود الاجتماعية والحيوية ، كان أوائله محرّرون منها ، وعلى قدر ما كان جهلهم بالطبيعة واسرارها ، كانت حالاتهم الاجتماعية ، فكانوا ادنى من الفطرة واقرب لمطالب الحياة الحرة على معناها الاوسع

ثم خذ مثلاً آخر . فان الانقلاب الصناعي ، الذي مني به العالم الحديث ، اذ خرج الانتاج من يد الصانع الى دوي الآلات الميكانيكية قد احدث حالة يدعوها البعض تغلباً على الطبيعة واعتناقاً لها وتسوداً عليها . ذلك في حين أن الآلات افقدت الانسان مهارته الطبيعية ونزلت به من سماء الفن الى اسر الآلات الداوية ليل نهار، حتى لقد اصبح لها عبداً رقيقاً بل يخيل اليك كلما نظرت آلة يخدمها انسان ، أن الانسان قد انقلب آلة ميكانيكية وان ارادته فنت في ارادة الآلة التي يلاحظها ، فكأنه انقلب آلة وانقلبت الآلة انساناً

وكذلك الحال اذا تأملت في الامر من الناحية العقلية الصرفة . فلقد تحرر آباؤنا الاولون من كل شيء في الطبيعة الا حاجات الحياة الاولية من مأكل ومشرب ومأوى واختلاف النسل . ثم تصوّرُ بضعة ارواح تحرك ما حولهم من كائنات. فلم يكن لهم من غرض الا الحياة على صورتها الطبيعية الصرفة ، والا تأليل الظاهرات بخضوعها لارواح او لقوات مما وراء الطبيعة ، تحكم في كل ما يرى حفاقيك من مظاهر الوجود . لم ير الانسان الاول في الطبيعة وجهاً للشكوى الا اذا تعارضت اعاصيرها مع حاجات حياته. اما الآن فان يوماً غائماً او شديد الرياح ، كفيل بان يشغل مئات من مكاتب المحامين ، وبضع عشرات من القضاة في دور العدل . او كساد في السلع او نقص في الثمرات ، فانه زعيم بان ينتج ثورات طاحنة او ثورات مهلكة ، أو حروب تأكل الاخضر واليابس . أو زيادة في رطوبة الجو تؤثر في الاعصاب تأثيراً من شأنه ان يرسل الكثيرين الى محاكم الجنايات ، وبالقليل منهم الى حبال المشانق . كل هذا نتيجة لاتساع افق التصور واستنباط العقل لكثير من خفايا الطبيعة مع عدم التساوي بين الناس في المعرفة . فان الفارق بين الذي يدرك أن الجمرة

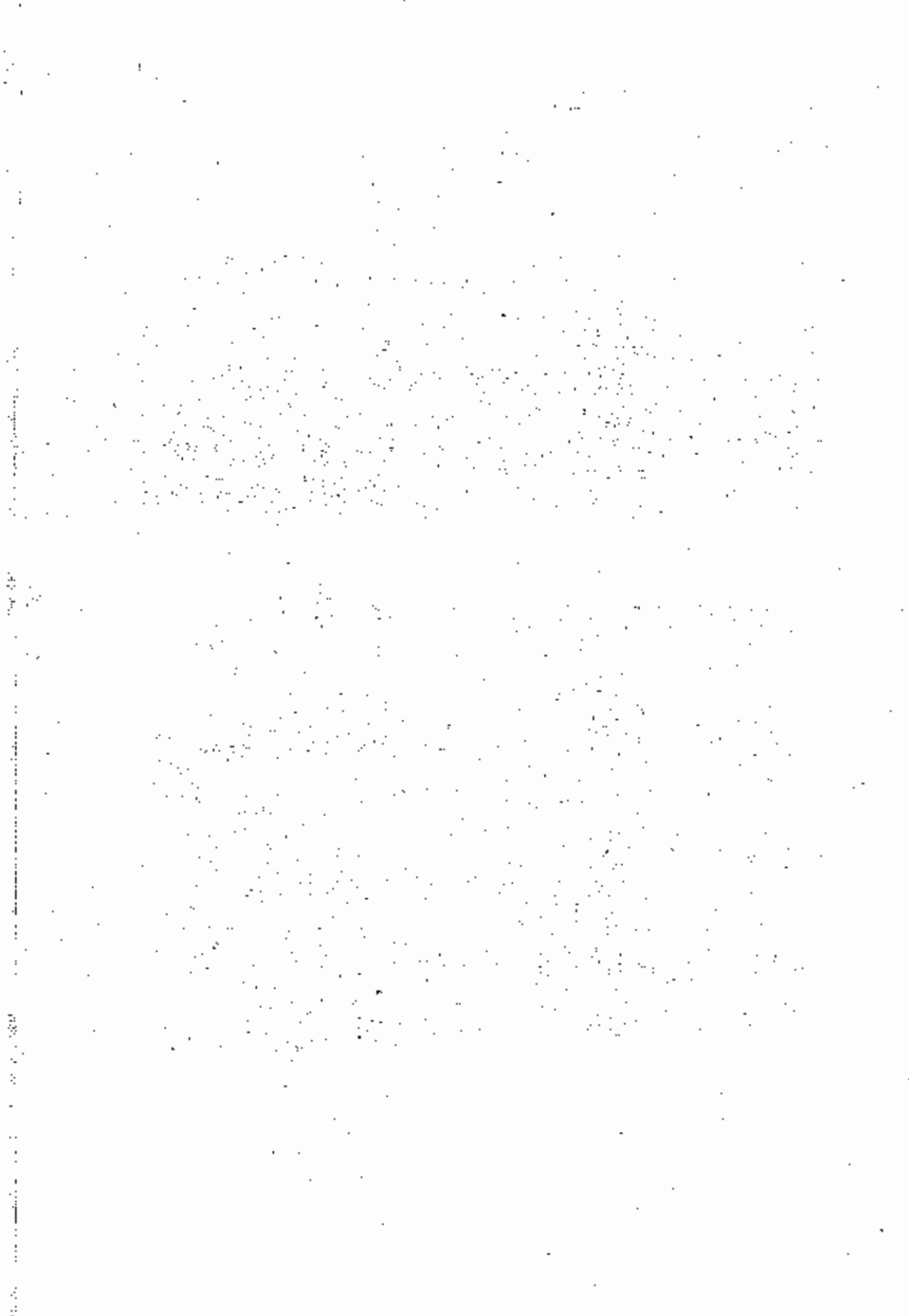

ثور ملايا البري

توران بريان

مشهدان آخران في المتحف الاميركي للتاريخ الطبيعي بنيويورك

مقتطف اكتوبر ١٩٣١ امام الصفحة ١٥٥

بها نجوم تبعد عن ارضنا ملايين السنين النورية ، وبين الفلاح الذي قال لي مرة في يوم صائف ان الشمس لا بد من أن تكون اقرب الى الارض في القاهرة منها في شمال الدلتا ، كبير ، اذا اعتبرت الحالات الاجتماعية التي تلابس الانسان في عصره الحاضر . فان الاول يدرك من المدنية انها نظام موروث تشابكت حلقاته الى درجة التعقيد ، في حين ان الثاني لا يدرك من هذا النظام الا انه نظام خلق مع الارض مذ دارت لاول مرة في فلكها المرسوم . والفوارق التي تباعد بين طبقات المجتمع تخلق حالات يصبح فيها الانسان عبداً للطبيعة ولنظام الاجتماع الخاضع في كل الحالات لعوامل طبيعية يخرج عن طوق الانسان ان يحتكم فيها أو يصرفها في الناحية التي يراها خيراً

لغة الطبيعة

لهذا ترى ان من اكبر الاصفاد التي قوّضت بها الطبيعة حرية الانسان ، تطور عقليته من ناحية ، وتطور نظمه الاجتماعية من ناحية اخرى . فان تطور عقليته نزع به الى حب الجمال ، وتطور نظمه الاجتماعية اوقعه فيما يدعوه الاستاذ ليبر الالماني بالجشع الاجتماعي ، تلك الصفة التي اخضعت كل الفضائل الانسانية لرذيلة واحدة ، هي رذيلة الاستجماع وحب الحطام حتى اصبح المجتمع الانساني اشبه بنظام بدائي تنازعت فيه الميول والشهوات ، بدل ان تتنازع فيه الحاجات الاولية . ولقد يخيل اليك أن معركة التناحر على البقاء التي تقوم بين الاحياء في الطبيعة عفواً وبحكم الضرورات الحيوية وعلى صورة مجازية صرفة ، قد دارت في عالم الاجتماع الانساني خاضعة لقوانين لا ضرورة لها في الحياة ولا حاجة للانسان بها في نظام اكثر من نظامنا الحاضر تمشياً مع المعقول ومع الضرورة . وما السبب في هذا الا ان سواد الناس يجهل لغة الطبيعة او ان الناس جرياً وراء شهواتهم قد وضعوا للطبيعة اسلوباً غير اسلوبها وبلاغة غير بلاغتها ، على قدر ما يرضي في انفسهم شهوة التهالك على الحطام واستجماع ما هم في غير حاجة اليه

لهذا ترى ان المجتمع الانساني اصبح شبيهاً بسجن حيك شبكته من اوهام دنيوية ، خلقها ما يدعوه البعض تسوداً على الطبيعة وامراً لقوانينها . على ان تسوّد الانسان على الطبيعة هو أحد تلك الاوهام التي تحاك منها شبكة السجن الدنيوي . ولو فقه الناس ان للطبيعة لغة يمكن ان تخاطبهم بها في صمت ، او لو انهم عرفوا ان الطبيعة لا تؤسر حتى تأسر ، أنها لا تستعبد حتى تستعبد ، وأنها لا تخضع حتى تُخضع ، لامكن ان يكون للدعوة التي دعى اليها فلاسفة من اصحاب كبار العقول على مدى الايام الخالية ، بعض الاثر في صرف الناس الى

متجه آخر اقرب الى مطالب الحياة لتكون الحياة اقرب الى الحرية ، وادنى الى الجمال الذي تصبو اليه النفس الانسانية كلما ضرب الانسان في مجاهل الطبيعة

يخيَّل الى الذين لم يقرأوا لغة الطبيعة على حقيقتها ان هذا النظام الاجتماعي القائم من حولهم بما فيه من معاهد ونظامات وجيوش وحكومات وسلطات قضائية وتشريعية وادارية ، وبما فيه من منازع ومظاهر وتواسر ، قد خلق مع الطبيعة منذ ان برزت في عالم الوجود على ما هي عليه اليوم . اما لو فقهوا لغة الطبيعة اذن لعرفوا أن هذا النظام خاضع لما ندعوه « ارادة المجتمع الانساني » وتكوَّن من مجموع الظروف التي احاطت بالجماعات الانسانية منذ اول ظهورها على سطح هذا الكوكب في جماعات منظمة ، ومن مجموع النوازع والمشاعر والخيال ، ومن مجموع الانتصارات والهزائم والوان الحب والكراهية ، وفورات الانفعال والشهوة ، واطوار الحرب والسلام ، ومظاهر الاقدام والاحجام ، وعلى الجملة بمجمل ما شعرت به نفوس اولاد آدم وما احاط بهم من عوامل منذ أبعد العصور . وان هذا النظام الاجتماعي يحوي من مختلف الصور ما هو اثر من آثار ما احاط بالشعوب من فعل البيئة والنشأة والوراثة والامتزاج وطبيعة الاقليم وتخطيط الارض الى غير ذلك من المؤثرات التي توحي اليك بها الطبيعة في لغة مفهومة سهلة بعيدة عن ان تكون كناية او مجازاً ، خالية من المحسنات اللفظية ، بعيدة عن الخطابيات التي تستعين بصور البلاغة ، موجزة لا اطناب فيها ، معجزة لا مؤوّل لها

والذين يعجزون عن فهم لغة الطبيعة يظنون ان الانسان خلقٌ وحدهُ وانهُ لا يمت الى الطبيعة بسبب وانهُ سيدها وإنهُ محور الكون وسيد المخلوقات ، الى آخر ما هنالك من مهزلة الخيال الانساني . فاذا فهموا لغة الطبيعة أدركوا ان الانسان احدى هبات الطبيعة لعالم الحياة ، اخرجته بالمشوء من جوفها السحيق انسلالاً على مدى الدهور ، كما ينسل الليل من النهار ، ولكن في فترة مداها ملايين السنين وعلى غير استشعار بما جَمُعَتْ فيه من وراثات وما حبت به جماعاته المتفوقة في الحياة من حظوة الانتصار في معامع التناحر على البقاء ، وبما بَعُثَتْ فيه هذه المعارك المتطاولة من شعور بالحاجة الى التعاون الذي كوَّن هذا المجتمع الانساني ، بما فيه من مختلف الصور ، وبما يحوي من ضروب المعاهد والنظامات

وتوحي اليك لغة الطبيعة بان الارض سيار يدور حول الشمس وانه ثالث السيارات بعداً عنها وان فلكهُ على هذه النسبة من الشمس كان ملائماً لظهور الحياة في صورة حية اخذت تتطوَّر على مدى الايام الطوال فكانت حيوانات رخوة ثم اسماكاً ثم زواحف ثم طيوراً ثم ثدييات برز من خلالها الانسان متربعاً على عرش قسم منها ندعوه الرئيسيات . وان الارض

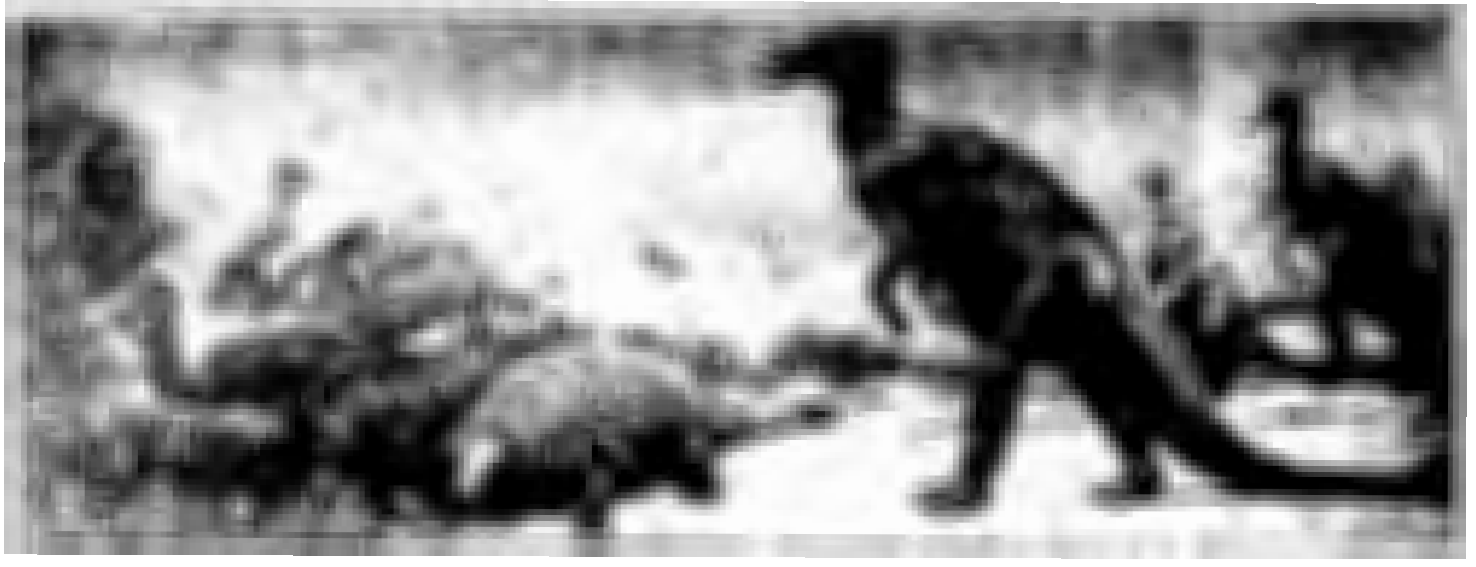

تمثيل حياة الحيوانات المنقرضة

مشهد في دار فيلد للتاريخ الطبيعي بمدينة شيكاغو يمثل حيوانات الدينوسور من العهد الثلاثي. فالحيوان الكبير في اليمين حيوان آكل للنبات يدعى تراخودون . والحيوان المدرّع في الوسط يدعى باليوسينكس . والحيوانات الباقية هي من حيوانات ذلك العهد الغريبة الشكل والاطوار . وقد عنى العلماء بتمثيل حياتها في مشاهد ناطقة يؤيد البحث العلمي كل دقيقة منها

كتلة مشتعلة انفصلت من الشمس مذ كانت سديماً بفعل جذب شديد سببه نجم ضال اقترب من ذلك السديم فامتد منهُ ذراع الى خارج فلك ابعد السيارات المعروفة ، ومن ثم اخذ يدور حول اصله في كرات تكاثفت ، فكان منها جابرة من امثال المشتري وزحل ، وانزام من أمثال عطارد والزهرة والارض والمريخ

ثم توحي اليك بان القشرة المتجمدة من الارض قد تناوبت عليها ادوار وتناوحت من حولها اعاصير كانت مياه الامطار وثورات البراكين وهزات الزلازل وطغيان المياه انهاراً وبحوراً ، بعض عواملها التي جعلت الارض على ما هي عليه الآن

ثم توحي اليك بان ظهور الاحياء على الأرض وانتشارها فوقها قد خضع لمؤثرات تدعوها مؤثرات الاستيطان وزعت الاحياء على الارض توزيعاً جغرافيًّا راجعاً الى حكم الضرورات والمقتضيات التي أحنكت في كل ما برز في الوجود من صور الوجود

وبهذه اللغة السهلة الموجزة تحدثك الطبيعة اذا نظرت الى السماء تستوحي شموسها واقمارها وسياراتها ، او اذا تطلعت الى الارض تستوحي تاريخها العجيب الذي يرجع بك لا الى مدنيات اليونان والرومان ، ولا الى مدنيات مصر وبابل واشور والهند والصين ، بل الى ملايين السنين ، حتى يخيل اليك وانت تستوحي ذلك التاريخ ، انك تستوحي الابد او اللانهاية

والطبيعة في لغتها لا تتكر عليك الدليل ولا تلجأ الى مغالطتك ببرهان منطقي . بل دليلها في يدها وبرهانها في آثارها . دليل قائم وبرهان ناهض . ولذلك كانت لغتها اسهل اللغات على من يدرك كيف يقرؤها ، واشدها استعصاء على من يجهلها ، وبرهانها قريب لمن يستطيع ان يستخلصه من طياتها ، خفي على من يقف العجز به بعيداً عن استخلاصه

كيف نتعلم لغة الطبيعة

لهذا كان جهل الناس بهذه اللغة السهلة الموجزة ، وعجزهم عن ادراك بلاغتها التي تضاءل بجانبها بلاغة الاوضاع الانسانية ، سبباً في أن يصاب المجتمع الانساني بجمود العقل وانحطاط الروح الى درجة صورنا لك فيما قدمنا من الكلام صورة ضئيلة منها . ولكن كيف يمكن ان تتعلم لغة الطبيعة ، وكيف نمهد الناس على ان يقرؤوها سهلة مذللة ، بعيدة عن مكابرات الجدل والسفسطة ، قصية عن أن تحتكم فيها الاوضاع الانسانية ؟ كيف نقرب الناس من الطبيعة ، حتى يعرفوا ان الحياة ليست مجرد تكالب على الحطام ، ولا تهالك على الاستجداء ، وان شر ما تبلى به الجماعات رذيلة المجتمع الاجتماعي ، التي خلقها مجتمع بعُد عن الطبيعة وجهل لغتها وعجز عن استقراء اسرارها ، وتعبد به غلبة الوهم الدنيوي عن الافتتان

بلاغتها ؟ لا سبيل الى هذا الا بأن تجمع لهم الطبيعة في دار تدعوها «متحف التاريخ الطبيعي» لسلسل لهم فيها تاريخ الكون على ما استطاع العلم حتى اليوم ان يدرك من اسراره العميقة

يأخذ الفنان في يده قطعة من الصلصال لا صورة لها ولا شكل ، ولا انطباق لمكانها على صورة من الصور الهندسية التقليدية ، فيضغطها من ناحية ويبعجها من ناحية اخرى ، ثم يمضي في تصويرها رويداً رويداً ، واذا بك ترى امامك تمثالاً رائع الجمال يمثل ناحية من نواحي الحياة او لوناً من الوانها او عاطفة ثائرة او حبًّا كامناً او املاً او بغضاً او حزناً او تأملاً او غير ذلك من الصور التي تستحيل اليها املاح الاحياء وتعبر عنها تقاسيمهم . وعمل المصوّر ريشتهُ وامامهُ لوحة بيضاء يخط عليها خطوطاً تحسبها لاول امرها عبث اطفال او تخطيط لامر يقطع الوقت ضجراً من الوقت . ثم لا تلبث ان ترى اللوحة وقد استحالت بريشته منظراً طبيعيًّا اخّاذاً بالالباب او وجهاً تجري فيه الحياة كما تجري في الاحياء ، وقد برز لك من ثنايا الريشة والخضاب ، ليبث في نفسك باعثاً بينه ويكوّن امام ناظريك حالة تامة من حالات الحياة دفعة واحدة . وما ان تغالط نفسك او تحملها على الانصراف عن ان تستحيل الى الصورة التي تعبر عنها المصورة ، الا وانت مجاهد في سبيل التخلص من اثر المصور في صورته جهاداً لا تخرج منهُ الا مهزوماً ، ولا تفارقه الا وقد ثبتت في نفسك صورة لا تتغير ، لان نفسك استحالت اليها فدمغتها بطابع لا يزول ولا يتحوّل . ويجنح الشاعر منصرفاً الى تأملاته منحدراً تارة الى حضيض اليأس ، طافياً اخرى الى مسابح الامل ومسارح الحياة الانسانية ، يجمع من هنا فكرة ومن هناك خيالاً ، ويطارد ذكريات تؤلمهُ ليستلهم اخريات ترضيه ، حتى اذا تحركت في كيانه الشاعرية وانسجمت في نفسه المعاني فاستبان السبيل ، تدفق منهُ الشعر عقوداً منظومة وخيالاً بهيجاً او طبيعة ناطقة بما تحس النفس الانسانية من مختلف صور الحياة التي تحياها . وعلى هذه الوتيرة يجب ان يجري العالم الطبيعي . فانهُ يجب عليه ان يجمع بين العلم والفنّ والخيال ، ليخرج للناس من الطبيعة صورة تعبر عن الماضي اقوم تعبير ، وليخلق من مجموع العلم والفن والخيال لغة للطبيعة يفهمها العالم ويدرك مناها المتعلم وطالب المعرفة . يجب عليه ان يقيم للطبيعة داراً تحيي بين جدرانها صورة تعبر لنا عن لغة الطبيعة الصامتة ، تلك اللغة التي هي اشبه بلغة الفنان والمصور منوكة في البيان ، في حين انها كلغة الشاعر خفية في المعنى . يجب عليه ان يجمع الاحجار والآثار المستحجرة من اسنان وجماجم واقدام وسلاسل فقارية وفكوك واصلاب واعجاز وزعانف وتروس الى غير ذلك ، ثم يسل في مجموع هذه عصي العلم لا عصى السحر

[يتبعها في باب الاخبار العلمية]

قبل الزلزال

ربّاهُ عفوك ، إني كافرٌ جانِ جوّعت نفسي وأشبعتُ الهوى الفاني
بعتُ في الناسِ أهواءً محرّمةً وقلتُ للناسِ قولاً عنهُ تنهاني
عصيتُ ما أنزلَ حكّامكَ على عيسى وطه بانجيلٍ وقرآنِ
ولم أُفق من جنون القلب في سُبُلي إلاّ وقد حَمَتِ الأهواءُ إيماني
ربّاهُ عفوك ، إني كافرٌ جانِ !

***

لكَمْ دعتني الى الفحشاءِ أميالُ فأنذرتني تجاريبٌ وأهوالُ
إن التجاريب للألباب موعظةٌ لكنها لأُلي الاضلال اضلالُ
تلك الليالي المواضي لا يزال لها بين الحرائب في عينيَّ أطلالُ
وا حسرتاه ! وقلبي لا يزال لهُ في لذة العار أوطارٌ وآمالُ

لمّا استفاقت عيوني في ذلّتي وهواني
عزمْتُ أن ألمرّى من شهوتي فتاني
وقال لي : « الحكمُ حكمي والأمرُ طوعُ بناني
لا تستطيع التعصّي في الحبّ عن سلطاني
والحبّ لا يتغذى إن لم يكن شهواني ! »
فلم أجد لي مَنيصاً يوماً من الإذعانِ
فصرتُ أغذوهُ عاراً والنفسُ في تيهانِ
وصار يُسكِرُ روحي بنشوةٍ خفقانِ
بنشوةٍ من لهيبٍ ولفحةٍ من دخانِ
حتى ظننتُ نعيمي في ذلك البركانِ
ربّاهُ عفوك ، إني كافرٌ جانِ !

***

وطّأتُ لي كَنَفَ الدنيا فقلتُ لها يا نفس في سهل اللذات وارتشفي
ومال مذهب طبعي عن سجيّتهِ حتى تقلّبَ في بُطلٍ وفي صَلَفِ
وغابَ عنيَ أني عشتُ تبتت على جوانب إبريقٍ من الخزفِ
على جوانب إبريقٍ اذا نظرت عينٌ الى عتقهِ انحطّت على تلفِ
فخارةٌ ذاتُ تنٍ قديمةٌ كالزمانِ

مرّت قرونٌ عليها نشابَ لونُ الدهانِ
ومهّدَ النتنُ فيها مـارب الديدانِ
فخارةٌ دنّستها خواطرُ الانسانِ
تخاصمت جانبيها مظالمُ الأديانِ
كأنما الدينُ فيها ضربٌ من الويل فانِ
كم مرقدٍ أوعدتها نوائرُ النيرانِ
وكم تفجّرَ فيها بالأمس من بركانِ
تبقى قروناً طوالاً وتمّحي في توانِ
خزّافُها ذو جنانٍ حيناً وذو سلطانِ
ينهى ويأمرُ بالصاعقاتِ والنيرانِ
ديدانُها سكراتٌ بخمرة التبغانِ
والتاجُ، لو هي تدري، معَ من الهتانِ
ربّاهُ عفوك، إني كافرٌ جانِ!

***

فخّارةٌ جُبلت بالدمعِ والطينِ من عهد قايينَ أو من قبل قايينِ
تبرونُ أضرمَ فيها جمرَ مقلتهِ تلك البراكينُ من أجفانِ تبرونِ
تبادرتها من الديدانِ طائفةٌ أبطال حربٍ من الصلبِ المجانينِ
ما كان إسكندرٌ فيها سوى شبحٍ يحجّبُ الشمسَ عن عينيْ ديوجينِ
ما كان جنكيز إلاّ شرارةً في الكيانِ
تضرّمت وتوارت بين الرمادِ الفاني
ربُّ المغولِ إلهُ النيرانِ والعصيانِ
ثارت عليهِ — كما ثار — سُنّةُ النيرانِ
والنارُ تمحقُ إلاّ التذكارَ في الأذهانِ
أبقت الى الفُرسِ ذكرى كسرى أنوشروانِ
وقوّضت ما بناهُ من شاهقات المبانِ
لم تُبقِ إلاّ بقايا خورنقٍ النعمانِ
تلك البقايا عظاتُ الزمانِ للانسانِ
تلك البقايا رموزٌ لسُخريات الاماني!
أين الذي شيّدتهُ جلائلُ الرومانِ؟
حلمٌ من المجد أبقى أسطورة في اللسانِ!

شرعُ المقدورِ ألاّ يَبقى سوى الحسرانِ
أمّا الكمالُ فلمْ في هيكلِ النقصانِ
يُرقى اليهِ ويبدأ على متونِ الزمانِ
على الإرادةِ والتضحياتِ والسرقانِ
حتى إذا حُكَّ كان الكلامُ للطوفانِ
وكان للنار رأيٌ وللدمارِ يدانِ!
أمُّ الزلازل طوّافةٌ بكل مكانِ
آثارُها باقياتٌ وقفاً على الاجفانِ
والناسُ — واحسرتاهُ — إثنانِ مختلفانِ!
أعمى لهُ مقلتانِ في العقلِ مبصرتانِ
ومبصرٌ أظلمتهُ عينانِ لا تريانِ!

***

تُرى بعيشك ألما تاديني بثورة النار في تلك البراكينِ؟
ربّاه! هل ينتهي حلمي بارقةٍ من اللهيب ويخبو الطينُ في الطينِ؟
وهل ارى زاحفاً في الليل ملتهباً بجمرة السخطِ في ايدي الشياطينِ
أدعوك، والظلمة الحمراء تحرقني، فلا تجيبُ، وتلوي لا تجيبني؟!
أعرضتُ عنك غداة القلبُ ضلّلني كأنّ. شهوة قلبي عنك تغنيني
وحين أوقظتُ من سكر الهوى خجلاً بحثتُ عنك، وكاد العار يخفيني
فلم تُل تلبك الرحمنَ عن ألمي وقلتَ: «تطلبني بين الماكينِ!»
لكنني عدتُ بعد التفكير عن تيهاني
الى ذنوبٍ جامٍ كثيرةِ الالوانِ
ملوّثاتٍ بدمعٍ مخضّباتٍ بقانِ
وقلتُ للقلب: أطلقْ في الموبقات عناني
طيفُ الاله بعيدٌ وعينهُ لا تراني!»
وقيل يومٌ عصيبٌ ينقضّ قبل الاوانِ
تنفذ النارُ فيهِ والحكمُ للديّانِ!
فرحتُ أسأل نفسي الدفاعَ عن كفراني
فلم أجد من يحامي عني سوى بهتاني!
ربّاهُ عفوك، إني كافرٌ جانِ!

بيروت — الياس ابو شبكه

فراداي

MICHAEL FARADAY

على ذكر الاحتفال بانقضاء قرن كامل على اكتشافه
للتيارات الكهربائية المؤثرة

من الغريب ان يحرز فراداي المقام الرفيع الذي احرزه بين علماء الطبيعة والكيمياء وان يكشف مكتشفاته المهمة في نواميس الكهربائية والمغنطيسية من غير ان يكون بارعاً في العلوم الرياضية . ولا يخفى ان الالمام بهذه العلوم من امضى الاسلحة في ايدي علماء الطبيعة والكيمياء . لكن عقل فراداي بلغ من النبوغ العلمي مرتبة لم يكن معها في حاجة الى استعمال هذا السلاح الماضي. فمن العلماء فريق يتخذ من العلوم الرياضية قاعدة لمذهب علمي ثم يحقق هذا المذهب بالتجربة والامتحان والاستقراء ومنهم فريق يبدأ بالتجارب من غير ان يقصد تحقيق رأي خاص فيواليها ويبوّب نتائجها فيستخرج منها احكاماً عامة اما فراداي فلم يكن من اولئك ولا من هؤلاء لانه كان ذا نظر نافذ الى طبيعة الاشياء حتى كان ريشة سحرية كانت تخط على صفحات عقله الآراء المبتكرة فيمتحنها في مختبره ببراعة نادرة المثيل وفي الغالب كانت تجاربهُ تثبت صحتها

***

ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩١ في بلدة نيوانتن بيوركشير من اصل وضيع اذ كان ابوه حدّاداً متنقلاً وامهُ امية على انها كانت حكيمة تحب اولادها حبًّا جمًّا وتعنى بنظافتهم ومعيشتهم على قدر ما تسمح لها الاحوال . ولما كان في الخامسة من عمره اصيب ابوهُ بداء اقعده عن العمل وكانت الحالة الاقتصادية في انكلترا حينئذ شديدة الضنك تبلغ ثمن اقة الحنطة نحو جنيه واضطرت اسرته ان تطلب الاعانة من الحكومة فكان نصيبه منها رغيفاً في الاسبوع

اما عن تعليمه فهاك ما كتبهُ بنفسه: «كان تعليمي عاديًّا فلم اتلقَّ سوى مبادىء الكتابة والقراءة والحساب وكنت اقضي الوقت خارج المدرسة لاهياً في البيت او في الشوارع» وليس فيما كُتب عنه في هذه المدة ما يُستدلُّ منهُ على انهُ كان ذا مقدرة عقلية فائقة او

رغبة خاصة في التقدم والارتقاء. ولما كان في الثالثة عشرة من عمره استخدمهُ بائع كتب يدعى جورج ريبو فكان يوصل الصحف الى المشتركين فيها ويجمعها بعد ما ينتهون قراءتها فسرَّ المستر ريبو من دقتهِ وامانتهِ في القيام بأعماله فسمح له سنة ١٨٠٥ ان يتعلم تجليد الكتب من غير راتب . ووقع حينئذٍ بين يديه كتاب وط في «ترقية العقل» فقرأهُ وهو يجلده ثم قرأ كتاب مسز مرست « احاديث عن الكيمياء » ولما كان يجلد جزءاً من دائرة المعارف البريطانية قرأ فصلاً فيها عنوانهُ «الكهربائية» فانس من نفسه ميلاً الى العلم ورغبة في البحث عن حقائقه

فأنفق ما جمعهُ من الدريهمات القليلة لشترى آلات صغيرة جرَّب بها بعض التجارب في بيت ابيه فأدرك وجوب التعلُّم اولاً ولكن اين يتعلم ؟ لم تكن تجد في بلاد الانكليز حينئذٍ فصولاً ليلية يدرس فيها الشبان الفقراء الذين يعملون طول نهارهم لكسب الرزق. وحدث حينئذٍ ما فتح امامهُ باب التحصيل وذلك انهُ رأى في نافذة مخزن من المخازن اعلاناً عن خطب يلقيها رجل يدعى المستر تاتم في دارهِ تدور على « الفلسفة الطبيعية واجرة الدخول شلن عن كل مرة » فاقترض بعض النقود من اخيهِ الاكبر وحضر هذه الخطب

وكان في بيت ريبو رجل فرنسيٌّ يجيد التصوير . فلاحظ هذا الرجل ان فراداي ذكي الفؤاد يميل الى التصوير فكان يطلعهُ على بعض اسرارهِ ولما حضر فراداي خطب المستر تاتم لخصها كلها في اربعة دفاتر كبيرة وزيَّنها برسوم رسمها لتفسير معانيها ثم جلَّدها في اربعة مجلدات

وكان يتردد على مكتبة المستر ريبو رجل يدعى المستر دانس عضو في المعهد الملكي فلاحظ تعلق فراداي على المباحث العلمية ورغبتهُ في درسها فعزم ان يدعوهُ الى المعهد الملكي ليسمع خطب السر همفري دافي . ففعل فراداي في خطب السر همفري دافي ما فعلهُ قبلاً في خطب المستر تاتم اي انهُ دوَّنها وزينها بالرسوم التي تفسر معانيها . ثم ارسل هذه المذكرات مع كتاب الى السر همفري دافي يطلعهُ فيهِ على رغبتهِ في خدمة العلم ويطلب اليهِ ان يعيّنهُ مساعداً في المعهد الملكي . فحار دافي في امرهِ لما رآهُ في هذه الرسالة من الرغبة الصحيحة في المباحث العلمية ولعدم وجود مكان لهُ في المعهد الملكي آنئذٍ فاستشار صديقهُ المستر بپس Pepys وكان من مديري المعهد فقال لهُ « استخدمهُ لغسل الزجاجات الفارغة فاذا كان فيهِ خير قبل هذا العمل الحقير ثم يرتقي عليهِ الى غيرهِ » فقال دافي لا بل يجب ان نستخدمهُ فيما هو ارقى من ذلك . وللحال ارسل اليهِ رسالة يقول فيها انهُ سيقابلهُ بعد رجوعهِ الى لندن لانهُ كان معتزماً السفر منها

وحدث ان خلا حينئذٍ منصب معاون في المعهد الملكي بوفاة الرجل الذي كان يشغله فاستدعي فراداي وعُرض عليه المنصب فقبله وفي مارس سنة ١٨١٣ أبرم مجلس ادارة المعهد هذا العقد معهُ . وكان عملهُ في البدء مساعدة المحاضرين في اعداد معدات التجارب العلمية المختلفة لقاء ٢٥ شلناً في الاسبوع او خمسة جنيهات في الشهر . ولم يلبث ان اثبت مقدرتهُ فصار يساعد المحاضرين في بعض التجارب العلمية الصعيرة واشتغل سكرتيراً للسر همفري داڤي وانضمَّ الى الجمعية الفلسفية بلندن وصادق بعض اعضائها فألَّفوا حلقة صغيرة تجتمع عندهُ للمناقشة في مباحث علمية تعود عليهم بالفائدة

وفي خريف سنة ١٨١٣ رحل السر همفري داڤي رحلة علمية الى اشهر مدن اوربا فاستصحب فراداي معهُ معاوناً وسكرتيراً وخادماً وكانت شهرة داڤي قد سبقتهُ فكان يُستقبل بالاعجاب والاكرام حيث حلَّ وفتح لهُ العلماء معاملهم مرحبين به فكان فراداي يساعدهُ في جميع تجاربهِ العلمية فلقي في هذه الرحلة اشهر رجال العلم في اوربا وصادق بعضهم صداقة دامت مدى الحياة

دامت هذه الرحلة الى ربيع سنة ١٨١٥ فلما عادا الى انكلترا رجع فراداي للقيام باعمالهِ في المعهد الملكي وزيد راتبهُ ٥ شلنات في الاسبوع لان مجلس الادارة كان قد توسم فيهِ خيراً فعمل ذلك تنشيطاً لهُ . وثابر على حضور جلسات الجمعية الفلسفية وفي ١٧ يناير سنة ١٨١٦ بدأ يلقي خطباً في الكيمياء على اعضائها وفي تلك السنة ايضاً نشر رسالتهُ الاولى في مجلة المعهد الملكي الرسمية وموضوعها « تحليل الكلس (الجير) الكاوي »

وقرأ رسالتهُ الاولى امام الجمعية الملكية في سنة ١٨٢٠ فكان موضوعها « مركبات جديدة من الكلور والكربون ومركب جديد من البور والكربون والهدروجين » فكان لهذه الرسالة وقع كبير لدى اعضاء الجمعية

واشتهرت تلك السنة في تاريخ الكهربائية المغنطيسية بما كشفهُ اورستد العالم الدنماركي من الفعل المغنطيسي في التيار الكهربائي وتلت ذلك مباحث امبير الفرنسي وتجارب الدكتور ولستن الانكليزي . فحرَّكت هذه المباحث رغبة فراداي في درس هذا الموضوع فدرسهُ ووضع فيهِ كتاباً عنوانهُ « تاريخ المباحث الكهربائية المغناطيسية وتقدمها »

ورقي في هذه الاثناء الى رتبة مناظر عام في معمل المعهد الملكي وصارت مباحثهُ وتجاربهُ في الدرجة الاولى من المقام العلمي فجرب مع المستر ستودارت تجارب في بعض امزجة الصلب لتقسيته وحفظهِ من الصدإ وكان قبلاً قد استنبط بمعاونة رئيسهِ السر همفري داڤي مصباح داڤي الذي يستعملهُ المعدنون في المناجم . ثم جرب تجارب كثيرة في تسييل الغازات

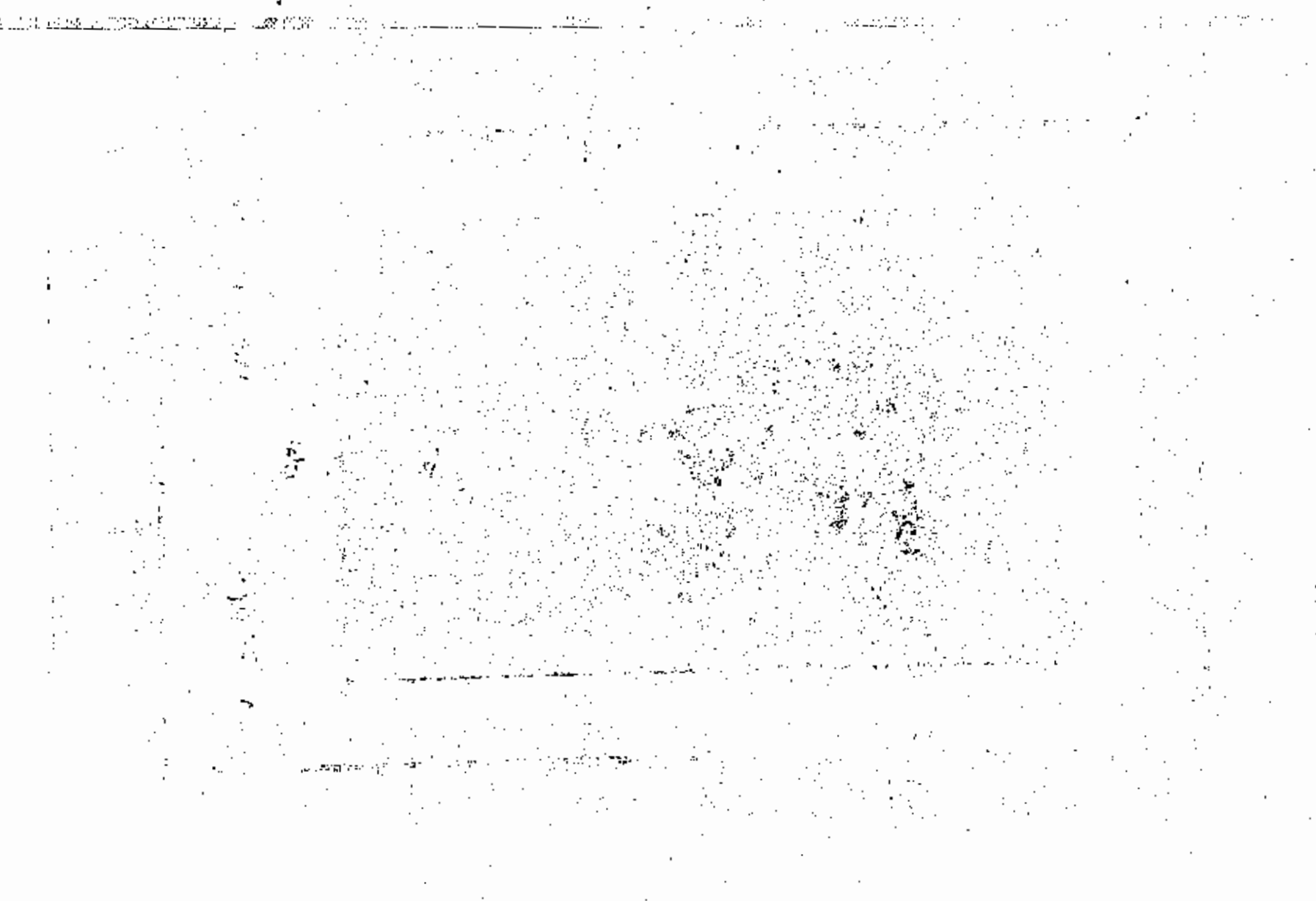

فراداي

مقتطف اكتوبر ١٩٣١ — امام الصفحة ١٦٥

سنة ١٨٢٣ فاثبت أن كل الغازات هي بخارات سوائل تقابلها ولكن درجة تبخر هذه السوائل واطئة جدًّا . وكان يستعمل في هذه التجارب كثيراً من الآنية الزجاجية فانفجرت احداها مرّة ودخلت ١٣ شظية زجاج في عينه ولكن ذلك كان سائغاً لديه في سبيل العلم فشحذت المصيبة عزمهُ بدلاً من أن توهنهُ. وسنة ١٨٢٥ اكتشف البنزين باستقطاره من قطران الفحم الحجري . وقد حفظ مقدار البنزين الذي استقطرهُ اولاً في المتحف البريطاني لانهُ صار اساساً لكثير من اكبر الصناعات الحديثة

وذاعت شهرتهُ العلمية فانتخب رفيقاً في الجمعية الملكية في ٨ فبراير سنة ١٨٢٦ ثم رقي الى رتبة مدير للمعهد الملكي في تلك السنة

ولما ذاعت شهرتهُ العلمية واشتهرت خبرتهُ في الامور الصناعية والكيماوية كثرت عليهِ الطلبات من اصحاب المعامل الكبيرة في لندن وغيرها من المدن الصناعية . اما راتبهُ مديراً للمعهد الملكي فكان مائة جنيه في السنة عدا اجرة غرفته وما يلزم لانارتها وتدفئتها فكان عليهِ ان يختار بين البقاء في هذا المنصب يتقاضى منهُ هذا الراتب الضئيل وقبول منصب كمستشار فني لبعض شركات صناعية يتناول منهُ مالاً طائلاً . وقد قال هكسلي بعدُ انهُ لو اراد فراداي ان يستخدم مواهبهُ ومعارفهُ في كسب المال لجمع ثروة لا تقل حينئذٍ عن ثلاثة ارباع المليون من الجنيهات . لكن فراداي اختار اختياراً يعود عليهِ بالمجد والفخر وعلى الناس والحضارة بالنفع الجزيل . وكان كما كشف حقيقة اساسية من حقائق الطبيعة يترك تطبيقها الى غيره من الباحثين ولهُ في ذلك اقوال ونوادر مشهورة. قيل انهُ كان مرة يجرب تجربة كهربائية في الجمعية الملكية وبعد ما شرحها التفت اليهِ سيدة وقالت « ولكن يا مستر فراداي ما فائدة ذلك » فاجاب « أتستطيعين ان تقولي لي ما فائدة الطفل ساعة ولادته » وقيل ان المستر غلادستون الشهير سألهُ مثل هذا السؤال في وقت آخر فاجابهُ « صبراً ياسيدي فقد تجبي الحكومة من هذا الاستنباط مبالغ كبيرة من المال »

لفراداي مباحث ومكتشفات كثيرة ذات شأن كبير في الكيمياء والطبيعيات يصعب حصرها وبسطها في هذا المقام . ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك جُلّهُ . واهم اكتشافاته كان في قوانين الكهربائية . ففي سنة ١٨٣١ اكتشف قوانين التيارات الكهربائية المؤثرة فوضع الركن الذي تقوم عليهِ غرائب الكهربائية الحديثة . ابان انهُ اذا أُمرَّ سلكاً معدنيًّا موصلاً للكهربائية امام قطعة مغنطيس حتى يقاطع السلك خطوط القوة المغنطيسية تولد تيار كهربائي في الموصل . هذه حقيقة اساسية في عالم الكهربائية المغنطيسية وعليها بني المولّد الكهربائي والمحرك الكهربائي وما تفرع عنهما من المستنبطات الحديثة

كالتلغراف والتلفون السلكي واللاسلكي منها والنور الكهربائي والوف الآلات الصغيرة والكبيرة التي نستعملها في جميع احوال المعيشة . ولولا اكتشاف هذه الحقيقة الاساسية لبقيت افعال الكهربائية سرًّا مغلقاً . والاحتفال بفراداي هذه السنة انما هو احتفال بذكرى هذا الاكتشاف

وتلا ذلك اكتشافهُ لقوانين الالكتروليسس "Electrolysis" اي الفصل الكهاوي الكهربائي او الحل الكهربائي ووضع المصطلحات المستعملة الآن في معظم لغات الارض كالانود (المصعد) والكاثود (المهبط) وما اليهما وقد بنيت على هذه القواعد صناعة التلبيس الكهربائي والآراء الكيماوية الجديدة في بناء المادة الكهربائي . وصنع اول آلة دقيقة لقياس القوة الكهربائية ولهُ مباحث عويصة في علاقة النور بالكهربائية وطبيعة النور المستقطب ومغنطيسية المواد

***

واعتلت صحتهُ بين سنة ١٨٣٨ وسنة ١٨٤١ فذهبت به زوجتهُ سنة ١٨٤١ الى سويسرا للاستشفاء فقضى فيها سنتين استردَّ فيها شيئاً من قوته وعاد الى وطنه لمتابعة مباحثه

وكانت جمعيات العالم العلمية قد انتخبتهُ عضواً شرفيًّا فيها ومنحتهُ الجمعية الملكية بلندن كل ما لديها من الاوسمة والمداليات وانهالت عليه القاب الشرف من الجامعات والملوك. وسنة ١٨٤٤ منحتهُ حكومة فرنسا وسام الشريطة الزرقاء للعلم الدولي وانتخب واحداً من العلماء الاجانب الثمانية لاكادمية العلوم بباريس . ولكنهُ كان وضيعاً لم يسعَ لواحد من هذه الاوسمة والالقاب . حتى انهُ رفض رآسة الجمعية الملكية بلندن وكاد يرفض معاشاً قطعتهُ لهُ الحكومة الانكليزية في وزارة السر روبرت بيل لولا ان اقنعهُ اصدقاؤهُ ان هذا المعاش ليس احساناً بل مكافأة على خدمته للعلم . ولكن السر روبرت تخلى عن منصبه قبل ان يُبتَّ في الامر فحلَّ محلهُ لورد ملبورن ولما كان يجهل قيمة مباحث فراداي كلمهُ كلاماً جرح كرامتهُ فخرج غاضباً من حضرته لانهُ كان يعتقد انهُ دعاهُ ليكرم العلم في شخصه . ولفت بعضهم نظر الوزير الى هذا الحادث فندم على ما فعل وجربت سيدة ان تصلح ذات البين بينهما فرفض فراداي ان يتزحزح عن الموقف الذي اتخذهُ فقالت لهُ السيدة ولكن ماذا تطلب قال « اطلب ما لا انتظر تحقيقهُ اطلب اعتذاراً خطيًّا من الوزير » فاعتذر الوزير اعتذاراً خطيًّا يسطِّر بالفخر لهُ ولفراداي. وبعدها قبل فراداي المعاش الذي عينتهُ الحكومة لهُ . وتوفي سنة ١٨٦٧ وهو في السادسة والسبعين من عمره بعد ما سطَّر في تاريخ العلم صفحات مجيدة خالدة وعُرف بفضله وعلمه في كل انحاء المعمورة

أمير اموي من سلالة مسيحية

للعلامة بارتولد عضو اكاديمية لينغراد العلمية سابقاً[1]

نقلها عن الروسية نقلاً دقيقاً الاستاذ عبدلي عوزي احد اساتيذ جامعة باكو الروسية

جاء في كتاب فلهوزن المستشرق الشهير (J. Wellhausen) «المملكة العربية وسقوطها» (ص ٢٣٧) على ذكر حديث المؤرخ البزنطي تيوفان (انظر سنة ٦٢٣٦ للعالم) عن قتل مروان بن محمد المعروف بالحمار لفتنة حمص سنة ٧٤٥ وقتل الامير الاموي العباس بن الوليد ابن عبدالله ما ترجمتهُ « وقد فرح لذلك المسيحيون لان العباس كان متعصباً لدينهِ فهاجمهم ضدهُ ولما كان عددهم وقتئذٍ عظيماً كان في وسعهم ان يملوا المدينة الى مروان الذي لم يكن متعصباً في دينهِ » على ان تيوفان لم يذكر في الصفحة المذكورة شيئاً لا عن فرح نصارى حمص ولا عن احتفالهم كثيراً من تعصب العباس الديني بل قبل هناك ان ما اصاب العباس من المحن في آخر عمره كان جزاء عادلاً لهُ » لانهُ سفك دماء كثيرين من النصارى وخرّب بلاداً كثيرة وألحق ضرراً عظيماً بالمسيحيين بواسطة السحر والالتجاء الى الجن». والظاهر من هذه العبارة المبهمة ان الكاتب البزنطي لم يعن النصارى القيمين في دار الاسلام بل نصارى دار الحرب وما احرزه العباس من النجاح في حروبهِ مع البزنطيين وهكذا فهم العبارة المذكورة الكاتب تسترستين Zetterstein ايضاً في مقالتهِ عن العباس في « دائرة العلوم الاسلامية» . والغريب انهُ قد عزب عن بال الكاتبين الاوربيين المذكورين ان يذكروا ان العباس بن الوليد يطل الحروب المذكورة « ومضطهد المسيحيين » على قول فلهوزن ولد من امرأة نصرانية وان هذه الامرأة كانت من سلالة يونانية كما يؤخذ من عبارة ابن قتيبة [2] « ان ام العباس كانت نصرانية » ومن قول الطبري[3] « انها كانت رومية» وقد ذكر الكاتب الاخير في موضع آخر ان «عيني العباس كانتا زرقوينين وشعره اشقر » [4] ولهذا كان يزيد بن المهلب الخارج على الخليفة وعدو العباس الالد يسميه

(١) توفي بتفليس صيف السنة الماضية فأحدثت وفاته فراغاً عظيماً في عالم الادب ولاسيما في علم تاريخ الشرق الادنى الذي كان المرحوم احد جهابذته كما سنبين ذلك في مقالة خاصة نقفها على سيرته وبيان منزلته العلمية في اوربا وذكر اهم مؤلفاته (٢) انظر كتابه في التاريخ ص ١٨٣ (طبع F. Wustenfeld)

(٣) ج ٢ ص ١٣٩٨ (طبع ليدن)

(٤) انظر ايضاً عن زرقة عيني العباس بن رسته في (Bibl. Geogr. Arab VII, 228)

« قاتل ناقة ثمود » ملمحاً بذلك الى القصة المعلومة التي ورد ذكرها في القرآن في حديثه عن النبي صالح ومعلوم ان القرآن الشريف ذكر حديث ثمود وكفرهم بالنبي صالح في مواضع عديدة وفي خمسة منها يحدّث عن اهانتهم للنبي وقتلهم للناقة على انه في اربعة مواضع (٧، ٧٥ و١٧ : ٦١ و٦٢ ، ١٥٧ و ١٤، ٩١) ينسب قتل الناقة الى كل القبيلة وفي موضع واحد (٢٩، ٥٤) ينسبهُ الى شخص واحد من غير ان يبين صفاته الخارجية التي لم تذكر الاّ في الاحاديث الموضوعة بعد القرآن فمن هذه الاحاديث ان الرسول تنبأ عن ظهور « صبي أشقر الشعر ازرق العينين [1] » يخرج من ثمود فيقترف تلك الجريمة التي ذكرها القرآن . وقد جاء في اخبار فتنة سنة ١٢٧ هجرية [2] (٧٤٤ م) التي سنتكلم عنها بعد ذلك انه لما طلب زعماء الفتنة الى العباس ان يبايع اخاه يزيد بعد قتل الوليد تهدّده احدهم بقوله « يأبن قسطنطين لئن ابيت لاضربنّ الذي فيه عيناك » [3] ولعل قوله « يأبن قسطنطين » يدل على قرابة حقيقية او افتراضية بين العباس وبين الاسرة المالكة في بزنطية

معلوم ان قسطنطين الرابع الملقب بوغوناط Pogonate توفي سنة ٦٨٥ اي بعد ما ابرم معاهدة الصلح مع الخليفة عبد الملك فعقبهُ ابنهُ يوستيانوس الثاني وكان لهُ من العمر ست عشر سنة فجدّد معاهدة ابيه سنة ٦٨٨ ثم سنة ٦٨٩ وقد بقيت هذه المعاهدة الاخيرة مرعية الى سنة ٦٩١ فمن المحتمل ان يكون عبد الملك قد زوّج احد ابنائه باحدى اميرات بزنطية الحقيقيات او المزعومات وذلك رغبةً منهُ في تقوية معاهدة سنة ٦٨٥ ثم معلوم ايضاً ان عبد الملك توفي سنة ٧٠٥ وهو في سن الستين او ما يزيد عليها قليلاً وان الوليد ابنهُ توفّي سنة ٧١٥ وقد اختلفوا في سني حياته بين ٤٣ و ٤٩ [4] والارجح عندي انه توفي وعمره ٤٩ او ٤٧ سنة وعليه يكون قد ولد قبل سنة ٦٧ ومات عن تسعة عشر ولداً كان العباس اكبرهم [5] وقد اشترك في فتح طيانة سنة ٧٠٩ كما جاء في كتب مؤرخي العرب او سنة ٧٠٧ كما يقول تيوفان مما ينتج عنه ان العباس ولد قبل ٦٩٠ بقليل اعني في زمن الهدنة بين الروم والعرب [6] لا شك ان العلاقات بين الروم والعرب في اواخر العصر السابع واوائل الثامن لا تزال حتى اليوم غامضة تحتاج الى من يلقي عليها شعاعاً من النور ولهذا

---

(١) ج ١ ص ٢٤٦ (٢) الاصح سنة ١٢٦ هـ (٧٤٣ م) كما جاء في تاريخ الطبري (ب ج)
(٣) الطبري ٢ : ١٧٩٨ . Fragmenta ص ١٤١ حيث سلطت كلة ابن (٤) بين ٤٢ ـ ٤٧ في قول الطبري (٢ : ١٢٧٠) وبين ٤٣ ـ ٤٩ في قول اليعقوبي (التاريخ ٢ : ٣٤٩) و٤٣ على رأي المسعودي (Bibl. Geog. Arab. VIII , 317 و ٤٨ على قول ابن قتيبة (ص ١٨٣)
(٥) Fragmenta ص ١٤١ سطر ١٤ من اسفل (٦) حوالي سنة ٧٠٥ اي سنة ارتقاء ابيه عرش الخلافة ذ ـ كما جاء في بعض الاخبار ـ كان اميراً على الحج (المسعودي مروج الذهب ج ٩ ص ٥٩)

ترى بعض البحّاثين يميل مع المؤرّخ البزنطي تيوفان الى معاتبة يوستنيانوس الثاني على نقضه المعاهدة المذكورة آنفاً لامر تافه . والحقيقة ان ليس في ذلك شيء من الغرابة بل الغريب ان يوستنيانوس رضي ان يعقد في ذلك الوقت تلك المعاهدة . بل كيف لم تنتهز الروم فرص تشاغل العرب بالحرب الاهلية التي استعرت نارها يوم توفي معاوية ابن ابي سفيان (سنة ٦٨٠) الى ان فتح الحجاج مكة (سنة ٦٩٢) لتسترجع سوريا ومصر . والظاهر ان المسلمين انفسهم استغربوا ذلك فقد ورد في كتاب المحاسن والمساوىء لابراهيم البيهقي في اوائل العصر العاشر انهُ وقع جدال بين ملك الروم ووجوه مملكته في سياسته نحو العرب وذلك ان هؤلاء حاولوا ان يقنعوا ملكهم ان لا يضيع فرصة تشاغل العرب بعضهم ببعض فيغزوهم في بلادهم فتهاهم الملك عن ذلك فابوا عليه إلاّ ان يفعل فلما رأى ذلك دعا بكلبين فارّش بينهما ثم دعا بثعلب فخلاه بينهما فلما رأى الكلبان الثعلب تركا ما كانا عليه واقبلا على الثعلب حتى قتلاه [1]

على انهُ يستفاد من اخبار مؤرخي الاسلام ان الصلح بين العرب والروم لم يكن على امّه حوالي سنة ٦٨٠ فقد ذكروا ان الروم استرجعت في تلك السنة بعض المدن الواقعة على الحدود (الثغور) وان الاسطول البزنطي هدم بعض مدن سوريا الواقعة على شاطىء البحر فاضطر العرب ان يخلوا جزيرة قبرس ورودس [2] في ايام يزيد بن معاوية (٦٨٠— ٦٨٣) وان غارات الروم على مرعش توالت بعد وفاته فاضطر العرب ان يخلوها ايضاً وكذلك اضطر عبد الملك بعد وفاة ابيه مروان ان يعقد مع الروم صلحاً على ان يؤدّي اليهم إتاوة [3] وذكر الطبري ان الروم «شمتت في ايام عبد الله ابن الزبير ملطية ثم تركتها فنزلها قوم من النصارى من الارمن والقبط » [4] ولم يحتلها العرب ولعلّ ذلك كان من شروط معاهدة ٦٨٥ اما ما يتعلق بمدن الساحل فقد ذكروا ان الروم اخربت في « ايام ابن الزبير» صور وعكا وقيصرية وعسقلان [5] ولا شك ان خراب عكا كان اكبر مصيبة اصابت المسلمين وتتلئر لان عكا كانت منذ اصبح معاوية عاملاً على سوريا مرسى الاسطول الغربي ودار صناعته [6] .

(١) ص ١٣٨ من طبعة الدكتور Fr. Schwally (وص ١٠٠ من الطبعة المصرية لسنة ١٩٠٦ ب. ج) (٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٤ و٢٣٦ (من الطبعة الاوربية) يظن فلهوزن ان خبر اخلاء العرب لقبرص غير صحيح لان قبرص ذكرت مع ارمينية وبلاد الكرج في معاهدة سنة ٦٨٨ بين تلك المقاطعات التي كان يجب ان تقسم وارداتها بين الروم والعرب مما يستنتج منه ان هذه الواردات كانت قبل ذلك في يد العرب وحدهم (٣) فتوح البلدان ١٨٨

(٤) فتوح البلدان ١٨٥ (٥) فتوح البلدان ١٤٣ (٦) فتوح البلدان ١١٧

لقد بايع الناس بالخلافة لعبد الله بن الزبير حالاً بعد وفاة يزيد بن معاوية (سنة ٦٨٣) ولهذا لا مانع من ان نطلق عبارة « في ايام ابن الزبير » على الزمن الذي سبق معاهدة الصلح التي ابرمت سنة ٦٨٥ الا انه قيل هناك ان العرب رمّموا المدن التي شعثها الروم « بعد ان استقام لعبد الله بن مروان الامر » اي بعد ان انتهت الفتنة . ونقل الطبري عن الواقدي ان عبد الملك فتح قيصرية سنة ٧١ هجرية اي سنة ٦٩٠ او ٦٩١ م والمراد هنا بقيصرية قيصرية فلسطين على الارجح لا قيصرية قبادوكية ولعل الروم لم يهدموا قيصرية بل احتلوها بمعاهدة ٦٨٥ ثم لعل فتحها مرة ثانية كان بادرة نجاح العرب في حروبهم مع الروم التي تجدّدت سنة ٦٩١ [1] في سوريا وسنة ٧٤ هـ (٦٩٣ او اوائل سنة ٦٩٤) على حدود آسيا الصغرى كما ذكر البلاذري . وفي كلتا الحالتين كان العرب هم البادئون لان الروم لم تزحف من مرعش التي بقيت في ايديهم، الا في خريف سنة ٦٩٤) [2]

نستنتج مما ذكر ان الروم كانوا عازمين في ايام قسطنطين بوغوناط على اتمام فتنة العرب لاسترجاع ما فقدوه من البلاد لكنهم كانوا يحاربون بدون حزم كاف ونشاط ولهذا استطاع عبد الملك أن يعقد معهم صلحاً بدون ان يتنازل لهم عن شيء يذكر. على انهُ يحتمل ان الرأي العام في بزنطية كان يلحّ على يوستنيانوس في اخراج بني الفتنة العربية [3] ان ينقض الصلح ويستفيد من الحالة النادرة . ويحتمل ايضاً ان يكون يوستنيانوس اضطرّ ان يلبي طلب رعاياه على انهُ اكتفى في بادىء الامر بما تنازل له الخليفة عنه [4] وهذا ما مكّن عبد الملك من ان يستجمع قواه ويبدأ سنة ٦٩١ اي قبل ان تنتهي حربه مع مصعب في تهيئة قوة كافية لفتح قيصرية . ولاشك في ان هذه الحرب التي انتهت سنة ٦٩١ كانت اعظم خطراً على سوريا من قبَل الروم لا من قبل ابن الزبير الذي لم يفكّر قط مدة خلافته في مكة ان يزحف على سوريا ولو فعل ذلك لاحرج عبد الملك وسهّل على الروم عملهم

لقد تبدّلت في اوائل الجيل الثامن احوال الروم والعرب فاصبحت على عكس ما كانت عليه قبلاً اي ان الدولة العربية استردت في ايام الوليد قواها وصارت منيعة الجانب لا يطمع احد في مناوئتها وذلك على ضدّ الدولة البزنطية التي اضطربت امورها ودخلت في دور الفوضى وتنازع السلطة ولهذا ولاسباب اخرى نجد اخبار الحرب بين الطرفين في

---

(١) فتوح البلدان ١٨٨ اما الطبري فانه يذكر سنة ٧٣ه (٢ : ٨٥٣) وايليا النصيبيني ٦٩٢ ولهذا وجيه فلهوزن هذه السنة على غيرها (٢) الفتوح ١٨٨ والطبري (٢ : ٨٦٣) واليعقوبي (٢ : ٣٣٦)
(٣) انظر فلهوزن « المملكة العربية وسقوطها » ١١٧ واخبار الطبري (٢ : ٧٨١) عن حج سنة ٦٨٨ وروايات طلاب الخلافة الاربعة (٤) فلهوزن Göttt Nachrichten لسنة ١٩٠١ ص ٤٢٨

هذه السنين بما فيها اخبار غزوات العباس بن الوليد غامضة وقاصرة ونجد ايضاً اختلافاً بيّناً بين المآخذ العربية والرومية عنها والى ذلك اشار الكاتب تيرستن في مقالته المذكورة آنفاً . وقد يأخذك العجب من ان مؤرخي العرب لا يذكرون شيئاً عن توقف الحرب بين الطرفين وعن معاهدات الصلح بينهما لكنهم في الوقت ذاته يخبرون ان الخليفة ارسل يطلب من ملك الروم ادوات وفعلة لبناء بعض عمارات وخصوصاً لهدم المسجد القديم القائم على قبر النبي وبناء مسجد جديد مكانه وهو المسجد الذي شرع الوليد في بنائه سنة ٧٠٧ وفرغ منه سنة ٧١٠ (١)

يستفاد من كلام الواقدي الذي اخذ عنه اليعقوبي (٢ : ٣٤٠) والطبري (٢ : ١١٩٤) ان ملك الروم بعث الى الخليفة مائة الف مثقال ذهب ومائة فاعل واربعين حملاً من الفسيفساء التي اتتهما من المدن التي خُرِّبت وذكرت في مصادر اخرى (٢) غير هذه الاعداد مما يستنتج منه ان هدايا الملك ذُكرت في مصادر اخرى غير التي استقى منها الواقدي اخباره

يؤخذ من كلام الواقدي ان اهم مصادره عن الحوادث التي نحن في صددها هو صالح بن كيسان الذي يزعم انه شهد تلك الحوادث بنفسه وانه اشترك في عمارة المسجد المذكور بل وقف على بنائه (٣) وصالح هذا احد رواة الاحاديث التاريخية الاقدمين وقد روى عنه كثيراً محمد بن اسحاق صاحب سيرة الرسول وكانت وفاته في ايام بني العباس بعد سنة ١٤٠هـ (٤) اي ليس قبل سنة ٧٥٨م وعليه لم يكن صالح من البالغين سنة ٧٠٧ او كان فتى حديث السن لا يعي حوادث تلك السنة . زد على ذلك انه يبعد عن التصديق ان يبعث ملك الروم في ايام الحرب الى ملك العرب عدوه بالمبلغ المذكور من الذهب بدون ان يعرض عليه عقد معاهدة صلح او — على الاقل — هدنة ولهذا نرى اقرب الى الصحة خبراً آخر رواه الطبري عن الواقدي عن حادثة وقعت سنة ٧٠٩ اي سنة عمارة المسجد وهذا الخبر يدل على ميل ملك الروم الى مصالحة الخليفة ويتلخص في انه لما اسرت الروم امير الاسطول العربي خالد بن كيسان ذهبوا به الى ملكهم فاعداه الملك الى الوليد بن عبد الملك فان صح

(١) انظر عن هذا البناء مقالة لي في «الشرق المسيحي» ج ٦ ص ٢١٠

(٢) ذكر صاحب « الحدائق والاخبار المجهول ان عدد الجمال كان مئة الف وذكر ابن رسته « Bibl. Geog. Ar. VII, 69 ان عددهم كان على رواية ٢٠ الف وعلى رواية اخرى ١٠ آلاف اما الدراهم فبلغ مقدارها على قوله ٨٠٠٠٠ دينار ما عدا سلاسل الذهب والفسيفساء وقال ياقوت (٤ : ٤٦٦) ان عدد الجمال كان ثمانين منهم اربعون من الروم واربعون من القبط ثم الف مثقال ذهب وفسيفساء (٣) انظر معجم البلدان لياقوت (المذكور آنفاً) وكانت لصالح هذا يد في تجديد المسجد نفسه في خلافة بني العباس (انظر كتاب ابن رسته ٧ : ٧٠) (٤) ابن تتبية ص ٢٤٥ واما في معجم البلدان (٦ : ٤٧٧) فسنة ١٤٤ (٧٦١ — ٧٦٢)

ان الواقدي اخذ روايته عن صالح بن كيسان وكان كيسان هذا اخا خالد كان لحديث الواقدي المذكور خطورة كبرى

كان العباس بن الوليد يُدعى من دون اخوته «فارساً» وذلك لشجاعته وثبات جأشه في القتال ولقد مدحهُ الفرزدق وجرير واثنوا على كرمه ومناقبه وذكر له التاريخ ولدين حارثاً ومؤملاً من أُمها بنت القطري[١] زعيم الخوارج المعروف الذي قتل سنة ٦٩٧ (٢) في معركة دارت بينه وبين جيوش الدولة وعُرف العباس ايضاً باضطه للبلاد الواقعة على الثغور واصلاحها فقد ذكروا انه جدّد مرعش وحصّنها ونقل اليها الناس ثم بنى فيها مسجداً جامعاً وكان يقطع كل عام على اهل قنسرين (٣) بمشأ اليها وقد عزا اليه تيوفان بناء مدينة Garis (؟) في مقاطعة هليوبوليس اي بعلبك على ما نرجح اما زواجهُ فكان يجب أن يقرّبهُ من القبائل العربية الشمالية اي من القيسية وهم الاكثرية في قنسرين وهذا على ما اظن هو السبب في ان العباس لم يتدخل في امور الدولة ولا اشترك في غزوات القسطنطينية بعد وفاة الوليد واتساع نفوذ القبائل العربية الجنوبية اى اليمانية او الكلبية في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩١٥-٩١٧) وقد بقي اسمهُ منسيًّا مهملاً حتى خلافة يزيد الثاني (٧٢٠ - ٧٢٤) لما استرجعت القبائل القيسية سطوتها ونفوذها ولما عاد العباس يعمل على محاربة اعداء الدولة في الداخل والخارج. نذكر من ذلك ترأسهُ وعمّهُ مسلمة بن عبد الملك الجيش الذي ارسلهُ الخليفة الى العراق لقمع فتنة يزيد بن المهلب الكلبي الخطيرة فلما قمعها اقطعهُ الخليفة ارضاً في البصرة كانت قبلاً لخيرة بنت ضمرة امرأة المهلّب وهي الارض التي عرفت باسم «عباسان» وقد حجزها بنو العباس (٤) كما حجزوا سائر املاك بني امية بعد ان انتقل الملك اليهم ثم بعد أن قمعت الفتنة بعث مسلمة برؤوس اصحاب الثورة الى يزيد بن عبد الملك فارسلها يزيد الى العباس في حلب (عاصمة قنسرين) وهناك نصبوها (٥) مما ينتج عنهُ ان العباس تولى امارة قنسرين مرة اخرى. وفي سنة ١٠٣ (٧٢١ م او ٧٢٢ م) غزا

---

(١) Fragmenta ص ١٤ وورد هذا اللقب في كتاب ابن قتيبة ص ١٨٣ والمسعودي (مروج الذهب) ج ٥ ص ٣٦١ وغيرهم

(٢) الطبري (٢ : ١٠١٨) وما بعدها و J. Wellhausen Die religiös-politische Oppositionsparteien im alten Islam (Achand. Gott. philos.-histor. kl. Neue Folge, V. W 2 p. 41

(٣) فتوح البلدان ص ١٨٩

(٤) فتوح البلدان ص ٣٦٩ (٥) الطبري ٢ : ١٤١٣ وقد ذكر فلهوزن نصب رؤوس الثوار في حلب لكنه لم يذكر اسم العباس ولهذا لم يعد واضحاً لماذا بعث الخليفة برؤوس اصحاب الفتنة الى حلب لا الى مدينة اخرى (طالع عن اشتراك العباس في اخماد الثورة تاريخ الطبري (٢ : ١٣٩٠ — Fragmenta ص ٦٨)

العباس بن الوليد الروم وفتح مدينة لا يزال اسمها غامضاً حتى اليوم الاّ ان تيوفان لم يذكر في تاريخه هذه النزوة ولما توفي يزيد الثاني اعتزل العباس الاعمال وانزوى في بيته وقد بقي معتزلاً طول خلافة هشام ولهذا لم نعثر على اسمه ولا مرة في هذه الخلافة الطويلة وكل ما اعلمه عنهُ هو ما ذكره المسعودي في احد مؤلفاته المفقودة [1] من انهُ دارت بينهُ وبين الخليفة المذكور بعض محادثات شخصية في امور لم يذكرها المسعودي وهكذا الى ان جاءت خلافة الوليد ابن يزيد (٧٤٣ — ٧٤٤) المعروف بميله للقبائل القيسية (التي كان يميل اليها ابوهُ من قبله) وثقته التامة بالعباس ولهذا لم يكد ينتشر خبر وفاة هشام بن عبد الملك حتى ارسل الوليدُ العباس الى الرصافة حيث كان يقيم هشام ليحصي اموالهُ [2] فلا عجب اذاً اذا رأينا العباس ينحي سائر اخوته عن اثارة حركة ضد الخليفة بناصرة القبائل الكلبية في حين ان المتآمرين كانوا في حاجة الى نفوذه الادبي لانهُ كان « سيّد » الاسرة المالكة [3] وهذا ما حمل زعيم المتآمرين الخليفة يزيد الثالث [4] ان يذهب بنفسه الى قصر انسطل (في جانب البحر الميت الشرقي) حيث كان يقيم وتنشئ العباس ليقنعهُ ان ينضم اليهم فلم يفلح لان العباس ابى ان يشترك في المؤامرة وحاول ان يثني غيره عنها خوفاً من الفتنة وهلاك بني امية. وقد اشار الى ذلك في ابيات ينسبونها اليهِ وقد خاطب فيها اعضاء اسرته واعاذهم بالله ان لا يهدموا سلطانهم بايديهم وان لا يحدثوا سنة سيئة بقيامهم على اصحاب السلطة الشرعية وان لا يطعموا « لحومهم لذئاب الناس » [5] وقد بلغ من حرصهِ على مصلحة اسرته ان تهدّد المتمردين بان يسلمهم الى الخليفة ان هم اصرّوا على غيهم لكنهُ لم يفعل بل لم ينذره بالخطر الذي كان يحدق بهِ ولم يأتهِ الاّ بعد ان احاطوا بقصره بنحو (الواقع في الجانب الشرقي ايضاً من البحر الميت) وكان معهُ ثلاثون فارساً من ولده ومواليهِ وخاصتهِ كما يقول صاحب العيون والحدائق في أخبار الحقائق » المجهول [6] مع ان الطبري يؤكد بانهُ لم يكن مع

(١) انظر مروج الذهب ج ٥ ص ٤٨٠ (من الطبعة الاوربية) (٢) الطبري ٢ : ١٧٥١ و Fragmenta ص ١٢١ وفلهوزن « الدولة العربية » ٢٢٦ (٣) الطبري ٢ : ١٧٨٤ و Fragm. ١٣٣
(٤) ابن الوليد الاول واحدى اميرات القرس المتصل نسبها بملك الروم ملوريكي وبقال الترك (انظر الطبري ٢ : ١٨٧٤ و تاريخ البطريرك سعيد ص ٤٢) قال يزيد مفتخراً

انا ابن كسرى وابي مروان وقيصر جدي وجدي خاقان

(٥) وهذه هي الابيات التي ينسبونها الى العباس :

اني اعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تنصدع
ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تطعمن ذئاب الناس انفسكم ان الذئاب اذا ما الحت رتعوا
لا تبقرن بايديكم بطونكم ثم لا حسرة تغني ولا جزع (ج)

(٦) انظر Fragmenta ص ١٤٠

«العباس اصحابهُ» وان الثلاثين فارساً الذين تقدم بهم اصحابهُ كانوا كلهم من بنيهِ وقد قبض عليهِ المتآمرون في الطريق وحملوه على مبايعة يزيد فبايع مكرهاً فنصب حالاً اصحاب الفتنة رايتهُ الى جانب رايتهم ليستفيدوا من نفوذه الادبي فانضم اليهم بعض من كان مع الخليفة الاَّ ان العباس كان في عسكر المتآمرين «كالاسير»[١] ولم يجن فائدة ما من قتل الوليد وتولى الخلافة يزيد الثالث حتى ولم يُسَلَّ على قنسرين التي وُلّي عليها أخوان للخليفة الجديد وهما مسرور وبشر[٢] ولقد تضاربت الاخبار في ما كان من امر العباس في آخر عمره فقال صاحب «العيون والحدائق» انهُ مات من جراحاته اصابتهُ يوم حُروب الوليد» وقيل بل عاش بعد ذلك قليلاً منزلاً منفرداً[٣] على انهُ قد جاء في بعض الاخبار ان اصحاب يزيد بن الوليد استفادوا ان لم يكنْ من العباس فمن اسمه وذلك في خلافة يزيد التي لم تزد كما هو معلوم على خمسة اشهر (من نيسان الى ايلول من سنة ٧٤٤) وخلاصة هذه الاخبار هي ان منصور بن جمهور اخذ يدّعي يوم قدم عاملاً على العراق من طرف يزيد بانهُ نائب الحارث بن العباس الاكبر وان العباس نفسهُ ارسلهُ الى العراق[٤] مع ان حارثاً لم يعين عاملاً على العراق وانما عين بعد ذلك عبد الله ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز وذكر ايضاً اصحاب التاريخ ان العباس بعث بطلب من يزيد كتاباً الى مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية حين سمع ان مروان عازم على الانتقام من قتلة الوليد بن يزيد وان كتابهُ كان «ينفذ في الآفاق»[٥] وكل هذا محتمل لان العباس كان يكره كما ذكرنا فتنة سنة ٧٤٤ لا لانهُ كان مخلصاً شخصيًّا للوليد بل لانهُ كان يخشى ان تؤدي الفتنة الى هلاك بني مروان فلا عجب والحالة هذه اذا هو سعى الى اخماد هذه الفتن واستعمل ما كان له من النفوذ لدى مروان طبقاً لرغائب يزيد على انهُ يؤخذ من كلام الطبري ان الكتاب الذي بعث بهِ الى مروان كان في مسألة شخصية لها علاقة باحد العرب[٦] وكان الغرض منهُ ان يمهد السبيل لمكاتبة مروان لا غير وانهُ لم يكن مالاً بخروج شخص آخر[٧] ذي اهمية كبرى ارسلهُ يزيد سرًّا الى مروان ليكاشفهُ في بعض امور مهمةٍ وقد نجح في عمله لان مروان عدل عن عزمهِ وبايع يزيد ولم يزحف على دمشق الاَّ بعد وفاتهِ

يظهر لي انهُ لم يكن للعباس يد في الفتن التي ملأت خلافة مروان بن محمد (٧٤٤–٧٥٠) ولو انهُ اصابهُ منها ما اصاب ومات في غضونها في سجن حرّان صبراً . جاء في تاريخ

---

(١) Fragmenta ص ١٤٨ (٢) الطبري ٢: ١٨٢٤ و١٨٢٦ (٣) Fragm. ص ١٥٣
(٤) الطبري ٢ : ١٨٣٨ (٥) الطبري ٢ : ١٨٥١ (٦) وهو طفيل بن حارثة الكلبي (ب. ج)
(٧) واسمه مسلم بن ذكوان (ب. ج)

اليعقوبي [١] ان العباس كان برأس ثورة حمص ويزيد الثالث حي يرزق غير انهُ يؤخذ من كلام الطبري (٢ : ١٨٢٨) ان الثورة كانت ليس فقط ضد يزيد بل وضد العباس نفسهُ لان اهل حمص كانوا حاقدين عليهما لاشتراكهما في قتل الوليد ولان بعض من حضر تلك الحادثة نقل اليهم أن انضمام العباس الى اصحاب الفتنة ساعد كثيراً على نجاحها ولهذا هدم الشعب بيته ونهبوهُ ثم حبسوا بنيهِ وجدُّوا في طلبهِ فلم يعثروا عليهِ لانهُ تمكن من الهرب الى يزيد (يستنتج من هذا الحديث ان العباس بقي قليلاً من الزمن في حمص بعد أن صار اخوه خليفة) . والحقيقة ان زعيم الحركة ورئيس مدينة حمص كان حفيد آخر لعبد الملك بن مروان و « سيّد » آخر من بني أمية وهو مروان بن عبد الله ولعل اليعقوبي خلط بينهُ وبين العباس

***

هذه كانت الحالة في حمص وقتئذٍ فلا عجب اذا رأيناها تدخل راضية في طاعة مروان ابن محمد على ان هذه الحالة لم تطل كثيراً لان حزب المعارضين تغلب فيها فاضطر مروان ان يحاربها مرتين (عام ٧٤٥ وعام ٧٤٦) ولم يستولِ عليها في المرة الثانية الا بعد حصار طويل

يميل فلهوزن I. Wellhausen [٢] الى الاعتقاد بان العباس هو الذي اقام هذه الثورة بعد ان عاد على قوله الى حمص واسترد نفوذه السابق فيها غير ان المآخذ التي في ايدينا لا تذكر شيئاً من هذا ولا احد يعلم متى ولم زُج العباس في السجن. ولعلَّ ذلك حدث في تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ٧٤٤ يوم دخلت عساكر مروان دمشق ويوم نبش الناقمون على يزيد لقتله الوليد قبره [٣] وصلبوه فلا يبعد ان يكون اصابهُ في ذلك اليوم ما اصاب بنيهِ في حمص قبل ذلك ولعل ذلك لان الناقمين لم يكونوا ليصدقوا العباس وبنيهِ بان اشتراكهم في الثورة كان على كرهٍ منهم . على كل حال يظهر انهُ لم يقدّر للعباس ان يخرج من سجن حرّان حيًّا . فقد ذكر صاحب تاريخ «الامم والملوك» ان العباس واثنين من المسجونين السياسيين وهما عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والامام العباسي ابراهيم حامل العراق سابقاً توفوا في السجن بالوباء ولكن المؤرخ المذكور لم يذكر متى كان ذلك واكتفى بان قال ان العباس كان في

(١) ٢: ٤٠١ (٢) انظر كتابه « الدولة العربية » ص ٢٣٦ وما بعدها
(٣) لم يقم عليه دليل قاطع فابن قتيبة يخبر عن عبد الله بن عمر أنه مات في السجن « (١٨٧ و ١٩١) وعن ابراهيم انه «مات في سوريا » (ولم يذكر كيف مات)

السجن مع غيره من المحبّسين الذين ارسلهم مروان الى حرّان من الرقة حين قدمها متوجهاً الى الضحاك زعيم الخوارج في تلك السنة (٧٤٦) ومعلوم أن مروان لما قدم حرّان لآخر مرة عام ٧٥٠ بعد ان هزمهُ العدو شر هزيمة على الزاب الكبير امر باخلاء من كان فيها من المحبّسين على انهم لم يذكروا اسم العباس بين من اخلي عنهم وهذا نرجّح انهُ توفي قبل هذا العام ولكن متى وكيف ؟ هذا ما يصعب تحقيقهُ بالتدقيق على اننا نستطيع ان نحدّد السنة التي توفي فيها بما يقرب الى الصحة اذا صحّ الخبر القائل بان العباس توفي وعبد الله بن عمر والامام ابراهيم في وقت واحد فقد ذكر الطبري ان عبد الله أسر في صيف سنة ٧٤٧ يوم فتحت جيوش مروان مدينة واسط [١] وذكر المسعودي [٢] ان الامام ابراهيم زُجّ في السجن في محرّم سنة ١٣٢هـ اي في شهر آب او ايلول من سنة ٧٤٩م وزاد على ذلك قوله ان ثلاثة اشخاص توفوا في السجن في وقت واحد وان وفاتهم كانت قسراً بخلاف ما يقولهُ الطبري ولكن طبقاً لرواية المؤرخ البزنطي تيوفان التي بنى عليها رأيه ڤلهوزن [٣] لانهُ رآها اقرب الى الصحة من رواية الطبري وذلك بخلاف تسترستن. وخلاصة هذه الرواية انهم دسّوا رأس العباس في كيس ملئوه كلساً في درجة الطيان فمات لساعته . على ان ڤلهوزن سهي ان يذكر ان كاتبين من كتبة المسلمين وهما اليعقوبي [٤] والمسعودي [٥] اوردا هذه الرواية في سياق كلامهما عن وفاة الامام ابراهيم لكنهُ يظهر من كلام اليعقوبي والطبري ان روايات المحدثين في العالم الاسلامي عن تلك الواقعة لم تكن وقتئذ متفقة فقد روى المسعودي انهم وضوا على وجوه العباس وعبد الله مخدات وقعدوا عليها الى ان قاضت روحاهما . اذن لم يكن يومئذ اخبار صحيحة يوثق بها عما جرى في السجن بل كانت اشاعات بلغ صداها المؤرخ الروماني تيوفان [٦]

اما ما كان من امر ولد العباس — وما كان اكثر عددهم — فلا احد يعرف شيئاً

---

(١) ٢ : ١٩٤٦ وڤلهوزن الدولة العربية ص ٣٤٥ (٢) Bibl. Geog. Arab ج٨ ص ٣٣٩

(٣) الدولة العربية ص ٣٣٧ (٤) انظر تاريخه ٢ : ٤٠٩ (٥) مروج الذهب ٦ : ٧٢

(٦) ذكر اليعقوبي ما عدا رواية الكلس رواية اخرى مؤداها انهم خنقوا العباس بان القوا على وجهه لحافاً واورد الطبري (٣ : ٤٣ —) ما عدا رواية الوباء روايتين اخريين جاء في الاولى منهما ان الامام ابراهيم دفن تحت انقاض البيت الذي كان يسكنه والذي امر الخليفة بهدمه وجاء في الثانية انه مات مسموماً

حيرة

أفضي اليك بسري أفضي اليك بروحي
يا ليل هل من مدار يا ليل يشفي جروحي

***

في العين دمع عصي وراءه جفن قريح
وفي الضلوع أنين يهفو لكل مليح
أواه مما أعاني بين الهوى والطموح

***

رأت شحوبي فقالت يا للهوى المكبوح
فقلت ليس لهذا حزني ولا تبرحي
وانما ضاق جسمي عن حمل تلك الروح

***

يجيش صدري بصوت دامي الصدى مقروح
إن يبدُ لم يُغنِ إلاّ لثائر او جروح
والليل كم فيه سرٌّ يدمي فؤاد الصريح
كأنما الليل قسٌّ يُغرى بسُودِ المسوح

***

واهاً وواهاً لقلبي واهاً لهُ من جريح
لم يدرِ سهماً رماهُ أتاه من أي ريح

***

يا طير من أي دوح أنا وفي أي دوح
الارض لم يبق فيها من موطن للصريح
مَن لم يُغنِّ لموسى غنى لعيسى المسيح

***

يا روح من أين جئت من حيثما جئتِ رُوحي
سرُّ الحياة أليم يُوحي به واستريحي

محمود ابو الوفا

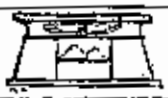

مجدو وآثارها

١ — مرج ابن عامر

سهل فسيح الارجاء منبسط بين جبال الجليل في الشمال والسامرة في الجنوب والكرمل في الغرب ، يضيق قرب حيفا لينفذ إلى السهل الساحلي (سهل عكاء) ، ويخفف من كبريائه فيتصاغر عند جنين (في الجنوب) ، وينحدر في تؤدة شرقاً الى بيسان (غور الاردن) ، ويحرسهُ جبل طابور (ثابور) الجاثم في شماله الشرقي . فلما تقع العين على ازهى من حلته القشيبة التي يكسوهُ اياها الربيع ، حتى اذا جاء الصيف فجرَّده منها يحسر خجلاً من عريه ، وتظفر دموع الأسى من ما فيه فتسير جداول شحيحة فلما تصل الى البحر . فاذا جاءه الشتاء وحنا عليه بسحبه ، هطلت مدامع شكره قوية وتفجرت ما فيه فترعث نهر « المقطع » فتدفق « نهر الوقائع » الى البحر الذي يخطر له أن يوقفه عند الحد فيقيم في وجهه سدوداً من الرمل ، فاذا بالماء تفيض على جانبيه ، واذا المستنقعات منتشرة ، وبها الانوفليس (البعوض الذي ينقل الملاريا) يتكاثر ليخرج الى الناس فيسمهم طنينهُ ، ومن اعلن اشمئزازه من ذلك الصوت ، كان حظهُ لسعة قوية قد تحمل اليه الملاريا وتلزمهُ الفراش جزاء ما صنعت يداه

وليس مرج ابن عامر هذا بمنقطع عن الدنيا رغم انحصاره ، فان الجبال ابت الاَّ أن تتجسر عنهُ قليلاً في اطرافه فكوَّنت له اودية يتصل بها بالسهل الساحلي الشمالي (سهل عكاء) كما مرَّ بنا ، ومكنتهُ من الاتصال بمنطقة بحيرة طبريا والجولة من الشمال (قرب جبل طابور) ومن ثمَّ الى دمشق وما اليها ، كما انهُ يتصل بعجلون وحوران بطريق بيسان . هذا في الشمال ، اما في الجنوب فيتصل بالسهل الساحلي الجنوبي (سهل شارون) بطريق جنين نابلس طولكرم ، وبطريق وادي عاره الجبلي الضيق الوعر ، وبطريق وادي الروحة الغربي

عند ملتقى هذه الطرق وتقاطعها ، وفي نهاية وادي عارة ، وعلى الحد الفاصل بين الكرمل والسامرة ، وبين السهل والجبل ، وفي مكان يشرف على كل اجزاء المرج من اقصاه الى اقصاه ، وعلى بعد نحو ثلاثين كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من حيفا — يقع تل « مجدو »

ولا شك في أن مرج ابن عامر هو طريق الاتصال الطبيعي بين شمالي سوريا وجنوبها ومن ثم بين العراق وآسيا الصغرى من جهة ، وبين وادي النيل من جهة اخرى « وقد كانت القوافل التي تدخل مرج ابن عامر من سهل عكاء ، انما تفعل ذلك لتمر به الى السامرة بطريق جنين او الى شارون بطريق مجدو [1] » . وسيرد فيما يلي دليل ذلك ، ومما يدل عليه ان القديسة باولا (St. Paula) في سيرها من بطليوس (عكاء) الى قيسارية في السنة ٣٨٢ م لم تتخذ طريق الساحل البحرية لكنها اتخذت طريق مجدو [2]

٢ — الحصون

هذا الموقع المهم حربيًا وتجاريًا استرعى نظر الفاتحين ورجال الحكم من اقدم الازمنة الى وجوب العناية بهذه المسالك ، والاحتفاظ بهذا السهل وجعله في قبضتهم ، فسعى كل عظيم الى افتتاحه . وقد اقيمت سلسلة من الحصون والقلاع لتقف في وجه المحارب ، وقد بنيت هذه القلاع قرب منافذ المسالك التي ذكرت ، واهمها بيت شان (بيسان) وتعنّك ومجدو (تل المتسلم) ودور (الطنطورة) على الساحل ، وقد كانت تذكر هذه معاً في احوال كثيرة خصوصاً في اسفار العهد القديم [3] وتكاد مجدو تكون اكبرها قيمة لتوسطها القلاع والطرق . ويلي هذه الاربع في الشأن قلعة تابور التي حصنت مرات عديدة [4] ويقتسام او يقسام (القيمون او الكيمون الآن)

٣ — مجدو

وتل مجدو هذا صناعي يبلغ ارتفاعه ٥٥٢ قدماً انكليزية ، ومساحة قمته نحو ٥٣٦٠٠٠ متراً مربعاً ، ينحدر نحو الغرب والجنوب الغربي انحداراً فجائيًا ، اما الجهات الاخرى وهي المواجهة للسهل فتنحدرها تدريجيّ . الى شماله عين ماء تسمى « عين القبة »

ويعرف التل اليوم باسم « تل المتسلم » ذلك لان احد متسلمي عهد الدولة العثمانية اقام في ذلك المكان ، ولعل اقامته كانت قصيرة اذ لم يكن هناك آثار ابنية متسعة ولا غيرها . والمتسلم موظف عثماني اداري كان يلتزم بلاداً بكاملها فيديرها ويدفع ما عليه من المال اللازم . ويلاحظ ان هذا نظام اقطاعي الى حدّ بعيد

---

(١) Sir George Adam Smith, Historical Geography of The Holy Land, p. 390

(٢) Jerome's Life of St. Paula Ibid., p. 390

(٣) مثل يشوع ١١:١٧ ، قضاة ٢٧:١ ، الملوك الاول ٤ :١٢ والاخبار الاول ٢٩:٧

(٤) راجع تاريخ جبل تابور للقس اسعد منصور ص ٧ — ١٢

وقد عرفت مجدو قديماً باسماء كثيرة منها مجدو كما في يشوع والقضاة ومجدون كما في زكريا (١٢ : ١١) وهرمجدون كما في رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٦ : ١٦) . ومعنى الاسم « تل المعارك » . وقد اعطت المدينة اسمها للسهل المجاور لها فعرف باسم « بقعة مجدو » في عهد العبرانيين . وبقي معروفاً بذلك الى العهد الروماني فان جيروم (٣٤٠ — ٤٢٠ م) يذكره باسم سهل مجدو وسهل اللجون Campus Legionis (١) .

ويرى تمث ان اسم نهر « المقطع » محرف عن مجدو . ولهُ على ذلك براهين لغوية(٢) لكنني مع ذلك استبعد هذا ، وارجح ان المقطع سمي كذلك لتقطع مجراه ، وان كان الاشتقاق اللغوي يحتم ان يكون الاسم « المتقطع » ، لكن تحريف الاسماء يخضع لقوانين الابدال والقلب اكثر من خضوعه لقواعد الاشتقاق

٤ — السكان الاولون

لقد اتضح للذين توفروا على درس فجر التاريخ في هذا الجانب من فلسطين ، ان هذا السهل كان آهلاً بالسكان منذ العصور الحجرية ، بدليل ما وجد من الادوات الصوانية التي ترجع الى العصر الحجري القديم Paleolithic Age حول مجدو وتعنك . وقد وضع العلماء هذه الموجودات في مصاف موجودات الدور الاشيلي Acheulean في اوربا(٣)

ويستدل مما وجد حول مجدو ان هؤلاء السكان كانوا صيادين يعيشون في العراء ، لا مسكن ولا مأوى ، لان الاقليم كان حاراً . فلما غطى الجليد البلدان الشمالية من اوربا ، ومرتفعات الشرق الادنى الشمالية ، وهبت الرياح القارسة على هؤلاء السكان ، لجأوا الى المغاور التي في تلك الجهات واتخذوها مسكناً لهم . وقد اكتشفت الآنسة « غارود » في احدى هذه المغاور ، « مغارة الوادي »(٤) بقايا السكان ، في مكان لا يبعد اكثر من خمسة عشر كيلو متراً عن مجدو

ولعل اهمية مجدو وما جاورها بدت واضحة في الطور الزراعي ذلك لان كل ما يحتاج اليه الزراع ماء غزير وارض خصبة . وارض مرج ابن عامر خصبة ، اما الينابيع فكثيرة في سفوح هذه الجبال لذلك نشأت هناك جماعات زراعية حول جنين وتعنك ومجدو وابوزريق

---

(١) في المتن والطبعة الثانية G. A. Smith, p. 388 (٢) في المتن والطبعة الاولى Zeitshrift des Deutschen Palastina-Veriens (٣) G. A.Smith, p. 387 هناك بحث مفصل للدكتور بيكارد عن العصور الاولى في السهل pp. 66-72 Palestine Exploration Fund, Quarterly Statement 1929 (٤) Zeitschrift des D. P. V.

وابو شوشه والقيمون وغيرها . وقد وجد من الآثار ما يؤيد ان مجدو كانت مركزاً كبيراً من مراكز الحياة في العصر الحجري الحديث Neolithic Age[1]. واهم هذه ادوات صوانية وجدت على سفح التل وبالقرب منهُ

ولم تصل اعمال الحفر الى الطبقات السفلى بعد هناك ، لتعرف اجناس السكان التي استوطنت تلك البقعة ، ولكن الكنعانيين كانوا يقطنون هناك منذ اواخر الالف الثالثة قبل الميلاد ، كما ان الفخار دلّنا على ان الهكسوس (دولة الرعاة) كان لهم فيها شأن

٥ — مجدو في عهد الاسرة المصرية الاولى

كان من جراء التجديد الوطني الذي بدأته تيتي شيري في مصر ، والحروب التي حملتها مع خلفائها على مناوءة الهكسوس ، أن تخلص المصريون من هذا العنصر الغريب الدخيل[2] وطاردوه الى سيناء على أيدي احموس ، ثم قام خلفاؤه من بعده بملاحقة هذا العدو في سوريا ، واحتلال هذه البلاد لضمان سلامة مصر بالاستيلاء على طريقها الطبيعي الى آسيا واوروبا . واشهر من قام بذلك طحتميس الاول . وقد كانت مجدو وتعنك بين المدن التي هاجمها المصريون[3]

لكن بطل الاسرة الثامنة عشرة الحربي هو طحتميس الثالث ، الذي حارب السوريين عشرين سنة متتالية ، واستنفد جهوده وجهود رجاله في سبيل تثبيت سلطان مصر في هذه الاصقاع

اعتلى طحتميس العرش سنة ١٥٠١ ق.م . واخذ يعدُّ للحرب المدة حتى كانت سنة ١٤٧٩ فقام من مصر ماراً بغزة حتى وصل الى «يحم» وعرونه (وهي على الراجح عرعرة اليوم)[4] على نحو عشرة اميال الى الشمال من طولكرم[5]. وكان امام طحتميس ثلاث طرق للوصول الى مجدو حيث كان يعسكر امير قادش ومن معهُ من امراء سوريا الوسطى وامراء الكنعانيين في فلسطين ، وكان هذا الامير قد اقام في مجدو وتعنك ايضاً ليدفع اي خطر . والطريق الأولى الى الشرق هي التي تمر بالقرب من طولكرم ونابلس وجنين وتؤدي الى تعنك وهي اسهل الطرق . والثانية الى الغرب التي تمر بوادي الروحة وتفضي الى مكان على نحو سبعة اميال شمال مجدو . اما الثالثة فهي طريق عرعره ووادي عاره وهي طريق وعر ضيق صعب المسلك ينتهي امام مجدو

---

(١) المكان المذكور قبلا (٢) راجع المقتطف في المجلدين ٦٩ و٧٠ فيهما بحث ضاف عن ذلك العصر في مصر (٣) Elihu Grant, The Orient in the Bible Times, p.193.
(٤) Smith, Hall (٥) طوركرم

وقد اراد الامراء اتباع احدى الطريقين الاولين ، لكن طحتميس اصرَّ على اجتياز الثالثة ، وهكذا كان فسار في طليعة جيشه . وبعد مسير نحو ثمانية اميال منها ستة صعوداً من عرعره (٧٠٧ قدم) الى عين ابراهيم قرب مسموس (١٢٠٠ قدم) واثنان هبوطاً الى عين كبنا ، اشرفوا على مجدو ، بعد ان استغرقت سفرتهم نصف شهر (شهر ايار — مايو)

***

واستعدَّ الجيش المصري في ذلك اليوم للكفاح ، وفي صبيحة اليوم التالي التقى الجيشان المصري والسوري [١] فتقلب الاول على الثاني ، ولف في خط طويل يقرب من الميل الى شمال مجدو ، ثم تقلب القلب بقيادة طحتميس نفسه ودحر السوريين الى مجدو . واشتغل المصريون بالنهب والسلب ، فتمكن امير قادش ومن معهُ من التحصن في مجدو بعد ان رفعوا اليها بالحبال عن الاسوار . فحاصر الملك المدينة ، فخضعت له . «وقد كان احتلال مجدو كاحتلال الف مدينة ، لان كل امير ثائر كان فيها [٢] »

وقد غنم المصريون الاشياء الكثيرة من مجدو ، مما يدل على ما بلغهُ الكنعانيون من الحضارة . فان ٢٩٤ مركبة حربية بيضها مذهب ، و ٢٠٠ دوع ، كانت بين العدد الحربية غير ما استبق من ماشية وو .. وقد دونت هذه الاسلاب على درج جلدي في هيكل امون بطيبة [٣] . وعامل المصريون الاسرى بكل لطف كعادتهم [٤] . واتمَّ طحتميس بعدها سيره الى فينيقيا واحتلَّ صور [٥]

وكان بين الابطال الذين استماتوا في هذه المعركة «رادامانت» «وسوخ» «وروي» . فكافأهم الملك بان عين الاول والياً «للكرمل» والثاني وزيراً له ، والثالث اميراً لجنده [٦] وقتل سوخ رادامنت الوالي وتولى مكانهُ ، وعصى على ملك مصر ، وأعانهُ على ذلك ملك مجدو [٧] . ولما بدأت الدائرة تدور على سوخ في ثورته ، ورأى حلفاؤه بوادر الهزيمة في صفوفه وفلول جنده ، لاذوا كلهم بالفرار وعلى رأسهم ملك مجدو [٨] ورؤساء القبائل الشمالية ، ثم اخذوا يؤلفون في بلادهم احزاباً قوية تسعى للقضاء على السلطة المصرية

---

(١) لعل المعركة التي كانت في تلك الجهات Hall, History of the Ancient East, p. 238
(٢) (٣) (٤) Hall, 239 (٥) اخبار حملات طحتميس الثالث في سوريا منقوشة على جدر الكرنك في طيبة . وهناك خلاصة وافية لها في Hall pp. 233-245 (٦) طاحوني ص ٥
(٧) طاحوني ٢١٧ (٨) طاحوني ٢٣٠

٦ — مجدو زمن الفتوح العبرانية

بقيت مجدو مركزاً من مراكز الحياة الكنعانية ، ولعلها حذت حذو بقية المدن السورية التي اغتنمت ، فيما بعد ، فرصة اعتلاء عرش مصر ملوك من غير رجال الحرب الذين كان آخرهم احناتون ، فانسلخت عن الامبراطورية المصرية . وقد حافظت على كنعانيتها ايضاً امام الفلسطينيين الذين هبطوا السهل الساحلي الجنوبي في القرن الثاني عشر ق.م والذين لم يلبثوا ان بسطوا سلطانهم على كل السهل الساحلي ثم على مرج ابن عامر الى بيت شان (بيسان) [١] . وعلى كل فلم يرد ذكر مجدو مدة طويلة . وقد شاركت عنك وما اليها مجدو في هذا الصمت الطويل . ولعل موالاة التنقيب في التل تكشف لنا عن حقيقة ما تم في هذه الفترة الحادثة

فلما كانت حملة العبرانيين على هذه البلاد ، واستيلائهم على فلسطين بقيادة يشوع ، وتقسيمه البلاد بين الاسباط اليهودية ، عاد اسم مجدو الى الظهور . فقد كانت بين المدن الاحدى والثلاثين التي ضرب يشوع وبنو اسرائيل ملوكها في عبر الاردن [٢] . ثم قسمها يشوع فكانت مجدو وقراها المرتفعات الثلاث في حصة منسى [٣] . ويتضح من متابعة التقسيم ان ما خص منسى كان مرج ابن عامر بكامله [٤]

ولم يستطع بنو منسى أن يملكوا هذه المدن ، فعزم الكنعانيون على السكنى في تلك الارض ، وكان لما تشدد بنو اسرائيل ، انهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردوهم طرداً [٥] . والسر في عجز بني منسى عن امتلاك البلاد يعود الى ما كان عند الكنعانيين الساكنين في ارض الوادي وبيت شان ووادي يزرعيل من المركبات الحديدية وخلو ايدي بني منسى منها [٦]

وقد بقيت مجدو وعنك وما اليها بايدي الكنعانيين الاشداء ، الذين تمكنوا من المحافظة عليها بقوة مركباتهم الحديدية الى زمن دبورة القاضية النبية . وبذلك كانت منافذ فلسطين في ايدي الكنعانيين ، كما انهم كانوا يفصلون قبائل العبرانيين الشمالية عن الجنوبية [٧]

---

(١) يرى السر جورج ادام سمث (Hist. Geoq. p. 402) أن الفلسطينيين دخلوا مرج ابن عامر بطريق مجدو نفسها . ومع اننا لا نستبعد ذلك فان تحقيق هذا الامر متوقف على ما قد تظهره المفريات هناك . لكننا نشير الآن الى امر يؤيد رأي السر جورج سمث ويظهر ان مجدو تأثرت كثيراً بالفلسطينيين وهو أن المنقبين وصلوا في بعض الجهات الى الطبقة الخامسة ، وقد وجدوا هناك تأثيراً فلسطينياً (٢) يشوع ١٢:١٧ (٣) يشوع ١٧ : ٩ـ١١ (٤) يشوع ١٢:١٧ و١٣ وقضاة ١ : ٢٧ (٥) يشوع ١٧ : ١٦ (٦) G.A.Smith, p.392

٧ — مجدو في زمن المملكة العبرانية

ان معركة تيشون بين باراق القائد العبراني وسيسرا الكنعاني ، التي كانت حوالي السنة ١٢٠٠ ق.م [١] . والتي كانت دبورة هي المحرضة عليها ، قد جرت على مرأى من مجدو . وقد كان على هذه وتعنك أن تحرسا مؤخرة الجيش الكنعاني، وتكونا ملجأ لفارين ومدداً للغيرة . الا أنهُ من المهم أن نلاحظ أن مقر سيسرا كان في حروشة الامم [٢] . ومما يدل على أن المعركة كانت قريبة من مجدو قول دبورة «جاء ملوك حاربوا. حينئذ حاربوا ملوك كنعان في تعنك على مياه مجدو » [٣] والمقصود بمياه مجدو هنا تيشون (القطع) [٤]

والذي نستغربه انه بعد هذا الانتصار الذي احرزه العبرانيون لم نسمع انهم ساروا جنوباً فاحتلوا مجدو او تعنك . وهذا يمكن تعليله اما بشعور العبرانيين بعجزهم امام قوة الحصنين ، وهذا ما نرجحه ، واما بقلة اهميتهما . وهذا ما نستبعده

وقد اشتبك شاول مع الفلسطينيين في حرب كان شرها مستطيراً ، واكبر معاركها معركة « وادي جلبوع » [٥] التي انتصر فيها عليهم . وامل الفلسطينيين دخلوا مرج ابن عامر بطريق مجدو [٦].

ويعود اهتمام اليهود الفعلي بمجدو وتعنك الى زمن سليمان (٩٧٥—٩٣٧ ق.م) . الذي عني بتجارة شبه عناية خاصة ، وبذل ما استطاع في سبيل تأمين الطرق التجارية . فانه بنى سوراً وقلعة لمجدو وتعنك [٧] ، كما انه اقام بعنا بن اخيلود والياً عليهما وعلى بيسان [٨] وقد يكون الذين حصنوا مجدو هم العمال الفينيقيون [٩]

في السنة ٩٤٧ ق . م . تولى شيشق الاول عرش مصر ، واستطاع توحيد مصر العليا والسفلى مرة اخرى . واهتم باقامة ردهة كبيرة في معبد الكرنك، كما انه عني بتزيين هياكل امون . وكان سليمان قد توفي في تلك الاثناء (٩٣٧ ق . م .) .وقد انشقت المملكة العبرانية على نفسها ، وكانت اخبار الغنى الفاحش الذي لسليمان قد اطمعت المصريين في نهب البلاد. ولعل شيشق اتخذ اهمال شأن ابن لسليمان (؟) من ابنة فرعون مصر حجة على خصمه

---

(١) Hall, p. 409 (٢) هي الحارثية اليوم على نحو عشرة اميال الى الشمال من مجدو
(٣) قضاة ٥ : ١٩ (٤) تفاصيل هذه المعركة وترنيمة دبورة موجودة في قضاة ص ٤ و٥
(٥) تفاصيل هذه المعركة موجودة في صموئيل الاول ص ٢٨ — ٣١ وهناك بحث في قيمة هذه التفاصيل التاريخية في G. A. Smith, p. 402 (٦) G. A. Smith, pp. 400-404
(٧) الملوك الاول ٩ : ١٥ (٨) الملوك الاول ٤ : ١٢ (٩) تجد تفصيل ذلك في آخر المقال.

ملك يهوذا رحبعام [١] وعلى كل ففي السنة الخامسة من حكم رحبعام اي سنة ٩٣٣ [٢] ق . م . صعد شيشق ملك مصر الى اورشليم واخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك واخذ كل شيء واخذ جميع اتراس الذهب التي عملها سليمان [٣]

ونقش شيشق اخبار حملته على جدران الكرنك مع الصور اللازمة. وذكر اسماء المدن التي احتلها ، مبدئاً ببعض مدن شمال فلسطين [٤] الخليل [٥] ، ثم اتبعها بمدن يهوذا . وكانت مجدو بين المدن التي احتلها، مع انه لم يرد لها ذكر في اخبار التوراة. وقد ظن ان هذه الاسماء لا تمثل حقيقة البلاد التي احتلها شيشق. وانما هي منقولة عن احدى لوائح عصر الملك سليمان [٦] لكن اكتشاف نصب شيشق في مجدو اثبت انه احتلها ، ولعله حرقها ايضاً

ومع ان ملوك اشور ثاروا في فلسطين، واحتلوا السامرة وحاصروا اورشليم، واخترقوا البلاد الى مصر، فان مجدو لم تذكر في حروبهم [٧]

وفي زمن يهورام بن اخاب ملك السامرة والنصف الثاني من القرن التاسع ق. م.) جاء اخزيا ملك اورشليم الى يزرعيل حيث كان يقيم يهورام. وكان ياهو زعيم الثورة الدينية على يهورام وامه الفينيقية ايزابل زوج اخاب، قد تقوّى كثيراً في ذلك الوقت. ولعل اخزيا جاء لمساعدة يهورام على اخضاع الثائرين . فقاتلهما ياهو فقتل يهورام في يزرعيل وضرب اخزيا فهرب الاخير الى مجدو ومات هناك [٨]

وآخر مرة ورد ذكر مجدو في عهد الفراعين كان في اخبار حملة نخو فرعون مصر في السنة ٦٠٩ ق. م. الذي قاد جيشه لمقاتلة الاشوريين في كركيش فاعترض يوشيا ملك يهوذا مقاتلته، فقاد جنده الى بقعة مجدو حيث كان نخو مزمعاً ان يمر، والتقيا هناك، واصاب الرماة الملك يوشيا فقتلوه، ونقل جثمانه على مركبته الثانية الى اورشليم [٩]

[يتبع] عكا فلسطين نقولا زيادة

---

(١) Petrie, p. 72 Egypt & Israel (٢) Petrie 73 (٣) الملوك الاول ١٤ : ٢٥ و ٢٦
(٤) Petrie p. 78 (٥) Blunt, Israel's Place in World History p. 38
(٦) Petrie, p. 74 (٧) لعل ذلك يعود الى احتلالهم السامرة واتخاذهم طريق بيسان جنين السامرة الخ بدل طريق مجدو كما فعل الرومان واليونان في القرنين الاول والثاني ق . م . (٨) الملوك الثاني ٩ : ١١ — ٢٨. ويزرعيل هي زرعين اليوم على ١٢ ميلا جنوب الناصرة . كانت الاولى في الشمال بعد السامرة منذ عهد آخاب فكان يصرف هو وخلفاؤهم اكثر وقتهم فيها (٩) الملوك الثاني ٢٣ : ٢٩ و ٣٠ والاخبار الثاني ٣٥ : ٢٠ — ٢٢٤

السياسي الكبير سمسار آراء

وصلة بين الخبير والجمهور

كل ما يتعلق بالديمقراطية ومصيرها جدير بعناية المثقفين من ابناء العصر . وقد نقلنا في مقتطف يوليو الماضي الجانب الاول من مقالة الدكتور هارولد لاسكي استاذ علم السياسة في جامعة لندن بعنوان « هل تسلم الديمقراطية في ايدي الخبراء » جاء فيه على ما يشور سبيل الخبير من الصفات لدى تصديه للزعامة في الشؤون العامة . وها هو ذا يبين في هذا المقال ان صميم مهمة السياسي هي اقامة صلة بين الخبير والجمهور

قد نستطيع ان نحسن تفسير ما نريد تقريره ان نحن قلنا ان التخصص وهو يعني ضرباً من الفهم التحليلي لمجموعة خاصة من المعارف يُفقِد القوة على فهم هذه المجموعة عينها فهماً اجماليًّا ومن حيث علاقتها بنواحي الحياة المتباينة ، وهذا الفهم التحليلي انما يشتريه الانسان على حساب فقدانه لون الحكمة اللازمة لتصريف الشؤون العامة . فالطبيب يميل الى اعتبار الناس على انهم مرضى والمعلم على انهم تلاميذ وينسى اصحاب البنوك ان ثمة « انسانية » في رجال لا يملكون دفاتر تحاويل مالية . واتباع اشتراكية ماركس يرون بواعث اقتصادية مشوقة في كل نزعة الى الحكم

ذلك ان الانسان اذا عاش معيشة خاصة به متباينة عن معيشة الناس العادية اصبح تفكيره مختلفاً عن تفكيرهم . وكون المرء يعيش رجلاً اختصاصيًّا ضمن حدود مجموعة صغيرة من المعارف الانسانية ثم الانقطاع لها ، معناه انهُ يقيس ثمرات اختبارات الانسانية المعتبرة كثمرات تاريخ طويل من تجارب الناس ، بالمبادىء والمقاييس التي تقوم عليها دائرة اختصاصه . والحكمة في ادارة شؤون الحياة وتفهمها التفهم الصحيح لا تأتي من مثل هذا السبيل . فكون فرد من الناس اختصاصيًّا في تاريخ فرنسا في القرون الوسطى ، لا يعني ان هذا الفرد يصلح للفصل في مشكلة السارصة ١٩١٩ وكون آخر طبيباً ماهراً في السجون لا يعني انه اهل للبتّ في وضع اصول القانون الجنائي ، وبراعة القائد في فنون الحرب لا تمكنه من الحكم في تخفيض التسليح ، كما ان العالم الانثربولوجي لا يصلح لانهُ عالم بعلم الانسان ، ان يكون حاكماً لمستعمرة افريقية . ولا بد من النظر المشارف للوصول الى حكم

صحيح . لان شدة امعان النظر يفقد الاختصاصيَّ القدرة على حفظ الاتزان والتناسب بين اجزاء الموضوع وليس اشد اضراراً بالحكومة الفاضلة من ان يجعل الحاكم الاختصاصي نظرته الخاصة مقياساً لما تتطلبه حاجات الاجتماع

فالدول لا تنجح في محاولتها تنقيص التسليح حين يجتمع لذلك القوَّاد وامراء البحر واعوانهم من الخبراء الحربيين ، ولا هي تتقدم تقدماً تشريعيًّا عن طريق المؤتمرات التي تعقدها جمعيات المحامين . وقلما اسفرت مؤتمرات المعلمين عن اي تقدم محسوس في وسائل التربية والتعليم. والظاهر ان الحاجة ماسة في مثل هذه الاحوال الى عقل متفوق يستطيع ان ينظر الى المسألة نظراً مشارفاً ويوفق بين تياراتها المتعارضة واجزائها المختلفة . قال السر وليم هاركورت ان «رؤساء الدوائر السياسيين هم الذين يدلون موظفي الحكومات المدنيين على الاشياء التي لا يطيقها الجمهور». ومن هنا نستطيع ان نرى مقام الاختصاصي في الشؤون العامة ، فهو خادم نافع ولكنه سيد لا يطاق. وهو يستطيع ان يكشف لك عما يحتمل وقوعه اذا جريتا على هذه الخطة العملية او تلك ، ولكن من مصلحة جمهور الشعب الا نعهد اليه في استنباط الخطط وتنفيذها

وكل نظام سياسي يعتمد على الخبراء في انشاء الخطط الاجتماعية يكون عرضة لنمو شرور البيوقراطية (تحكم الموظفين الدائمين) فيه ، ولنظام من هذا الضرب ينقصه النظر النافذ الى التحول في نفسية الجمهور ويكتفي بعرض عقاقيره كعلاج ناجع لادواء الناس من دون اي اعتبار لحاجتهم او عدم حاجتهم اليها. ويصبح رجال هذا النظام مكتفين بما يفعلون فيخلطون بين تلهجه الفنية وبين مقتضيات الحكمة الاجتماعية. ويعجز الاختصاصي عن تبين حدود الدائرة التي يمكن لوسائله ان تنفذ فيها التنفيذ الفعال، لانهُ بطبعه البعيد عن العامة يجهل تفكير هذه الطبقة من الناس ويندر ان يعرف كيف يكشف عمَّا يجول في صدورها . فشدة انقطاعه الى دروسه في مكتبته او معمله تجعلهُ ينظر الى نفسية العامة نظرهُ الى كتاب مغلق ، واذا هو وفَّق الى معرفة شيء من افكارها وتزعاتها تعجز عن حسن التصرف بها اضف الى ذلك انهُ لم يتعلَّم كيف يقنع الناس بقبول ما لا يفهمونهُ من الاشياء الا لصفة فيهم، وانهُ بعيد عن حياتهم فصالحهم وآمالهم ومخاوفهم لا تشغل بالهُ لانها ليست مادة درسه . وهو لا يدرك أن اساليب اختصاصه الفنية لا تستطيع ان تقنع الناس لانها تعجز عن ان تصطنع اللغة المتعارف عليها بينهم ، وهو في نظر العامة بعيد عنها مجرَّد من حياتها غريب عن اساليبها . ولا بدَّ من تدخُّل الرجل السياسي ما بين الخبير وجمهرة الناس ليجعل تطبيق ما يقول به الخبراء ممكناً

هذا هو في الواقع اهم واجبات السياسي اذ هو يمثل النظر السليم من حيث علاقتهُ

بنتائج الخبراء . فيعين حدود الممكن والمستحيل . ويقيس ما يستطاع تنفيذه في حالة معيَّنة وجمهور معيَّن . والرجل الذي قضى السنين في الشؤون العامة يجيد تناول الناس واستخدام مواهبهم والتوفيق بين آرائهم المتعارضة ؛ ويتعلم بالخبرة البت في الامور بالبداهة دون ان يبين اسباب ذلك البت ، ويستطيع ان يحكم بالبداهة ايضاً على النتائج المرجحة لتنفيذ مبدإٍ من المبادىء ، فيجيء السياسيّ الى منصبه الجديد وهو قادر بفطرته وخبرته على توحيد جملة اوجه متباينة من آراء المحققين ، ويخرج منها للناس وحدة كأنها نظام تام التناسق . اضف الى ذلك انهُ يدرك مواطن الاقدام والاحجام ويعرف كيف يثق بوحي النفس دون كبير اعتناء بمنطق العقل . اما تربية الرجل المتخصص فهي بالاجمال ، ماحقة لجميع هذه الصفات التي برَّ ذكرها مع انها من اشد الصفات لزوماً لمن يضطلع بزعامة الجماهير ، وهذا هو السبب في ان المصلحين ومن هم في حكمهم قلما ينجحون في الشؤون السياسية ، والرجال المتخصصون تفصمهم بحكم فقدانهم تلك الصفات ، سجية اقناع الجماهير ، والحكومات العصرية لا يمكن ان يضطلع بها لاضطلاع الحق رجلٌ لا يحسن اقناع الجماهير

وليس ادعى الى العجب في الدوائر العامة من رؤية فرد نابهٍ من رجال السياسة العامة يسوق امامهُ جماعة الاختصاص من الموظفين . فانت تجد ذلك السياسيَّ لا يعرف عن شؤون ادارته مثل ما يعرف اولئك المتخصصون . ولكنهُ هو الرأس المفكر المنظم بينهم ، وليس يندر انك تجده يؤثر فيهم حتى يجعلهم يؤمنون بالشيء الذي كانوا يشكون به من قبل ، والفرق الوحيد بين رجل سياسي عظيم وبين آخر خامل ، انما هو فرق في المقدرة على حسن استعمال موظفيه . ويتوقف نجاح الرجل السياسي على حذقه في ان يتخذ الخيوط التي تخرج من مصانع الاخصائيين الذين هم تحت اشرافه وادارته ويحيك منها سياسة عامة متسقة الاجزاء . فكل من يعرف اعمال اللورد هلدين في وزارة الحربية الانجليزية منذ سنة ١٩٠٦ — سنة ١٩١٦ ، او اعمال المستر هندرسن في وزارة الخارجية في خلال السنين الماضيين ، يمكنهُ ان يفهم العلاقة التي يجب ان تكون بين الرجل السياسي وبين موظفيه الاخصائيين . وصميم تلك الصلة انما هو في ان يكون البت النهائي العملي فيما يرتئيه جماعة الاختصاص يد آخر غير متخصص . وهذه الحقيقة هي التي تكسو اي قرار من قرارات البت النهائي ثوب التناسب والتناسق ، واية وزارة من الوزارات يكون افرادها كلهم من المتخصصين لا يمكنها ان تبتدع سياسة ناجحة ، ذلك ان كفايات اولئك الوزراء الاختصاصيين اما ان تصطدم بعضها ببعض اذا كانت الوان اختصاصهم متباينة ، واما ان تكون نظراتهم العامة للامور لا قيمة لها لانها تقوم كلها على اساس واحد . اما الرجل غير الاختصاصي

الذي يشرف على آراء الاختصاصيين ، فانهُ يسعى الى التوفيق بين آرائهم من جهة وبينها وبين روح العالم وسارف الناس من جهة اخرى ، ويدخل في هذا كله الآراء الخاصة وضيق النظر

وليست السياسة في صميم حقيقتها فلسفة من الآراء الفنية ، وانما هي فن يتناول الشؤون العملية ، والرجل السياسي لازم لتنظيم ذلك الفن لانهُ يعمل بصفة كونه سماراً للآراء ، ومن دون توفيق هذا السمار لا يمكن ان تقوم بين الجماهير وبين منتجات الاختصاصيين صلة من الصلات

ولقد قال « ارسطو » ان حكم الضيف على جودة طعام الطعام افضل من حكم الطاهي نفسه — ومهما يبلغ بنا حب الاعتماد على الاختصاصي ، ففي الواقع ان نجاح اية سياسة يتوقف على رأي الجماهير لا على رأي الاخصائيين فيها فقط . ذلك ان الجماهير هي التي تعيش في ظلال تلك السياسة وتختبر الوان صلاحيتها او عدمها ، واعمال الحكومات لا يكفي في الحكم لها او عليها اعتماد رأي الاخصائيين وانما القول الفصل في ذلك يرجع الى الشعب ، وهذا هو اصح قياس لقيمة أية حكومة من حكومات العالم . وما من خطة عمرانية قامت ضد رغبات الجماهير واستطاعت ان تطول بها العمر ، وانه لخطر حقاً الا تقدر رغبات الجماهير في مثل هذه الاحوال ، والاسراف في تجاهل الجماهير هو خطر دائم ، وكثير مما يوضع اليوم حول فن الحكم واصوله ، يقوم على هذه البدعة الجديدة التي تقول بعدم خطر الرجل العامي في اصول الاجتماع

ونحن نعلم مثلاً جهل الرجل العادي بما تنطوي عليه مسألة النقد الذهبي ، من الشؤون المعقدة ونعلم ايضاً انه من الجهل ان نعود اليه في مسألة من مثل توليد القوة الكهربائية ، ولكن كون الرجل العادي يجهل هذه الامور الفنية ، ولا يعنى باساليبها ، لا يؤيد حق الاختصاصيين في الاستقلال بآرائهم في تلك الامور ، ذلك ان نتائج عيار الذهب هي اشياء ظاهرة الاثر في حياة الرجل العادي ، ونتائج الانتظام في نظام توليد الكهربائية مثلاً تبدو في حياته كل يوم . وفي الاجمال ، فكل ما من شأنه ان يفصل ما بين الرجل العادي وبين ما تفعلهُ الحكومات في الشؤون العامة يزيد عجز الحكومات عن القيام باعمالها ، وليس بعيض عن ذلك كون الرجال الاخصائيين فيها فعلوا ما فعلوهُ عن حسن نية منهم ، او كون الحكومة تبدي في تنفيذ آراء الاختصاصيين دقة وبراعة لان الجمهور لا يعرف النتيجة الا كما يختبرها . والاختصاصي لا يستطيع ان يتجه في الجهة الصحيحة الا اذا انضى اليه الرجل العامي برأيه

فاحكام الرجل العامي هي الاساس الذي يجب ان يبني عليه الرجل المتخصص ان هو اراد النجاح فيما يبنيه . ومن هذه الاحكام ، في مجموعها الكلي ، تقيم كل امة موازين اجتماعها . وحدود كل عمل عام انما هي هذه الموازين . فما يستطاع عملهُ في امة من الامم ،

ليس ما يراه الخبير واجباً ، وانما ما تسمح به موازين العامة . فآمالها ورغباتها واتجاهاتها او اعراضها واندفاعها او تلكؤها تقيم لكل عمل حدوداً . لذلك يشير السر ارثر سولتر — وهو خبير اختصاصي كبير — بوجوب انشاء لجان استشارية في كل دوائر الحكومة لتكون صلة بين آراء الخبراء ونزعات الجمهور . فيتعلم الجمهور الثقة من جهة بخطط الحكومة والخير الاتزان والاتساق في ابداء الرأي وانشاء الخطط

وما من عصر احتاج فيه الانسان الى التدقيق في فحص ما يدعيه الاختصاصيُّ مثل عصرنا الحاضر ، وما من عصر اصبح فيه من الضرورة القصوى ان ينظر فيه الاختصاصي بين الشك الى كل مدعياته . فنحن نعيش في زمن زودتنا فيه المخترعات العلمية بقوة مادية لا يقلُّ احتمال تحويلها الى قوة مضرة عن احتمال تحويلها الى قوة نافعة ، والخطر الذي يهدد الانسانية من جراء هذه الاحتمالات هو خطر دائم ، فتضينا الزيادة المضطردة في تعقيد شؤون الحضارة ووسائلها ، انسانية الناس وشخصياتهم ، وهذا الجو المضطرب من نفسية الجيل الحاضر ، قد يتكشف عند اول ضربة من ضربات القدر عن مبلغ تزعزع انظمتنا الاجتماعية ، وبين عظم الهوة التي تفصل ما بين الحكام والشعب ، ممَّا لا يمكن لاية وسائل فنيَّة ان تردمها

واذن فالواجب علينا هو السعي لتلافي هذا ذاكرين انهُ لا توجد طائفة من الخبراء بلغت من الحكمة والاخلاص مرتبة تسوّغ لنا وضع مصير الانسانية في ايدي رجالها . وكون المتخصصين هم اهل تخصص يعرضهم لخطر التضحية بالحياة كلها على مذبح ناحية واحدة منها هي ناحية تخصصهم . وليس هناك من سبيل الى خلاص المتخصصين من اخطار هذه النظرة الضيقة الا بمراعاتهم نفسية الرجل العادي وعقليته ، ونحن نحسب ان سلامة الانسانية تتوقف الى حد بعيد على دوام هذه المراعاة وانمائها

ولكن ليس من السهل اليوم ان نتوصل الى هذه النتيجة . ذلك ان جماعة التخصيص في هذا العصر يتمتعون بمنزلة لا تقل عن منزلة الكهنة في عصور الانسانية الاولى ، اذ كلتا الفئتين تعالج اسراراً ليس من شأن العامة ان تفهمها ، وما لم نجد لوناً من الوان التوافق العالي والاختصاصي تظل الانسانية في خطر من التصادم بينهما

هذا ويجب الاَّ ننسى ان ايجاد هذا التوافق يقتضي تطوراً خطيراً في اصول عاداتنا وانظمتنا الاجتماعية ، واول ما يجب فعلهُ هو احداث ثورة في اصول التربية والتعليم كما نمرنها اليوم ، وتغيير اشكال انظمتنا . ولعلَّها المرة الاولى في التاريخ التي تحتَّم فيها على الناس ان يبنوا الحياة التي يريدون ان تكون من نصيبهم ، وفي تبيينها يجب ان يذكروا ان النجاح يتوقف على مقدرتهم في ادماج آمال الرجل العادي ونزعاته في نواحيها المختلفة

كيف وصلت الى طريقتي في

علاج داء ادمان المخدرات

بخلاصات الغدد الصماء

بحث مبتكر للدكتور فرا

لما انتشر داء ادمان المخدرات في القطر المصري وانتبه الرأي العام الى الاضرار الجسيمة التي نشأت عنهُ عمدتُ الى درس هذا الموضوع درساً مطوّلاً . ولما كان الافيون ومشتقاتهُ كالمورفين والهيروين والبكودال وخلافها هي المواد المخدرة الاكثر انتشاراً فقد اختصصتها في هذا الدرس . فطالعت مؤلفات عديدة باللغة الفرنسية لاطباء اختصاصيين في علاج هذا الداء منها ما يقتصر على ايراد رأي المؤلف فقط ومنها مايشرح آراء اختصاصيين من مختلف الشعوب بلا تحيُّز ولا تحامل ومنها ما يفنّد آراء البعض ويجذّذ آراء الآخرين

وهاك ملخص ما تجمع لديَّ من هذه المطالعات الواسعة النطاق :

(أ) — الوجهة النظرية

ان فريقاً من هؤلاء الاختصاصيين لا يرى في المدمن الاّ شخصاً منحوساً او خاملاً ضعيف العزيمة او سفيهاً سافلاً لا همّ له الاّ السعي وراء لذة الكيف اي النعيم الوهمي . وآخر ينسب السقوط في ادمان المخدر الى استعداد شخصي اي ضعف سابق في القوى العقلية

وثمة فريق ثالث ينظر الى المدمن كمريض جسماً وعقلاً في آنٍ واحد فمنهم من يرجح فيه صفة العلة او الرذيلة مع اعتباره مريضاً مرضاً جسميًّا ايضاً . ومنهم من يرجح فيه العلة الجسمية ترجيحاً كليًّا وذلك بالنظر الى الاعراض المرضية الشديدة التي تعتريه والآلام المبرحة التي تنتابه متى رام التخلص من دائه وعمد الى قوة العزيمة طارحاً المخدر جانباً فلا يقوى على ذلك طويلاً بل تراه يُغلب على امره ويعود الى تعاطي المخدر رغم صحة عزيمته وعقله

وهنا لا ارى بدًّا من الاشارة الى ان حكم الفريقين الاولين انما يرتكن الى احصائيات تتناول على الغالب المدمنين الذين أُرسلوا الى ملاجيء المتوهين على أثر مضاعفات عقلية ولكنها لا تشمل غيرهم من المدمنين العاقلين

ولم يذهب واحد من هؤلاء الاختصاصيين الى ان داء ادمان المخدر هو مجرد مرض تسمّمي كالتسممات الاخرى له مميزات خاصة ولكن لا علاقة له مبدئيًّا بالقوى العقلية

٢ — الوجهة العلمية

ان اكثر الاعراض السريرية التي تظهر على المدمن في اثناء حالة الاحتياج الى المخدر ترجع الى حالة (Vagotonie) اي نشاط العصب الحائر . واني اوجّه نظر القارىء الى هذه النقطة الاساسية لاني سأعود اليها في ما يلي

٣ — الوجهة العملية او العلاج

قد حاول الاختصاصيون معالجة مدمني المخدرات بطرائق متنوعة لا مجال لسردها هنا بالتفصيل . انما اقول بالاجمال ان كل اختصاصي قد رسم خطة في العلاج تنطبق على رأيه وكل منهم يحبّذ طريقته طبعاً ويسرد النتائج الحسنة التي وصل اليها في منع المخدر عن المدمن . ولكن لم يقُلْ احد منهم بان طريقتهُ مضمونة النجاح حتماً في عدم العودة الى تعاطي المخدر بعد العلاج . بل على الضدّ فان اكثرهم يجاهر بان حوادث عديدة آلت الى نكسة . ومنهم من أورد احصائيات تبين نسبة حوادث النكسة الى عدد الحوادث التي عالجها وهي نسبة لا يستهان بها . ولم يتوصل احدهم الى تحديد علة مرضية اساسية يصح ان تعدّ سبباً مباشراً لحصول النكسة بل هم يكادون يجمعون على اسناد النكسة الى اسباب نفسانية تكون الشيمة والميل الى لذة الكيف والضعف العقلي وما اشبهُ . وبالطبع فان احداً منهم لم يُسند حصول النكسة الى نقص في العلاج . مع ان البعض منهم قد جاهر بانهُ لم تزل توجد امور غامضة يجب البحث عنها لجلاء ما نعرفهُ عن حالة المدمن المرضية والوصول الى تعليل الاعراض التي تنتابهُ في حالة الاحتياج الى المخدر

والخلاصة فانهُ رغم تعدد طرائق العلاج المعروفة لم تفلح واحدة منها فلاحاً تامًّا في ازالة الدافع القهري اي حالة احتياج المدمن الى المخدر حتى بعد العلاج . اذ ان من المدمنين الذين عولجوا مَنْ عاد الى تعاطي المخدر بعد بضعة ايام ومنهم بعد شهر تقريباً

نعم انهُ قد ورد ذكر حوادث قليلة شفيت شفاء تامًّا . وسأشرح تعليل ذلك فيما بعد

سلسلة أبحاثي

بعد هذا اخذت افكّر في امر جزيل الشأن وهو : ان المدمن الذي يسعى من تلقاء نفسه بعزيمة صادقة الى التخلص من دائه قد يعاني اثناء حذف المخدرْ بطرائق العلاج المعروفة آلاماً شديدة مبرّحة . فهل يُعقل ان مَنْ قاسى آلاماً كهذه يعود الى تعاطي المخدر لمجرّد لذة الكيف ؟ عندئذٍ لاحت لي فكرة وهي : قد يحتمل ان التسمم المزمن بالمخدر يورث المدمن علة مرضية تدفعه عاجلاً او آجلاً الى العودة لتعاطي المخدر بعد العلاج لان

هذا العلاج قد اقتصر على حذف المخدر فقط مع بقاء هذه العلة على حالها

والشأن ابحث عن هذه العلة . ولكن لم يسعفني الحظ للوصول الى معمل بيولوجي مستعد لاجراء اختبارات فنية على الحيوانات القريبة للانسان . فلم يكن لي مناص من الالتجاء الى الابحاث الاخرى من مبادىء فيسيولوجية واقرباذينية او اعراض سريرية وما اشبه

الخلفة الدوائي

ان احدى طرائق العلاج المعروفة هي العلاج بالاتروبين ارتكاناً الى ما هو ثابت علمياً من التناقض (Antagonisme) بين تأثير المورفين والاتروبين

بحثت عن منشإ هذا التناقض فلم اجده في التركيب الكيماوي. ولكن مانكا (Manquat) ذكر في مؤلفه الدراسي الشهير في علم الاقرباذين ما ملخصه : « ان التناقض بين المورفين والاتروبين هو ظاهري فقط . اما في الواقع فان التناقض يوجد في تأثير كل منهما على العصب الحائر (Nerf Vague) والعصب السمباوي (Nerf Sympathique). على ان استعمال الاتروبين كنقيض للمورفين لا يفلح الا في علاج حوادث التسمم الحاد اما في احوال التسمم المزمن فلا فائدة في استعماله [1] »

ان المبادىء الفيسيولوجية تعلمنا : (١). ان العصب السمباوي والعصب الحائر هما نقيضان وان قوتيهما يجب ان تكونا متكافئتين في حالة الصحة . فاذا رجحت قوة احداهما على الآخر اختلت الموازنة في اتمام وظيفة العضو الذي يأمر بامرها وينشأ عن ذلك اعراض مرضية تتفاوت شدة بتفاوت درجة هذا الخلل :(٢) ان تأثير العصب الحائر على القلب هو انقاص عدد النبضات اما تأثير العصب السمباوي عليه فهو زيادة هذا العدد :(٣) ان الاتروبين يكبح العصب الحائر وقد يشله ايضاً اذا كانت الجرعة كبيرة

وقد اثبتت اختبارات هيم دي بلزاك Heim de Balzac انه اذا استعمل الاتروبين حقناً متتالياً تلاشت قوة العصب الحائر تدريجاً. فترجح اذ ذاك قوة العصب السمباوي بنسبة ضعف نقيضه اي العصب الحائر وعندئذ يسهل دوس نسل العصب السمباوي فان اقل اجهاد في هذه الحالة كحركة المشي مثلاً او الوقوف وقتاً طويلاً يزيد نبضات القلب حتى الخفقان» [2]

ثم ان الفيسيولوجي الشهير لوى دي جراتز (Loewi,deGratz) قد نشر في اوائل سنة ١٩٢٩ بعض نتائج من ابحاثه واختباراته التي كان قد ابتدأ بها منذ سنة ١٩٢١ لمعرفة السر او العامل

(١) A. Manquat-Therapeutique; Tome III; 6 edition; 1913 p.472-475
(٢) Bulletin de la Societe de Medecine de Paris, seance du 12 Avril 1929; No7, p. 192

الذي يولّد القوة التي تتسلط بها الاعصاب على العضو الذي يأمر بأمرها. ومن هذه النتائج :

(١) انهُ لدى تهيج العصب السمبتاوي او العصب الحائر وعلى الخصوص فروعها التي تنتهي في عضلات القلب ينشع من منتهى هذا العصب شبه سائل طيار (perfusat) يحوي مادة تؤثر في الياف العضلة التي ينتهي اليها هذا العصب . وهذه المادة هي السبب المباشر لانكماش هذه العضلة . (٢) ان الاتروبين يفني السائل الذي ينشع من العصب الحائر كما ان الارجوتامين يفني السائل الذي ينشع من العصب السمبتاوي[1] . وحيذا لو أجريت اختبارات كهذه لمعرفة فعل المواد المخدرة في هذين العصبين والسائل الذي ينشع منهما

علمنا اذن مما تقدم : اولاً — ان العصب السمبتاوي والعصب الحائر هما نقيضان وان ما يضعف قوة احدهما يرجح قوة الآخر بديهيًّا

ثانياً — ان استعمال الاتروبين في علاج داء ادمان المخدرات انما يقصد منهُ كبح قوة العصب الحائر او افنائها وقتيًّا. وعليهِ فالنتيجة المباشرة التي يصح ان نستنتجها مما تقدم هي هذه :

ان تأثير المخدر على الجسم اما ان يكون نشاط العصب الحائر (Vagotonie) او خمول العصب السمبتاوي (Sympathicosthénie) وبالتالي انحلال الطاقة او النوائية بين قرينيهما

الحلقة الثانية

اخذت ابحث في حل السؤال الآتي لانهُ يتفرع عن النتيجة المتقدمة وهو :

هل تأثير المخدر المباشر هو النشاط في العصب الحائر او الخمول في العصب السمبتاوي ؟

قابلت بين هذا السؤال وبين ما نعلمهُ عن تعليل الصدمة الشديدة التي تحصل احياناً على اثر حقن الزرنيخ القوية — ثلاثيًّا كان او خماسيًّا — في علاج مرض الزهري او خلافه[2]

اننا نعلم ان هذه الصدمة قد تحدث عند مريض على أثر اول حقنة وعند آخر على اثر حقنتين أو أكثر ولا تصيب الثالث مهما تعددت الحقن وعظمت الجرعة العلاجية . اما متى حدثت هذه الصدمة على أثر حقنة ما فلا بدَّ من حدوثها ايضاً على أثر الحقن التالية الا اذا احتاط لها الطبيب المعالج بالادرنالين . كما ان افضل وانجع علاج لهذه الصدمة هو حقن الادرنالين ايضاً . وقد اختلفت آراء الاختصاصيين في الامراض الزهرية سابقاً في تفسير هذه الصدمة فمنهم من نسبها الى ضعف قلوية السائل ومنهم الى استعداد شخصي خاص على ان احدث

(١) La Revue de Biologie Medicale; Juin-Juillet 1929, p. 241-262.
(٢) (Crise nitritoide des Arsenobenzénes)

لظرية تلخص في « أن هذه الصدمة هي حالة نشاط العصب الحائر (Vagotonie) » أي رجحان كفته على كفة العصب السمباوي . وهي لا تصيب اشخاصاً ذوي «عصب سمباوي نشيط»[1]

اذن علنا مما سبق أن الاختصاصيين في داء ادمان المخدرات يفسرون الاعراض السريرية التي تظهر على المدمن وهو في حالة الاحتياج الى المخدر بأنها حالة نشاط العصب الحائر (Vagotonie) وهنا نرى ان الاختصاصيين في الامراض الزهرية يعللون الصدمة الزرنيخية بحالة (Vagotonie)

ثم ان الطب يعلمنا بأن علاج نشاط العصب الحائر (Vagotonie) هو الاتروبين لكبح هذا العصب

ولكن قد رأينا فيما تقدم ان علاج مدمني المخدرات بالاتروبين لم يأت بنتيجة حاسمة لان الشفاء لم يكن تاماً قاطعاً. وهنا نرى ان العلاج الناجع بل العلاج الخاص (Spécifique) للصدمة الزرنيخية وقايةً او شفاء هو الادرنالين وليس الاتروبين. وكلنا نعلم ان الادرنالين لا يؤثر في العصب الحائر مباشرة بل ان عمله المباشر هو تنشيط العصب السمباوي

لا ريب اذاً في انه يوجد تناقض بين الوجهتين النظرية والعملية وقد قال الاستاذ العظيم لاينيك Laënnec : ما معناهُ « ما النظرية الا فكاهة عقلية تساعد على ربط الوقائع . فتى عصتها واقعة واحدة وجب أغفال هذه النظرية »

تجاه هذه المقدمات لا ارانى مخطئاً اذا اعرضت عن نظرية نشاط العصب الحائر (Vagotonie) في تعليل الصدمة الزرنيخية اولاً ورجحت عليها نظرية توازنها ظاهريًّا وتفوقها واقعيًّا وعلميًّا وهي خمول العصب السمباوي (Sympathicosthénie) لاسيما وان الصدمة الزرنيخية لا تصيب الاشخاص الذين لهم عصب سمباوي نشيط كما تقدم القول

ثم بالنظر : اولاً — الى المقارنة بين التسمم بالمخدر وبين التسمم بالزرنيخ (وهذا الاخير يجلب الادمان ايضاً كما اشتهر ذلك عن فلاحي مقاطعة التيرول وغيرها) . وثانياً — ارتكاناً الى ما تقدم عن ترجيح نظرية خمول العصب السمباوي على نظرية نشاط العصب الحائر في الصدمة الزرنيخية فقد استنتجت بالاستقراء

ان نظرية خمول العصب السمباوي مباشرة هي اصح في تعليل تأثير المورفين ومشتقاته على الجسم . وعلى كل فان التسمم في كلتا الحالتين ينشىء خللاً في التوازن او التكافؤ بين عمل العصب السمباوي والعصب الحائر Dysvégétatonie

[له بقية]

(١) Lacapère,-Traitement de la Syphilis; 4e édition 1925;p.146-147

منعوك

منعوكِ ... هل منعوا الأريجَ من الأزاهر أن يفوحْ ؟
منعوكِ ... هل منعوا البلابل أن تغرّدَ أو تنوحْ ؟
منعوكِ ... هل منعوا النسائم أن تجيء وأن تروحْ ؟

***

وهل الكرى منعوهُ عن جفنيكِ ، أو أحلامهُ ؟
أو قيدوا فيكِ التأمّلَ لا بطيرِ حمامهُ ؟
أو أخمدوا لُبّاً يباهمُ الحياةَ غرامهُ ؟

***

منعوكِ ... هل منعوا الجداولَ عن تغنّيها الجميلْ ؟
أو حوّلوا المجرَى فألهاها التحوُّلُ أن تسيلْ ؟
أو كبّلوا الأغصان في الأشجار حتى لا تميلْ ؟

***

وهل النسيمُ إذا منعتِ يكفُّ من تقبيلنا
ما في نؤادي أو فؤادكِ من لواعج حبّنا ؟
لا والذي جعل الغرامَ الحقَّ صادقَ وَحْيِنا

***

وهل الدجى لا ينقل النجوَى ؟ وتمنعُ النجومْ
عن أن تبثّك ما أحسّها ، وتخشى مَنْ يلومْ ؟
لا ... فالطبيعةُ لا ترى في الحبّ آراء الخصومْ

***

هل حيل بينكِ والقراءةِ في طرائف أغنياتي

او حيل بينك والخروج حذار وعثير أو صلات ؟
أو أنبوك على الغرام فأنبوك على الحياء ؟

***

أو أنهم منعوك من شم الأزاهر خشية وتخوف
فلعل في الأرج الحديث قد امتكن أو اختفى ؟
أو حيل بينك والهدوء وحيل بينك والصفا ؟

***

فليملكوا الحب العظيم ، ويحكموه بالسلاسل
فالحب في هذا الاثير وليس في أفق المنازل
امّا القلوب فإنها للحب مختلف الرسائل

***

فليمتنعك من تخوله الأبوة والأمومه
أو يمتنعك من تخوله الخؤولة والعمومه
أو من تخوله الوصاية ، أو تخوله الحكومه

***

هل يمنع الصوت الجميل من الرسل في الفناء ؟
أو يمنع القلب الاصيل من التعلق في الرجاء ؟
أو يمنع النبت القوي من الزيادة في النماء ؟
أو يمنع الارواح في هذا الفضاء من التقاء ؟
أو يمنع التجوى عن القلبين ما دام الوفاء ؟
لا والغرام ، وما يحمّلني الغرام من العناء
لن يقتل الحب الاكيد المنع أو حجب الضياء

من أمل الصيرفي

امين الريحاني

يستقبل جبران ويودعه

تمهيد

وقف قس بن ساعدة خطيباً في سوق عكاظ فقال :

لا يرجع الماضي ولا يبقى من الماضين غابر

واليوم ، بعد الف وثلاثمئة سنة ، يجري ذكر قس نجران فيعيد بعض الغابر — الباقي — منهُ ويدحض قوله . ما نظر قس الى غير المادة عند ما نطق بهذا البيت من الشعر . وقد لا يصح حتى في المادة التي تذهب ثم ترجع في اشكال شتى وفيها بعض الاحايين تكرر المتشابهات

ان ما في الماضي من الحقائق الاولية التي تتعلق بالانسان والانسانية ، او بالطبيعة والالوهية ، لا يضمحلُّ ولا يفنى . بل يعود شيء منهُ من حين الى حين فيغني في حياة توابع الزمان وفي آثارهم الادبية والفنية والعلمية

وبكلمة اخرى واجلى ان اعالي الاشياء في التاريخ وفي الآداب والفنون ، كما في الاساطير والاديان ، تظل بارزة من قرن الى قرن ، وبائدة الاطراف في اتصالها بعضها ببعض . فقد يذهب ما كان فيها من نفع او سرور او تعزية لابناء زمانها ، ولا يذهب ما فيها من خيال وشعر لمن يتذوقون الشعر والخيال . ولا يذهب ما فيها من عوامل الحقائق القديمة التي يُستعان بها ، اقتداء او استيحاء ، في كشف حقائق جديدة

مثال ذلك عبادة النساء الفينيقيات للرب تموز وحبهنَّ لهُ حبًّا يخالطهُ السر في شهوة يقدسها الهيكل . وما تموز غير رمز للشباب الساحر ، والقوة الغالبة . بل هو رمز ثالوث الجمال اي الحسن والبيان والقوة — الرمز الخالد في حقيقته الاولية البادي كل جيل في شكل جديد . لا نقدس اليوم ما قدسهُ الهيكل بالامس . ولكننا ، في الازياء والعادات الاجتماعية ، نقدس الشهوات ونموّها بشيء من الحب

ولنا في جنون قيس بن الملوّح مثال آخر . فما جنون قيس غير حبه ليلى ذاك الحب الصافي صفاء ماء الغدير ، الطاهر طهور نار الهيكل ، القاهر المحترقُ بأشواقه العالية ، المالك

على صاحبه الجوارح كلها ، فلا يقبل بتحقيق جزء منهُ دون الاجزاء الاخرى ، بل لا يقبل بتحقيقه اذا ظل جزءاً واحداً او جزءاً من الجزء الواحد خارج دار الشوق والاشتياق

وما مثل سقراط والمسيح ، وما أحاديث افلاطون وبسكال ، وما مزامير داود ولنشيد سليمان ، وما نيران اشعيا ، ودموع إرميا ، وقوافي ابي العلاء ، ورؤيا ولم بلايك ، وما تماثيل رودان ، وصور سيزان ، والحان شوبان ، غير مظاهر شعرية فنية فلسفية الهية لهذا الحب العظيم الخالد — حب الحقيقة الانسانية الملموسة في الحياة الدنيا ، والحقيقة الجامعة المجردة الاولية الالهية ، اي حقيقة الجمالين الزائل والازلي ، المادي والروحي

وهذه الحقيقة تجدُّد في مظهر من مظاهرها كما نشأ نابغة في العالم . ولكن الانسان لا يدرك حقيقة النبوغ في نشأته ناهيك في مولده . وقد تدركها روح العناصر الطبيعية الالهية ، وترسل انباءها مثل « الراديو » في الفضاء — فضاء التاريخ — فتتأثر بها غُرَر الابداع في اساطير الاقدمين وفي آثارهم الفنية والشعرية والدينية

ذلك ما حاولت ان اصف في مطلع هذا النشيد . وان ما يبدو اليوم خيالاً قد يكون غداً من الحقائق التي تدرك بعين العقل . ولنا ان نقول ، اذا آمنا بعلم الوراثة ، ان في النبوغ ، كما في الزايا البشرية الاخرى ، شيئاً من ماضيه القومي واشياء من النوابغ الماضين . وبكلمة اوضح ان النبوغ يتغذى بما تقدمه من نبوغ مشابه اما روحاً واما غرضاً ووضعاً

ومن هذا القبيل يصح ان نعكس ما قالهُ قس بن ساعدة . فالماضي يرجع بخيره وشرّه ، ويبقى من الماضين بقية يغربلها الزمان ، فيحفظ خير ما فيها لخير الناس

ذكرى جبران[1]

١ — هو يوم من الايام في لبنان جهل الانسان السر فيه
هي ساعة من الساعات مرّت ، مرت مرور الغُبَّرة في سكينة الفجر
هي يقظةٌ عنصرية عند منعطف الوادي ، وقد هجعت فيه القلوب والاحلام
همس الفجر ، فتثائب الليل ، فانقشع السحاب ، فتلألأت الربى . ان روحاً تستيقظ في لبنان

٢ — تحت صخرة شماء ، نثر عليها الطيّق مرجانه ، وأثمر الغار فوقها ثماره السوداء ، وتزاحم عند قدميها البطم والطيُّون ، نوّرت الزنبقة الحمرية
وسمع اذ ذاك صوت الزمان يقول : ان بين كل يقظةٍ ويقظة ليلاً طويلاً عقيماً

(١) القصيدة النثرية التي اعدها امين الريحاني لانشادها في الحفلة الكبيرة التي اقيمت ببيروت مساء ٢١ الحالي لاستقبال جثمان جبران خليل جبران في طريقه الى مسقط رأسه بشري

وسمعُ صوت الاجيال : أنَّ إرثي مجموع ما تقدم من إنجابي

وسمعُ صوت الخلود : في الفناء وفي البقاء ، كما في النور وفي الظلام تُقرأ كلماتي ، وتثمر أغراسي . انهُ لنبأ كريم ، ان روحاً تستيقظ في لبنان

٣ — في الوادي المقدس ، تحت ظلال الارز ، هتفت الايام تمجيداً عند مهد النبوة ، وحول مناسك العبّاد ، وقف الزمان خاشعاً محبوراً

وجاءت من الاودية الشذية عرائس الشعر ، يحملن كؤوساً من العاج ، فيها طيب من القلوب الجبارة تطهّرتهُ الدهور وجاءت من المروج الندية عرائس الخيال ، يضفرن اكليلاً من الورد توارت اشواكه ، ومن العليق وقد اختفت بين اوراقه عناقيد المرجان

وسمعت في فيئات الربى اصوات كالهمس اذا لاعبتهُ الرياح ، هي اصوات المرجات ، اصوات الجذل . وسمعت عند السواقي اصواتٌ كالحديد اذا سيَّرتهُ الكهرباء ، هي اصوات الهادمات ، اصوات التمرد

ومن اعالي الجبال ، التي يرقد تحت ثلجها بنفسج رقدة الاطفال ، جاء الرجاء يبشرون ان روحاً تستيقظ في لبنان ، هي روح جبران

٤ — على شاطىء البحر الابيض ، بين مصب النهر وجبيل ، رأيت نسوة ثلاث ينظرن الى المشرق ، —

والشمس ، كالجلنار ، تنبثق من ثلج يكلل الجبل ، —

امرأةٌ في ثوب اسود ، وقد قبّل الهمّ فمها الباسم ،

وامرأة في جلباب ابيض ، وقد نطق الحنان في عينها الدامعة ،

وامرأة ترفل بالارجوان ، وفي صدرها للشهوات نار تأجج —

ثلاث نسوة يندبن تموز ، ويسألن الفجر قائلات : هل عاد يا ترى ، هل عاد ؟

ومن جبال يهوذا اجابتهن قيثارة داود ، وابهجهن صوت صاحب النشيد

ومن مروج الجليل سمعن صوتاً يهمس باسم الناصري العظيم . ومن وادي الاردن صوتاً يردد اسمي ارميا واشعيا بن آموص ووراء الاردن ، في البادية دون النفود ، شدت الورقاء وغنى الحادي بذكر المجنون وابن ابي ربيعة

ومن معرة النعمان ، من الهدة العلائية ، جاء خاتم الاصوات يقول : « لكل صوتٍ مجالٌ في سامعهِ »

مثلما يسمع « الراديو » الاصوات المنتشرة في الفضاء ، سمع جبران الاصوات الخالدة في تاريخ هذا الشرق الادنى ، وفي آدابه واديانه

سمع ، ووعى ، واذكر ، ثم ودع ، وما هجر

٥ — حمل الارث القديم الى ما وراء البحار

فزاد البعد صدى الاصوات جمالاً ، وزادت الغربة بجلال المآثر والذكريات

ظل يسمع اجراس الكنائس في لبنان ، وظل يطرب لرنات العود ، وغنات القصب

ودامت المخيلة منه تهيم في الاودية ، وترقد في ظلال الارز . واسترَّ يصوغ ، عند السواقي الفضية ، احلاماً من الابنوس والذهب

اجل ، لقد رحل ، وما هجر

حمل الوطن في قلبه ، وقبل ان ينضج النبوغ كان الحمل في الغربة ثقيلاً

بل كان قيداً لنفس طماحة مكدّة

وما كان لينيه عن الم ، او يؤاسيه في غمرات الاشواق الجديدة . وكان جبران مع ذلك ثابت القدم في ارض لم تمد تحت قدميه ، ارض حملها بين جنبيه

وكان فوق ذلك وحيداً الاّ في ساعات الاحلام والابداع

٦ — رأيتهُ في باريس ، مدينة النور ، يحيي الليالي على نور سراج ضئيل ورأيت بنات تموز — لسوء الخيال — يطفن حوله في سميرات باريسيات ورفيقات اميركيات ، فيزدنه بهجة وشوقاً والماً ووجداً

البيضاء الجلباب ، منشدة الحقائق ومشعلة الاشواق ، تفتح له ابواب الفن والجمال

والسوداء الثوب ، ربة الاحزان ، تقلب صفحات قلبه وتطويها بأنامل ناعمة باردة

والارجوانية الوشاح تقف بين الاثنتين ، وقد أفرغت الكأس ، وعمدت الى المرآة والقلم الفرمزي

وكانت الروح المستيقظة ترد موارد الفن والجمال وهي محفوفة بالاطياف وحقيقاتهن في المتاحف والملاهي ، وفي البساتين والحانات ، كنَّ للرفيق الرفيقات المتباريات حبًّا واعجاباً

بل كن الشريكات بما تجسَّد من حبور وروعة ، وما تجسم من الم وامى

وكانت روح الرفيق في ورودها الموارد الذوقية والفنية تزداد شوقاً ووجداً

تزداد ظمأ كلما شربت ، تزداد احتراقاً كلما ارتوت . فودعتْ باريس ، وما هجرتها

٧ — حملتِ الارث الفرنسي طي الارث الشرقي الى مدينة حديثة المجد ، لا تكترث لتراث الثقافة والفنون

مدينةٍ في العالم الجديد ، قلبها من حديد ، وعقلها من معادن الذهب والفضة

هناك بين عجيج يروّع ، وضجيج يُصمّ ،
حيث تُذبح الاصوات الوديعة ، وتختنق الاشواق العالية ، في قلب النهار القهار ، المبدع المستبد جبارة العمل . في ظلال لناطحات السحاب تستعيض عن الشمس بالكهرباء ، قريباً من الجادة الساحرة التي تنصب بعصاب العالم المالي فتثيرها وتسكّنها ، —
هناك في مدينة الحديد والذهب ، والاحلام التي يحققها الذهب والحديد
في مدينة الانسان الحامل الساعة والميزان ،
في المدينة التي تعدّ كل شيء ، وتزن وتقيس كل شيء هناك ، في نيويورك أقام من لا يحسن العد ولا يحترم المقاييس والموازين

٨ — في ردهة قدسها الجهاد الاكبر جهاد الروح في سبيل الحق المطلق ، والجمال الأتم ، قعدت الردهة صومعة للفكر والفن والخيال ، وقد حجبت بحجارتها الشرق والغرب ، وفتحت شباكاً للشمال ، لتحمل القطب اليها مع نوره السويّ روحه الخشنة المنشطة [1] هناك في تلك الصومعة الوديعة ، القائمة الحيا ، اللامعة موطن العطف والترحاب ، بين الكتب والاوراق والصور والتحف والتماثيل — بين ركام من صفحات تصادمت فيها الفكر والحكم ، ومن شذرات تناءبت تحتها الاشواق والاشجان

ومن لوحات جالت فيها الريشة جولات كليلة — بين دمى قدسية ، ورسوم رمزية ، وشموع على مائدة كتبية — هناك في تلك الصومعة الحافلة بالآثار الذوقية والفنية والادبية ، وبالاطياف الروحية

اقام جبران عشرين سنة . وهناك صارع العناصر التي كانت تتنازع فيه الروح والعقل والفؤاد . وكان سلاحه سيفين من الشرق ومن الغرب . فشحذ الواحد على ما تصلب من قلبه ، وصقل الثاني بذوب العقل والروح

لغة العرب ولغة الانكليز ، جاهد كلتيهما وذللهما لبيانه ولخياله . عشر سنوات من الجهاد ، وعشرٌ من حسن التواب ، عشر سنوات مضطربة ، وعشرٌ مطمئنة مثمرة . فانتصر بالعربية على العقل ، وانتصر على القلب بالانكليزية

٩ — امتاز جبران بخياله العربي من حقائق الحياة ، وسما ببيانه الانكليزي فوق

(١) لا يحسن المصورون التصوير في نور الشمس التي يدخل المكان من الشرق او من الغرب فيختلف سطوعاً وضآلة من ساعة الى ساعة . اما نور الشمال فهو النور السويّ اذ لا يختلف في الصباح او في الاصيل وهو المعول عليه

الخيال . وكان في الحالين مبدعاً ، طوراً انشاء ، وتارة فكراً . فسمعتُ كلامه أمسِ تضنُّ بسمعها على الشرق . وردد حكمته من نشأوا ، ومن لنشأن ، حول مهد الحكمة هناك وجلسوا وجلسن بعد ذلك على عرشها

واسمى جبران ذا عرش بينهم ، وذا عجرة بينهن

ورأيت حول العرش الثلاث ، لسوة تموز في لسوة نيويورك ، خيالاً في حقيقة ، وحقيقة في خيال . وسمعتهن يتناشدن الشعر ، وهن يحرقن الند ، ويقلبن صفحات الكتاب الخالد ، كتاب الاشواق المكسرة الاجنحة . ثم رأيتهنَّ حول العش ، وسمعتهنَّ يحدثن الليل ويسألنهُ قائلات : هل يعود ، يا ترى ، هل يعود ؟

تموز وداود واشيا والفارض والمجنون ووليم بليك[1] — هل يعودون يا ترى ، هل يعودون ؟

دعهن يتساءلن ، ودعهم يتساءلون

١٠ — اخي ورفيقي وحبيبي جبران ،

ما احزنني شيء في حياتك وجهادك مثلما تحزنني هذه العودة منك عودتك الاخيرة الى لبنان — وددتُها والله لغمي

فجذا الموت يعدل بيننا ، بين مَنْ تمددت عوداته ، ومن تكورت فيه لوعة الحرمان

ولاعطيتك لو استطعت عيني وقلبي ، لترى الآن ما تراه عنك وفيك

جبران اخي ورفيقي وحبيبي

ان للشهرة يوماً ، وان للحزن يوماً ، والباقي للبنان

لهذا الجيل العزيز الكريم الحنون الذي يضمُّك اليوم ، وغداً يضمني ، اليه

ومهما يكن من رسالة حملناها الى الشرق والغرب بنصف الزمان

ومهما يكن من ادب بدعناه ونشرناه رأفة بالناس ، بعدل المستقبل

وان نراني غداً في وادي الفريكة يناجي ترابك في الوادي المقدس

ومن ظلال الصنوبر الذي سيظلل ضريحي ، سيحمل النسيم قبلات عطرة صباح مساء ، الى ضريحك في ظلال الارز

الفريكة — امين الريحاني

---

(١) بعض من بحث اليوم جبران بنسبه الروحي ، وقد عادوا فيه وفي ادبه الى العالم الناطق بل عالم الشعر المدون المنثور بين الناس . قبل يعودون وجبران [illegible] غيره من نوابغ المستقبل [المقتطف] وقع خطأ مطبعيٌّ في تدوين اسم جبران في عنوان بعض الصفحات فوجب التنبيه

هل الانتحار حقٌ أو جريمة

ورأي أصحاب فلسفة الرواقية فيه

واشهر حوادثه بين كبار اليونان والرومان القدماء

[الرواقيون فلاسفة هم أصحاب الفلسفة الرواقية — Stoicism واول من وضع اساس هذه المدرسة الفيلسوف « زينو » — Zeno — الذي يرجع انه ليس من اصل يوناني ولكنه هبط آتينا واخذ يعلم في الرواق — Stoa — ومن هنا اخذ اسم المدرسة واسم الفلسفة نفسها . ولما مات زينو خلفه في التعليم الشاعر « كليانتز » ثم الفيلسوف كريسيبوس الصولي . وفي القرن الثاني قبل الميلاد استطاع « بانايوس » Panaetius ، احد افراد المدرسة ، ان يثبت قدم الفلسفة الرواقية في روما حيث تخرج فيها من العظماء امثال أبقراط وسنيكا والامبراطور ماركوس أوريليوس المعروف]

تحدر فكرة الانتحار عند الرواقيين ، او بالاحرى تتسلسل ، من فكرة اخرى ، تقوم ، كما تقوم كل المبادئ الرواقية ، على مبادئ الآداب . وهي فكرة ان الموت نهاية طبيعية للحياة ، وانهُ ليس عقاباً ينزل بالاحياء ، كمظهر من مظاهر الغضب السماوي ، مجاراة للفكرة التي شاعت في العصر الوثني ، وانتقلت بالنفاح الى بعض الصور التي استحال اليها الفكر في العصور الوسطى . فقد علم الفلاسفة على مدار العصور التي اخذ ينظر فيها العقل الانساني في الكون نظراً فلسفيًّا ، ان الموت سنة طبيعية ، وليس عقاباً . اما بعض فلاسفة القرون الوسطى ، فقد زعموا ، محاذاة للفكرة الوثنية ، ان الموت عقاب ، فرضه الخالق على بني الانسان انتقاماً من خطيئة آدم ، تلك الخطيئة التي نُسِبَت اليها كل صور الألم والمرض والمصائب التي تنزل بالانسان في حياته ، بل تطرفوا فادعوا ان هذه الخطيئة هي السبب فيما يحدث في الطبيعة من اعاصير تحمل تباعتها بالحياة البشرية ، وان نور الشمس قلَّ سناؤهُ وضؤل سناهُ منذ أن اكل آدم من الشجرة المحرَّمة في جنة الفردوس

هذا في حين أن بعض الفلاسفة قد علَّموا ان الموت نهاية الاوصاب والآلام وعزَّوا بفكرة ان الآلام الطبيعية تنتظر في الآخرة اولئك الذين استحالت اجسامهم الى تراب ، بل قالوا ان الاعتقاد بمثل هذا انما يمثل احط السخافات التي ينزل اليها الفكر الانساني ، وعمدوا الى القول بان مثل هذه الخيالات قد حان حينها ، وانها لابد زائلة سريعاً من مجال المعتقدات العامة

أما المقدمون منهم فقد علموا ان الموت فاتحة آلام ممضة مضنية سوف يقاسيها العديد الاكبر من ابناء آدم . آلام تتضاءل بجانبها اقظع المآسي التي نزلت بالنوع الانساني في حياته الارضية . آلام تقصر عن تحملها ارقى ضروب الشجاعة والاقدام . آلام لا يحتملها الا الذوات الخالدة ، دون الذوات الفانية . اما الفرق بين المذهبين فظاهر في ان المذهب الاول يعتبر الانسان بريئاً صافياً حتى يخطىء بارادته . في حين ان المذهب الثاني يعتبره محكوماً عليه بالالم منذ ان يرى ضوء الحياة طفلاً ، ومن ثم الى ابد الآبدين

مثل المذهب الاول ما يقول بلوطرخوس :

« لا يجب أن تقدم تضحيات عن انفس الاطفال الذين يموتون في فجر حياتهم ، كما لايجب ان يقوم الناس لهم بشيء من المراسم التي يباشرونها في جنائز البالغين وعلى قبورهم لان المعتقد يجب ان يتجه الى ان الاطفال لم يفسدوا في الارض ولم يعالجوا شيئاً من الشهوات الارضية . ان القانون يمنعنا عن تكريمهم ، لان الدين لا يجيز لنا ان نحزن على تلك الارواح الصافية البريئة التي انتقلت الى حياة ارقى ، وسنرى افضل وأبقى »

ومثل المذهب الثاني قول من قال بان الاطفال انما يولدون ويموتون في ظل الدينونة التي أدانهم بها آدم منذ اول الخليقة حتى الآن

ويمكننا أن نستخلص من هذه الاقوال فرقاً آخر بين التعليمين . فالمدرسة الفلسفية الاولى قد حاولت ان تقيم قواعدها على اساس الطبيعة الأدبية الثابتة في قلب الانسان . فقالت بان الانسان قد ينال رضا الخالق بفضائله الشخصية ، وبفضائله وحدها ، وبذلك تصبح كل الكفارات والتضحيات والمراسم والصور التعبدية التي يباشرها اموراً لا قيمة لها ، وان العبادة الحقيقية تنحصر في معرفة الله والتشبه به باعتباره خيراً محضاً . واما المدرسة الثانية فقامت على قاعدة ان ارقى الفضائل الانسانية غير كافية لان تلغي حكماً أزليّاً ، ما لم يشترك معها اعتقاد ثابت في صحة طائفة من التعاليم ومراعاة الرسوم والقواعد التي تتبعها . ومن هنا نرى أن رجال المدرسة الاولى قد نفوا عن الخالق فكرة الغضب والانتقام وتقصي الالم على يديه في الحياة الاخرى . اما اهل الثانية فاعتقدوا من المبادىء ما يضاد هذه الفكرة تماماً

هذه ولا شك فروق واضحة كل الوضوح . اما وضوحها فراجع الى انها مستمدة من مبادىء اساسيّة قامت عليها صور الفلسفة القديمة

من الاغراض التي رمى اليها فلاسفة الوثنيّة ان يخرجوا من الافكار صورة تلك الآلام المفزعة التي حاكها الخيال حول حقيقة الموت ، حتى يستطيعوا ، اذا ما قضوا على آخر معقل يمكنهُ الخوف ، ان يحققوا حرية الانسان . اما الغرض الاساسي الذي رمى

اليه رؤوس من كبار الفلاسفة في القرون الوسطى بتصوير الموت في تلك الصورة المفزعة ويجعل الفرار من آلامه ومفازعه غير مأمول فيه . فهو ان يتخذوه أداة للاخضاع وكبت الفكر وقمع الشهوة للحرية

ولست نجد هذا الفرق وحده قائماً بين الفكرتين ، من حيث المعتقد في الموت ، بل نجده قائماً حول الفكرة في الحياة ذاتها ، وفي الغرض منها وفي قيمتها . اما الفرق الاكبر بين الفكرتين ، فلن نجده أوفى ، ولن تقع عليه أظهر واجلى ، منك اذا وازنت بين المذهبين اللذين ذهب فيهما كل فريق تلقاء فكرة الانتحار ، الى انها قائمة على انها حرية الانسان في التخلص من الحياة . ولا شك في اننا فعالي اذا ذهبنا الى القول بان الفكرة في الانتحار عند الرواقيين كما عرفت في روما القديمة خلال عصرها ، الوثني والنصراني ، قد نابذت مبادىء الكنيسة وحدها ، بل نابذت كذلك كل المذاهب الأدبية التي قامت في أوربا بعد ذيوع النصرانية ، وحتى بعد أن خلص الميدان لحرية الفكر في العصر الحديث

لم يكن القدماء على اتفاق تام تلقاء فكرة الانتحار وحرية الانسان في التخلص من حياته او التصرف فيها . فان «فيثاغورس» ، الذي ينسب اليه المؤرخون كثيراً من أحكم ما نقل الينا عن القدماء ، قد قضى بان الانسان ممنوع — « عن أن يتزحزح عن مكانه في الحياة من غير أن يأمره بذلك مرشده ، أي الله » .[1] وقد قاه «افلاطون» بمثل هذا ، ولو أنه اجاز الانتحار اذا قضى به القانون ، او اذا نزلت بالانسان كارثة فادحة ، أو إذا اصبح فريسة لا تُبقي صور الفقر والخصاصة [2] اما «أرسطوطاليس» فقد حرّم الانتحار على قاعدة مدنية ، إذ اعتبره جريمة ترتكب ضد النظام الحكومي [3]

إنّ حوادث الانتحار التي يرويها التاريخ اليوناني ليست كثيرة ، ولكنها تحوي حوادث وقعت لاقذاذ من امثال «زينو» رأس الرواقيين ، والشاعر «كليانتيز» خليفته في المدرسة الرواقية [4]

---

(١) مات فيثاغورس نفسه متجوعاً . على أن هذه الرواية التي نقلها ديوجينيس لايرتوس Diogenes Laertius مشكوك فيها عند بعض مشهوري المؤرخين

(٢) راجع القوانين الكتاب التاسع . اما في كتاب « فيدون » ـ Phaedon ـ فقد ذهب افلاطون مذهباً حرّم فيه الانتحار ، ويقول ليانوس في كتابه (De vita Sua) ان البراهين التي اثبتها افلاطون في كتابه «فيدون» قد منعته عن الانتحار بعد موت بوليانوس . اما شيشرون فيذكر شخصاً يدعى « كليومبروتس » قد اخذته جال البراهين التي اقامها افلاطون في كتابه هذا عن خلود النفس ، فالقى بنفسه في اليم . اما « كاتو » - Cato - الروماني ، فاختار الاكباب على درس هذا الكتاب ليلة انتحر وتخلص من الحياة (٣) راجع الاخلاق الكتاب الخامس

(٤) وضع « لاكتانتيوس » النصراني المعروف جدولا بأسماء المنتحرين من رجال اليونان ، غير ان كثيراً من الحوادث التي يرويها مشكوك فيها عند ثقاة المؤرخين

اما في روما، حيث ذاعت حوادث الانتحار، واخذت الفكرة نفسها صورة اخطر وأوفى أثراً، فان تحريمها قانوناً لم يتقبل عند جميع المشرعين، على اعتبار انه قاعدة أولية. واما رواية « رجيولوس » (٥) Regulus سواء أكانت تاريخاً صحيحاً ام خرافة(٦) فانها تدل على أن تحمل الألم، وعدم الهرب به، كان في عصر من عصور روما أرقى المثل الأدبية. اما الشاعر « فرجيل » Virgil نقد ألبس المنتحرين في العالم الآخر ثوباً قاتماً صاغه في صورة شعرية ضمنها قصيدته « الأنيد ». (الكتاب السادس ص ٤٣٤—٤٣٧) هذا في حين أن «شيشرون» اجاز ما ذهب اليه «فيثاغورس» تلقاء الانتحار، ولكنه امتدح انتحار « كاتو » وحبذه. كما ذهب « أبوليوس » في شرح فلسفة افلاطون الى القول بأن الانسان العاقل لن يتخلص من حياته او يتصرف في جسده الا بارادة الله. اما تيصر وأوفيد فقد قضيا بانه في حالة اليأس الشديد قد يمد الانسان الى التخلص من حياته بسهولة، وان الشجاعة الحقيقية، إنما تظهر في ان يقدم الانسان على هذا الفعل

اما الفلسفة الرواقية فقد جمعت بين فكرتين. فكما أنها تحض على ان لا يفر الانسان من القيام بواجب من واجباته، فهي بجانب هذا تجيز للانسان الحق في ان يتخلص من حياته وان يتصرف فيها بكامل حريته. وكان « سنيكا » من اكبر المدافعين عند تجويز فكرة الانتحار، غير انه لم يلبث ان عمل على ان يلطف مما عساه بنفسه « الشهوة للانتحار » بعد ان ظهرت هذه الشهوة على اشدها بين اتباعه. اما الامبراطور «ماركوس انطونيتوس»، وكان من عمد الرواقيين، فقد تراوح بين تجويز الانتحار وبين تحريمه. فبينما تراه يقول بأن لكل الحق في ان يتخلص من الحياة عند ما يريد اذا بك تجده في موطن آخر يذهب مذهب «افلاطون» فيقول ان الانسان جندي من جنود الله، وانه يشغل مقاماً، من الاجرام الفظيع ان يخليه بارادته. اما افلوطين السكندري، وفرفوريوس الصوري، فكلاهما ينحى على الانتحار بأقصى ما بلغ مستطاعهما

---

(٥) Regulus — ماركوس أتيليوس رجيولوس — كان قنصلا رومانياً سنة ٦٧ ثم سنة ٢٥٦ ق م. هزم الاسطول القرطاجي ونزل الى البر فانتصر اولا، ثم هزم هزيمة حاسمة وأخذ اسيراً سنة ٢٥٥ ق م. وظل في الاسر خمس سنوات حتى اضطرت الظروف اهل قرطاجنة الى طلب الصلح، فاملى سبيله على كلمة الشرف، وعاد الى روما مع البعث البوني. ثم نجح في ان يحمل السناتو على عدم الاخذ بمقترحات البعث البوني الذي فاوض في الصلح مع قرطاجنة. وتنفي الاسطورة في القول بانه عاد الى قرطاجنة فقتل وقتل اهل قرطاجنة في تلك تحت تأثير الآلام يصور على الذهن تصورها

(٦) راجع آدم سميث في كتابه « العواطف الادبية »

غير انه على الرغم من هذه الاقوال ، فان فكرة الانتحار عند القدماء تختلف في اساسها وجملتها عن الفكرة عندنا فيه . فان اجازة الانتحار وتبريره ، فكرة تتفق على مدى العصور القديمة في اكثر مدارس الفلسفة ومذاهب الفكر ، وحتى المدارس التي انحت على الانتحار وقاومته ، فانها لم تبلغ من النظر في الانتحار مبلغ الشناعة التي نراها فيه المدارس الحديثة . ولقد كان هذا راجعاً في العصور القديمة الى ما ادرك القدماء من ظاهرة الموت ، وما كوّنوا حولها من فكرات ومعتقدات . وكذلك لايجب ان يغيب عنا ان جماعة من الجماعات البشرية ، ان اجازت الانتحار ، فان الفعل ذاته ، ما دام قد اجيز ، يفقد كثيراً من الفكرة الاجرامية التي تحوم حوله في عقول المحدثين . وحتى الذين يعتقدون ان الالم الذي ينزله الانتحار بمن يلوذون بالمنتحر ، لاينحصر فيه كل ما يدركون في الانتحار من جرم ، يسلمون بديهًا انهم يعتبرون الانتحار باعتباره من كبائر الاثم . هذا في حين ان اعتبار الانتحار من كبائر الاثم ، لم يقم مطلقاً في عقول الاقدمين فان « ابيقور » مثلاً قد حض الناس على ان « يوازنوا بدقة ويفاضلوا بين ان يأتيهم الموت ، وبين ان يذهبوا للموت بانفسهم » . ولقد انتحر كثير من اتباع « أبيقور » أمثال « لوكريطيوس » — Lucretius — شاعر الرواقيين المعروف ، « وكاسيوس » — Cassius — وكان داعية شديد الوطأة ضد الطغاة يدعو الى قتلهم ، و« أتيكوس » — Atticus — صديق شيشرون الخطيب الاشهر ، « وبترونيوس » — Petronius — الشهواني الخليع ، و« ديودورس » — Diodorus — الفيلسوف . أما « بلينوس » — Pliny — فقد ذهب الى ان حظ الانسان من حيث قدرته على التخلص من الحياة ، يفوق حظ الخالق ، في ان للانسان قدرة على ان يذهب الى القبر باختياره ، بل قال بانهُ من اكبر البراهين على كرم العناية القدسية ، انها حبَتْ الناس بكثير من صنوف الاعتاب المسمَّة التي يجد فيها المتعبون والمتبرمون بالحياة ، موتاً سريعاً لا ألم فيه . ومن الشخصيات العجيبة التي يذكرها شيشرون عرضاً في خلال كلامه ، شخصية « هجياس »[٧] — Hegesias — الذي نعتتهُ القدماء بانهُ خطيب « الموت » . فانهُ على الرغم من اعتناقه المذهب السيريني[٨]

(٧) خطيب يوناني عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ويدعى هجياس المغنيسي — Hegesias of Magnesia والف كتاباً في تاريخ الاسكندر المقدوني (٨) الفلسفة السيرينية وضعها الفيلسوف اليوناني ارستيبوس — Aristippus — السيريني (٤٣٥ — ٣٦٠ ق . م) فالمذهب منسوب الى مسقط رأس واضعه . وكان من اصحاب سقراط . وعلم ان الخير الاكبر ينحصر في تحصيل لذة النفس ، وان كل الاشياء الاخرى ذات القيمة في الحياة يجب ان تستخدم في سبيل ذلك . غير انه علم بجانب هذا ان الفلسفة والحكمة في مستطاعها ان يحررا الانسان من المتاعب الطبيعية

Cyrenaic في الفلسفة ، وهو مذهب يجعل الملاذ على اعتبار أنها الغاية العليا للكائن العاقل المفكر ، قد علّم أنّ الحياة مليئة بالمتاعب ، وان ملاذّها وشيكة البقاء سريعة الزوال ولا حقيقة لها ، وان الموت هو أسعد نهاية يمكن أن يبلغ اليها الانسان . ولقد كان لهُ من بلاغة التعبير وفصاحة اللسان ، ما مكنهُ من أن يثير حول القبر من صور الترف والشغف ، ما يجعل اتباعهُ يتسابقون الى الوصول الى الغاية من مذهبهِ ، حتى لقد تحرر كثير منهم بالموت من اكدار الحياة . ولقد انتشرت العدوى انتشاراً اضطرّ معه بطليموس ، ملك مصر أن يتقي الفيلسوف من مدينة الاسكندرية

غير انّ فكرة الانتحار لم تبلغ مبلغها الأقصى الاّ في عصر الامبراطورية الرومانية ، وعند رواقيي الرومان ، حيث تحررت فكراتها وتحددت صورتها الفلسفية . فمنذ عهد من الزمان عهيد ، كانت فكرة التضحية بالذات ، كما فعل « كورتيوس » (٩) وديسيوس (١٠) قد حُبّذت في بعض الاحوال كطقس من الطقوس الدينية ، وان هذه الفكرة قد انتقلت بالتقاح من الازمان الاولى عن عادة التضحية بالخلائق البشرية ، كما ذهب بعض الكتّاب (١١) . وفي اواخر العصر الوثني تجمعت اسباب كثيرة قادت الناس الى الاخلاد لفكرة التضحية بالذات . فان مثل « كاتو » (١٢) الذي اصبح المثال المقتدى به عند الرواقيين ، والذي كان انتحاره مورداً عذباً لبلاغتهم ومنهلاً يستقون منهُ فصاحتهم ، ثم مشاهد المصارعين بالسيوف والاسرى الذين كانوا يقتلون انفسهم على مشهد من الناس بان يتعمدوا اسنتهم في رقابهم ، أو باتباع وسائل اخرى اشد نكاية وأفظع مورداً ، في سبيل « الحرية » ، وتلك العادة التي كانت تضطر المجرمين السياسيين ان ينفذوا بأنفسهم الاحكام التي تصدر ضدهم ، مضافاً الى ذلك استبداد القياصرة وقسوتهم — جاء هذه الظروف جعلت للانتحار تلك القيمة الكبيرة في العصر الروماني . ولن نجد من الاشياء الدنيوية ما هو اكثر مسّاً للقلب من ذلك الجدل الشعري الذي استمسك « سنيكا » بأهدابه في عصر « نيرون » المستبد الروماني ،

(٩) شاب روماني نبيل يدعى كنتوس كورتيوس Quintus Curtius يقال انه في سنة ٦٣٢ ق . م . تردّى راكبا على ظهر جواده في هوة ظهرت في الفوروم Forum الروماني ، وقد اعلن المتجمون انها لن تملأ قراغها الاّ بأثمن شيء في روما

(١٠) امبراطور روماني ولد حوالي سنة ٢٠٠ ق . م . (١١) راجع كتاب السر « كورنويل لويس » The Credibility of Early Roman History

(١٢) كاتو الاصغر - Marcus Porcius Cato - ولد سنه ٩٥ ق. م وقد بلغ انتصار قيصر الحاسم في موقعة ثابوس - Thapus - سنة ٤٦ ق . م — فضل أن يموت على أن يسلم ، فأمضى الليلة الاخيرة من حياته يقرأ كتاب « فيدون » تأليف افلاطون ، ثم انتحر بان احمد خنجره في صدره . وكان في سنة ٦٧ ق. م . قد احضر معه من بلاد اليونان الفيلسوف الرواقي أثندوروس Athendorus

على اعتبار انه الملجأ الاخير للمستبدّ بهم والمظلومين ، والنهاية الحلوة التي ينشدها العقل المضطرب الثائر ، قال : —

« بالموت وحده تعرف ان الحياة ليست عقاباً ، واني لاقف قوي الاصلاب تحت انواء الحظ والاقدار ، اذ استطيع ان احتفظ بعقلي غير مضطرب ، وان امضي به سيداً لنفسه . لان لديَّ الملاذ الاخير . ولقد ارى الخمسة وارى السندان ، وغيرهما من آلات العذاب مهيَّأة لان تلقم كل طرف من اطرافي وكل عصب من اعصابي ، غير انى ارى الموت ايضاً بجانب هذه الآلات . انه — اي الموت — يقف بعيداً عن ان تناله ايدي اعدائي المتوحشين وقصيًّا عن ان تمتد اليه قدرة عشيرتي . ان العبودية لتفقد كل ما فيها من مرارة ، ما دمت قادراً بخطوة واحدة ان اصل الى الحرية ، ومن كل متاعب الحياة ، لي في الموت مهرب وملاذ » — « ايها ادرت بصرك رأيت وذائل ودنايا . وانك لترى ايضاً تلك الهاوية السحيقة . ففيها تستطيع ان تهبط الى الحرية . انك ترى البحر وذاك النهر وتلك البئر ، ففي قعرها تكمن الحرية . هل انت تنشد طريق الحرية والخلاص ؟ انك لتجدها في اي شريان من شرايين جسمك الزائل » — « لو خيرت بين ميتة عنيفة ، واخرى هينة لينة ، فلماذا لا اختار الثانية ؟ وكما اختار السفينة التي ادخر بها الباب ، والمنزل الذي اعيش فيه ، كذلك استطيع ان اختار الميتة التي افارق بها الحياة . وليس من شيء يجب ان نكون اكثر حرية في اختياره ، منا اذا اردنا ان نموت بطريقة ما . فارقْ الحياة بالطريقة التي توحي اليك بها قواسرك كيفما كانت . بالسيف او بالحبل او بالسم يسري في شرايينك . اقتحم طريقك وحطم سلاسل العبودية . يحاول الانسان في حياته أن يحوز ما يستحسن غيره . اما ميتتهُ فذلك امر له وحده حق اختياره . ان القانون الابدي لم يبدع من شيء اروع من ان للحياة مدخلاً واحداً ، في حين ان لها مخارج كثيرة . لماذا احتمل آلام الامراض ، وقساوة الاستبداد الانساني ، اذا كنت قادراً على ان احرر نفسي من كل اوجاعي ، وان انفي بعيداً كل الاضداد والقيود ؟ لهذا السبب وحده ، ارى ان الحياة ليست شرًّا ، ما دام كل انسان غير مضطر لان يعيش . ان الانسان لسيد ، طالما انه لا يعيش شقيًّا الاّ بارادته . اذا حسنت لديك الحياة فعش ، اما اذا لم تحسن لديك ، فلك الخيار في أن تعود من حيث اتيت »

من هذه الفقرات التي اخترت من كثير من اشباهها ، تدرك اي حد بلغت شهوة اكبر ممثل المدرسة الرواقية واعظم رجالها تأثيراً في العصر الروماني ، في الدفاع عن فكرة الانتحار . ولقد اعتبر القانون الروماني الانتحار كحق عام . غير انه قيده بعد بقيدين

انتين لا قيمة لها . فقد جرت العادة بين الرومانيين ان ينتحر منهم كل من توجه اليه تهمة سياسية قبل ان يقدم للمحاكمة ، ليتقي بذلك التمثيل بجثته ومصادرة املاكه . غير ان الامبراطور « دوميانوس » قد اوصد هذا الباب بأن قضى بأن انتحار اي شخص لا يخليه من المسؤوليات التي تترتب على اتهامه ، ثم جاء « هدريانوس » فجعل انتحار الجندي الروماني مساوياً في الجريمة لفراره من صفوف الجيش . وقبل عدا هذين القيدين كان الانتحار حقاً مباحاً ، يزاوله من اراد بالطريقة التي تحلوله ، وللبواعث التي يراها كافية لان تجعل تخلصه من الحياة نعمة في نظره . فان انتحار « أوتو » —[١٣] Otho الذي فضل ان يفارق الحياة على ان تكون حياته سبباً في وقوع حرب أهلية أخرى ، كان في نظر المؤرخين وكتاب التراجم ، حادثاً يبلغ من العظمة والسمو مبلغ انتحار « كاتو » . وفي حروب « داسيا » المعروفة The Dacian Wars في تاريخ الرومان ، اسر قائد معروف اسمه « لونجينوس »[١٤] — Longinus — فحاول الاعداء ان يتوصلوا الى شروط مجحفة من الامبراطور « ترايانوس » — Trajanus — نظير فك إسره . غير ان القائد انتحر ، ليعطي للامبراطور الحرية في عدم التقيد بشرط مجحف شأ حياته . ولما انتحر « اوتو » تقدم نحو جثته عدد من جنوده الذين اخلصوا له وانتحروا امام الجثة الهامدة ، كما فعل احد عبيد « أغريبينا »[١٥] — Agrippina — اثناء جنازة الامبراطورة

على هذا كانت الفكرة في الانتحار عند الرواقيين في العصر الروماني الوثني . اما في العصور الحديثة فليس لهذه الحالات من مثال الا مثل الاميرال « توجو » الياباني — الذي انتحر امام جثة الامبراطور عند موته مظهراً بذلك انه اخلص للملك وبلاده الى الموت ، اي الى اقصى الحدود التي يمكن لفكرة التضحية البشرية أن تبلغها . وهذه مشاعر صادقة يجب ان نقف امامها بقلوب مليئة بالاكبار والاعجاب ، لان الانتحار في ذاته وان كان فعلاً قاسياً ، الا أنه بواعثه في مثل حالة كاتو ولونجينوس وتوجو ، لبواعث فيها من معاني الرقي الانساني مايفوت الاقلام وصفه او تصويره [ابن طفيل]

---

(١٣) اوتو Marcus Salvius ولد سنة ٣٢ بعد الميلاد وخلف « غالبا » Galba في ثورته ضد نيرون (٦٨ ب م) واعترف به امبراطوراً في كل انحاء الامبراطورية الرومانية ، ما عدا جرمانيا ، التي زحف منها فيتليوس Vitellus على ايطاليا وهزم توات « أوتو » هزيمة حاسمة ، فانتحر « أوتو » في اليوم التالي لهزيمته بعد ثلاثة اشهر من ارتقائه عرش القياصرة ، لتفادي حرب أهلية

(١٤) في الحرب اليابانية الروسية الاخيرة انتحرت والدة عجوز لئلا يكون بقاؤها في الحياة مانعاً يمنع ولدها الاوحد عن الذهاب الى ساحة القتال ليقوم بواجبه نحو وطنه

(١٥) أم الامبراطور نيرون الروماني ، قتلها ابنها سنة ٥٩ بعد الميلاد

اشعة اكس تلف شهارها

وتدخل ميدان الصناعة

نار مشبوبة في معمل من معامل تكرير النفط تلتهم الاخضر واليابس وتفتك بالخشب والحديد على السواء ! في المعمل يستخدم ضغط عظيم لتحويل النفط الخام الى غازولين — وتحت تأثير هذا الضغط انفصمت قطعة في الآلة، واذا انفجار مروّع، وبركان من اللهب، ومئات الالوف من الجنيهات تذهب الى الفضاء ناراً ودخاناً

وقد بلغ من كمال التدمير الذي تمّ في المعمل ان صهرت كل القطع المعدنية فلم يبق منها ما يستدلّ منهُ على سبب الكارثة . ولكن الشركة تملك معامل اخرى كهذا المعمل، وكارثة عائقة في معمل ثان نكبة لا تقوى الشركة على تحملها فكيف تستطيع ان تجتنبها ؟ مضى المهندسون يبحثون ويتحنون فلم يجدوا شيئاً غير طبيعيّ فيما تناولوهُ من أجزاء الآلات. واخيراً ظنّوا الظنون بعمود من الصلب . فقد كان يبدو متيناً ، فامتحنوهُ بكل وسائل الامتحان الطبيعية فلم يروا فيه ما يؤيد ظنونهم . على انهُ كان يشغل في قلب المعمل ، حيث بدأ الانفجار ، مركزاً ممتازاً . فقالوا اذا كان ثمة ضعف خفي فيه ، فهو كافل لاحداث نكبة كالنكبة التي دمرت المعمل الاول . فقرروا ان يمتحنوا داخلهُ

كانت الطريقة الوحيدة لامتحان داخل قضيب من الصلب ، ان تقطعهُ قطعاً وتنظر الى داخله ، ولكن ما الفائدة من عملك . لانك بعد ما تأكد من متانة بنائهِ الداخلي — او ضعفهِ — تكون قد دمرت القضيب فلا تستطيع أن تستعمله ثانية . فهذه الطريقة في الامتحان انما هي كاشعال عود كبريت لتعلم هل هو يشتعل او لا

ومهندسو هذه المعامل لم يرقهم تقطيع هذا العمود لانهُ ثمين ولان صنع آخر يحلّ محله يقتضي وقتاً — والوقت ذهبٌ — فبعثوا بهِ الى معهد حكومي كان قد مضى عليهِ زمن قصير وهو يستعمل اشعة اكس في امتحان اجزاء الصلب في عربات المدافع . فعهد المدير الى احد خبرائهِ في امتحان هذا العمود وبعد بضعة ايام اخرج لهُ صوراً بالاشعة (راديوغراف) . فلما اطلع عليها المهندسون سرى في نفوسهم الهلع ، اذ

رأوا فيها ، خطًّا اسودمارًّا في قلب العمود — ورأهم الخبير مذعورين فقال لهم . هـذا الخطّ يدلّ على وجود شرخ داخلي

شرخٌ في عمود يجب ان يحتمل ضغطاً يقدّر بالاطنان! كان هذا العمود مثار ظنونهم، ولكنهم لم يصدقوا الصور حتى رأوا بعيونهم ، اذ قطعوا العمود قطعتين وهناك وجدوا الشرخ كما دلت عليه الصورة . بعد ذلك لم يسمح مهندسو الشركة بوضع قطعة من الصلب في مكان معرّض للضغط الشديد الاّ بعد امتحانها باشعة اكس

قد يعجب بعض القراء اذ يرون هذه الاشعة النافذة التي يستعملها الجرّاح في استطلاع كسر في العظم، وطبيب الاسنان في الكشف عن علة خفية في سن او ضرس قد لفت شعارها ونزلت الى ميدان الصناعة . على ان الفكرة ليست جديدة في حدّ ذاتها ولكن تطبيقها جديد

* * *

فقد اشار مكتشف اشعة اكس نفسهُ — رنتجن — الى امكان استخدامها في الصناعة إذ وصف الرسالة الاولى التي نشرها في هذا الموضوع سنة ١٨٩٠ بعض الاجسام التي كان قد صوّرها وبينها « قطعة من المعدن نستطيع ان نتبين عدم تجانسها باشعة اكس » وهذا هو العمل الذي يقوم به خبراء الاشعة في الدور الصناعية الآن لامتحان متانة الاجزاء المعدنية في الآلات المختلفة . وخير لاصحاب الصناعات ، في عصر يستعمل فيه ضغط شديد وحرارة عالية ، وسرعة عظيمة ، ان يكشفوا عن مواطن الضعف في آلاتهم، قبل استعمالها

وقد جلّت لنا الحرب الفائدة الصناعية التي تجنى من اشعة اكس من حيث هي اداة كشافة للاسرار. ففي مدينة جالفستون في الولايات المتحدة الاميركية، كان التجار يصوّرون بأشعة اكس كلّ بالات القطن الصادرة الى المانيا لكي يثبتوا لرجال الحكومة انها لا تحتوي على نحاس أو أية مادة اخرى من البضائع الممنوع تصديرها . ولما خاضت الولايات المتحدة الاميركية غمار الحرب، شرع رجالها يستعملون اشعة اكس في معامل الذخيرة الحربية لامتحان القنابل والمقذوفات المختلفة ، ليثبتوا ان أجزاءها تامة البناء والتركيب . ثم بعد رزمها وتعبئتها في صناديق وتسليمها للشحن ، كانت تمتحن من جديد للكشف عن أي نقص أو سرقة فيها

وفي أثناء ذلك ، بل وقبل ذلك ، كان علماء أوروبا معنيين بدرس هذا الموضوع درساً علميًّا ومعظم ما يعلم عن استعمال أشعة اكس في شؤون الصناعة انما يعود الى مباحث العلماء البريطانيين ، بولن وكلي ونوكس ومساعديهم في قسم المباحث العلمية بوزارة الحربية ففي أحد الايام انقصمت ذراع في طيارة جديدة وُرّدت مع طيارات كثيرة من مصنع

واحد . ولدى البحث ثبت ان الانقصام في تلك القراع حدث في مكان منها حيث حُفِر ثقب خطاء ثم سُلِيَ صلباً وصقل حتى لا تقيه عين الخبير مهما دقّق النظر . فاخذت كل الاذرع المقابلة لها في الطيارات الاخرى وامتحنت بأشعة اكس فثبت ان جانباً كبيراً منها كان فيه هذا الثقب المردوم فغيرت كلها منعاً لانقصامها في أثناء الطيران أو النزول الى الارض ودرءاً للنكبات التي تنجم عن ذلك

ولا تستعمل أشعة اكس في امتحان الاجزاء المعدنية فقط ، بل في امتحان القطع الخشبية كذلك . فثمة شقٌّ في دقل من الادقال ، صقلهُ الصانع بالسنباذج فلم يبدِ لعين الخبير المدققة ، فلما صُوِّر الدقل بأشعة اكس بدا الشق خطًّا قاتماً في الصورة فلم يستعمل الدقل في الغرض الذي صنع لاجله . ثم ان قطع الخشب قد تحتوي على مواطن ضعف اخرى تنشأ عن عُقدٍ مخفية أو جيوب صمغية أو ثقوب تنقرها الحشرات داخل الخشب . كل ذلك تبديه أشعة اكس ، فانهُ لا يخفى عن بصرها النافذ

وصناعة الطيارات الحديثة تفتقد وسيلة من افيد وسائلها اذا جُرِّدت من أشعة اكس لذلك ترى الطيارين يلحّون في امتحان كل جزء من اجزاء طياراتهم بها . فآلة الطيارة «برمن» التي طارت من المانيا الى شمال اميركا امتحنت كل اجزائها باشعة اكس ، قبلما غامرت في خوض الهواء فوق عباب المحيط الاطلنطي من الشرق الى الغرب . ومعظم صنّاع الطيارات لا يقبلون ان يتسلموا أجزاء تصنعها معامل اخرى إلاّ بعد امتحانها بهذه الاشعة الخفية

وما يقال في صناعة الطيارات ينطبق على صناعة السفن . نضرب على ذلك مثلاً باليخت « البربرز » الذي بارى « شمروك » يخت السير توماس لبتن ، فانهُ في أثناء بنائه كان القائمون عليه يمتحنون كل جزء من أجزائه بأشعة اكس قبل تركيبها في جرم اليخت

وفي احد المعامل الاميركية التي تصنع مراجل للآلات البخارية ، بنيت آلة نقّالة للتصوير بأشعة اكس تنقل من مكان الى آخر في المعمل لتصوير المراجل التي يتمّ بناؤها ، ولا يخرج مرجل منها الاّ اذا أثبت انه سليم

***

ولا تحصر فائدة أشعة اكس الصناعية فيما تقدم ، بل هي تستعمل في معامل الحبر لمعرفة حجم الحبوب في داخل أقراص الحبر ومكانها كأن ذلك من مقتضيات الحبر الفاخر ، وفي معامل المطاط وما يصنع منهُ للتثبت من الانتظام الداخلي في كرات «الجولف» وسلامة بناء العجلات للسيارات ، ونفي الشوائب المعدنية من نفايات المطاط قبل صهره من جديد ، وفي مصانع الانابيب المفرغة وأسلاك التلفون وغيرها — في كل ذلك للكلمة التي تقولها أشعة اكس المقام الاعلى

وكلُّ فنٍّ من الفنون يستمد من أشعة اكس عوناً كبيراً . ففي مؤتمر خبراء الفن الذي عقد في رومية سنة ١٩٣٠ تحت رعاية جمعية الامم صرّح الدكتور پول جانّز انهُ كشف بواسطة اشعة اكس صورة ثمينة لمونّليين تحت صورة سخيفة لاقيمة لها . فاعلام المصورين القدماء كانوا يستعملون اصباغاً معدنية ، وهي اكثف من الاصباغ النباتية التي تستعمل الآن . فاذا اخذت صورة قديمة ورسم فوقها صورة محدثة ، أو غُيّرت معالمها اضافةً وتحويلاً ، أمكنَ أن يعرَف كلُّ ذلك بتصويرها باشعة اكس [1]

ومن أغرب ما استعملت لهُ هذه الاشعة في سبيل الفن أن جيء بآنية برنزية قديمة من العراق الى اميركا ، فرغب صاحبها في ترميمها ، وكانت لقدمها تعلوها طبقات من الرمل والدلفان الجاف والصدإ . والنجاح في ترميمها بطريقة التليس الكهربائي مرهون بمعرفة ماهو باقٍ تحت هذه الطبقات من معدنها الاصلي . تصوّرت باشعة اكس ، وبهذه الصور اهتدى الخبراء الفنيّون في القيام بما يُحسَب ترميماً موفقاً

وقد استعمل رجال البوليس اشعة اكس في البحث عن لصوص الجواهر . ولا يخفى ان بعض المال في مناجم الماس في جنوب افريقية يلفون احياناً ، الماس لسرقته . فاستعملت اشعة اكس للكشف عنهُ في بعدهم او امتعتهم . وضاع مرّة خاتم ثمين في حديقة حيوانات في انكلترا ، فظنّ انّ الفيل ابتلعهُ فصُوّرَ الفيل وَوُجدَ الخاتم داخلهُ

وقد حار علماء الاحياء من عهد قريب في مرض يصيب صنفاً من السمك في نهر اليتوي بالولايات المتحدة الاميركية ، فلما عجزت طرق التشريح والتشخيص عن معرفة العلة الخفية ، صوّرت الاسماك المصابة بهذه الاشعة فتمكّن الباحثون من معرفتها على حقيقتها . أما استعمال اشعة اكس في تشخيص بعض الامراض التي تنتاب الانسان فاشهر من أن نحصي وخصوصاً في الشؤون الجراحية

وقد استعملت حديثاً هذه الاشعة في اتقان وسائل اللحام الكهربائي . فقد وُجد مثلاً انهُ اذا كانت قوة القوس الكهربائية من درجةٍ معينة كان اللحام على أتمه . فاذا زادت قوتهُ أو نقصت ظهرت في مكان اللحام ثقوب وسمام داخلية تضعف الفلزّ . وهذه الثقوب تكشف بصور الاشعة (الراديوغراف) كما اكتشف الشرخ في العمود المذكور في صدر المقال . وقد مضى المهندسون في تصوير القضبان الملحومة لحاماً كهربائيًّا بواسطة قوى متفاوتة من القوس الكهربائية حتى توصّلوا الى درجة الحرارة التي يكون اللحام عندها على أتمّهِ

(١) راجع مقالة « اشعة اكس في خدمة الفن » في مقتطف يونيو ١٩٢٩ صفحة ٦٩—٧٢

التطور الاجتماعي والسياسي الحديث

في الشرق الادنى

خلاصة المحاضرة التي ارتجلها الدكتور عبد الرحمن شهبندر بالانكليزية على بعثة خريجي جامعتي اكسفورد وكامبردج في نزل الجامعة الاميركية في القاهرة في الثامن والعشرين من يوليوسنة ١٩٣١ فكان لها وقع كبير عندهم

سيداتي وسادتي : قال احد رجال التصوف من العرب المتقدمين ماخلاصتهُ : (أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب) واني لأرجو انهُ اذا كان لا بد لي من اللحن ان يكون لحني في الكلام وتركيب الجمل لا ان يكون في الافكار والشعور

ان انواع التطور في الامم من اجتماعي وديني واخلاقي وسياسي واقتصادي هو الى درجة بعيدة تلك الظواهر والعلامات الدالة على الطريقة الحيوية ذاتها التي تسمو بموجبها الاقوام ويتألف بحسبها كيانها الاجتماعي . وما اشبه هذه التطورات المتنوعة بالمصابيح الكهربائية ذات الالوان المختلفة المعلقة في البترا الواحدة فانك اذا ماضغطت على الزر الكهربائي ووصلت المجرى لاتلبث ان ترى هذه المصابيح جميعاً قد اشتعلت وان لم يكن اشتعالها على نسبة واحدة ولون واحد

ولا بدَّ لي اذا اردت ان ازودكم بنظرة شاملة تتناول الشرق الادنى في انقلاباته الحديثة من تقسيم التاريخ الذي اعالجهُ الى ثلاثة ادوار على طريقة أئمة التاريخ فأقول : « التاريخ القديم » و « التاريخ المتوسط » و « التاريخ الحديث » وتاريخنا القديم بالمعنى الذي نهجتهُ هو تاريخ السلطان عبد الحميد العثماني واستئثاره بالملك . وأما التاريخ المتوسط فهو تاريخ الانقلاب العثماني الذي تمَّ في شهر يوليوسنة ١٩٠٨ والتاريخ الحديث يبتدئ منذ اعلان الحرب العالمية الى اليوم

واسمحوا لي الآن ان اصف لكم العصر الحميدي وصفاً موجزاً وابين لكم الاسباب التي دعتني الى تسميته بالتاريخ القديم :

ان معظم الشؤون التي قرأتم خبرها في تاريخ الاعصر الماضية تنطبق من اوجه عديدة على العصر الحميدي فهناك اتحاد في السلطتين الدينية والدنيوية وكان الخليفة يدعى ظل الله في الارض وتتمثل فيهِ هاتان السلطتان تمثيلاً يشبهُ من اوجه عديدة ماكانت عليهِ الحال في اوروبا على عهد البابوية . وكان انصار الخليفة بالاجمال اعياناً من الطبقة العظامية وضباطاً من امراء الجيش ورجالاً ينتسبون في مظاهرهم ووظائفهم الى خدمة الدين فكان الخليفة

والحالة هذه قابعاً على ناصية الحال وكانت المراقبة على المطبوعات ، ولا سيما الكتب التاريخية والسياسية والاجتماعية ، ثقيلة لا تحتمل . واضرب لكم على ذلك مثلين يدلانكم على الذهنية التي كانت مخيمة في تلك الايام الواحد مما وقع لي شخصياً والآخر مما سمعتهُ من احد اساتذتي

كنت ذات يوم وانا تلميذ في الجامعة الاميركية في بيروت في مجلس ومجابي وكل مراقب الصحف وهو شاب انيس من اصل دمشقي فرأيت بيده مجلة عربية يتصفحها فاذا المجلة هي مجلة « المشرق » للآباء اليسوعيين في بيروت وفيها بحث طريف عن الاسد والاستدلال على وجوده في ديار الشام . فظننت لأول وهلة انهُ كان يمم النظر في هذه المقالة لتحقيق موضوعها لكنني فهمت منهُ انهُ كان يراقبها ليرى هل فيها ما تؤاخذ عليه المجلة من العبارات فأحببت أن اداعبهُ فقلت لهُ انظر ان في هذه المقالة كلة مخيفة فان الكاتب يصف الاسد بقوله «سلطان الحيوانات» افيجوز ان تطلق كلة سلطان يا ترى على غير سيدنا الخليفة الاعظم؟ فانتقع لونهُ وارتبشت اطرافهُ وقال ماذا ينبغي ان يكتب اذن ؟ فقلت لهُ « امبراطور الحيوانات» فضرب على «سلطان» ووضع مكانها « امبراطور » لأن هذا من ألقاب الافرنج !

واما الحديث الثاني فان تلميذاً انهى دروسهُ في البلاد العثمانية ثم قضى سنتين في اوربا في الدرس والتتبع ولما عاد كان يحمل في حقائبه الدفاتر التي جمع فيها ملاحظاته الفنية وفي احد هذه الدفاتر معادلة كيماوية ورد فيها تركيب الماء بالصيغة العنصرية المعروفة «هيدروجين اثنان في اوكسجين واحد » وهي تكتب بالاختزال اللاتيني (H_2O) فلما اطلع عليها الرقيب امر بتوقيف التلميذ بتهمة القذف في الذات السلطانية إذ أنهُ قال ان حميد الثاني (H_2) هو رجل صفر لا قيمة لهُ (O) ولولا تدخل اناس من اهل العلم والفن ما كان خلاص هذا المسكين هيناً . ومن الاسف الذي ما بعده اسف ان الارهاق الذي تئن منهُ بلادنا في هذا العهد بسبب الاستبداد يحمل الكثير من ابنائها على الترحم على العهد الحميدي مع ما فيه من ترهات القرون الوسطى . ولكن ليس من السداد ان يحن الناس الى امراضهم القديمة بسبب الامراض الحديثة التي يعانونها

وان اكبر فضيلة يدعى اليها الناس في عصر الاستبداد ودور الاستبداد هي الطاعة والانقياد واعظم رذيلة ينفرون منها هي الاستقلال بالرأي وكثيراً ما اطلق اهل المنافع واتباعهم على هذا الاستقلال الفكري كلة « الانشقاق » او « الخروج على الجماعة » لتقبيحه وتنفير الناس منهُ . ولم يعدم السلطان عبد الحميد من يفسرون لهُ الآيات والاحاديث تفسيراً ينطبق على ارادته ويأتلف مع طراز حكمه لان التفاسير الدينية في الحكومات الاستبدادية كثيراً ما تستلهم وحيها من الظروف السياسية واوهام الحكام ، واذكر ان شهيداً من شهداء الترك المشهورين هو السيد عبد الحميد الزهراوي من مدينة حمص في سورية الف في سنة

١٩٠١ رسالة في الاصلاح الديني اعتمد فيها على اجتهاده الشخصي ومن الموضوعات التي طرقها وحمل عليها حملة شعواء اشتغال علماء الكلام عندنا في تلك الايام بجواز بيع العبد او بيع يده او بيع اصبعه كما يبيع الرجل حجرة من بيته مثلاً فقال ان الرق اصبح ملغيًا بالصورة الرسمية فلا مجال والحالة هذه لبيع العبد كله فما بالك ببيع يده او بيع اصبعه!

عدَّ المشتغلون بالكلام هذا النقد خروجاً على الدين فهو لذلك خروج على الخليفة الاعظم فقبض الوالي على السيد الزهراوي وعلى من اشتبه فيه انهُ من شركائه في التأليف فأصابني من ذلك رشاش ولولا صغر سني لسافرت مع السيد الزهراوي منفيًّا ومكبلاً بالحديد

وقصارى القول ان الروح التي خيمت على تلك الادارة الضيقة كانت شبيهة بالسعي لحجز الناس في حجرات شبيهة على النور بيد أن الاشعة الاولى التي اخترقت الجدران الكثيفة التي يعيش وراءها السلطان اظهرتهُ بهيئة المرعبة وثوبهِ القشيب وهكذا شأن النور في كشف الظلم فان الجزء منهُ مهما كان صغيراً يكفي لتبيان معالم الطريق على من كان يتخبط في الدياجي

﴿ الانقلاب الخطير في سنة ١٩٠٨ ﴾

كانت الشعوب العثمانية مستغرقة في نومها على فرش وثير من استسلام وغرور وتصديق فأفاقت فجأة في صباح اليوم الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٠٨ على قرع طبول الحرية وانفجار سدود الاستبداد وكانت الاصوات تتعالى من هيئات جمعية « الاتحاد والترقي » السرية بان الشعب العثماني اصبح حرًّا مختاراً في تنظيم نفسه وتأليف حكومته منهُ وفيه واليه ولما كان حكم السلطان عبد الحميد القاهر قائماً على الزعم بأنهُ شخصٌ مقدسٌ يكاد يكون موجوداً في كل وجود وعالماً بكل شيء ومسخراً لكل قوة تعجزه عن اخضاع ثورة في الجيش صغيرة ابتدأت في مكدونيا افضى الى سقوط ادارته الى الحضيض سقوطاً مريعاً وجميع الرأي القائل بقدسيته وعصمته وقوته الخارقة اصبح رأياً فاسداً ونظرية بالية

لا جرم ان يكون هذا التغير الدستوري من الوجهة الداخلية كما هو من الوجهة الخارجية ذا شان خطير من الطراز الاول . وفي الحق انهُ كان ثورة دينية اجتماعية كما كان ثورة سياسية وقد انتهت بانتهائه تلك المباحث الكلامية وخمدت معهُ روح القرون المظلمة واصبحت الاقوام العثمانية من جرائه في بيئة جديدة واتجاه غير مشهود

﴿ وجهته الداخلية ﴾

وما لم نحط بالادارة الجديدة على عهد فتيان الترك ونقدر شأن ثورة سنة ١٩٠٨ قدرها فمن المتعذر علينا ان ندرك التغيرات الاجتماعية الطارئة في الشرق الادنى في الآونة الحاضرة والخلاصة ان ثورة ١٩٠٨ هي مفتاح سر الموقف الحاضر

فقد عشنا على عهد السلطان او الخليفة في جوّ مشبع بروح الجامعة الدينية المخدرة

بقيت العناصر العثمانية المهمة في حالة خضوع اختياري . ولكن ظهور خيان الترك على المسرح غيّر وجهة هذه السياسة لان هؤلاء الاحداث كانوا ممثلين بفكرة التربب القومية الوطنية فلما سعوا لتطبيق مناهجهم في تتريك العناصر وخلق امبراطورية كبرى متجانسة احدثوا رد فعل في الشعوب العثمانية الاخرى وفي مقدمة هذه الشعوب يأتي الشعب العربي طبعاً . ولكي تقدروا المدى الذي ساروا فيه من هذه الناحية اضرب لكم مثلاً من تقديسهم اتيلا وجنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك وغيرهم من اداة التخريب العلمي والمجازر البشرية ووضعهم إياهم في مصاف زعماء العالم وانبياء البشر بل لم يتورعوا عن الاشادة بذكر عبادة طوران الوثنية ووضع الذئب الابيض معبود القبائل المغولية الاولى في مقابلة الاله الحي الفرد الصمد معبود السامين

هذا من الناحية الايجابية واما من الناحية السلبية فقد رأى هؤلاء الاتحاديون قيام العرب عقبة كؤوداً في طريقهم فتحينوا الفرصة من اعلان الحرب العالمية للقضاء عليهم فبعثوا طاغيتهم احمد جمال باشا فنكل بهم تنكيلاً سيبقى حجة دامغة يد العرب على مظالم الاتحاديين ومغارمهم وانتهت هذه المآسي الفظيعة بالمشانق في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ ومن اغرب ما سيلاحظهُ المؤرخ في الاعصر القادمة ان تجري هذه الفظائع باسم الانتصار للدين والدفاع عن الخلافة الاسلامية وفي اقل من عشر سنوات ان تطرد تركيا الخليفة من بلادها وتعتنق المذهب اللادِيني الحر

كانت الغاية من الجامعة التركية ضم جميع العناصر الطورانية في الاناضول وتراقيا والقفقاس واذربيجان والتركستان تحت لواء جامعة عنصرية جديدة تحل محل الجامعة الدينية القديمة وأما النهضة العربية فكان هدفها ادارة لامركزية تحفظ للغة العربية كيانها وتقضي ببقاء جزء من الموارد الحكومية في البلدان العربية ليصرف على التعليم والمشروعات الاقتصادية المحلية . ولكن المشانق البست النهضة العربية ثوباً جديداً فجعلتها جامعة قومية سياسية على طراز الجامعة الطورانية وغيرها من الجامعات الحديثة

وهكذا أضفنا الى التاريخ الاجتماعي من قضيتنا التركية العربية مثالاً آخر على ان التوسل باسم الاخوة الدينية في الظاهر لاستثمار المنافع من الاقوام الاخرى في الباطن عمل محكوم عليه بالفشل . وان الصراع في مثل هذه المعارك ينتهي بتفوق الفكرة القومية

﴿ وجهتهُ الخارجية ﴾

هذه بعض النتائج التي نتجت من الانقلاب العثماني من الوجهة الداخلية فلننظر الى نتائجه من الوجهة الخارجية : — تحينت النمسا فرصة الضعف الناشيء عن دور الانتقال من العصر الحميدي الى العصر الدستوري فاعلنت ضم ولايتي البوسنه والهرسك مما سبب امتعاضاً شديداً في الاوساط السلافية وكاد ينتهي باعلان الحرب بين النمسا والصرب ولكنهُ على كل حال

مهّد السبيل لجناية بوصنه سراي ثم اعقب ذلك فتنة جزيرة كريت والحاقها ببلاد اليونان مما أثار مطامع الاوربية في « الرجل المريض » من جديد فوثبت ايطاليا على طرابلس الغرب وثبة جائية فلما سبق لها نظير ثم تحالفت دول البلقان فشنت غارتها على البلدان العثمانية في الغارة الاوربية في سنة ١٩١٢ وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩١٤ اغتال تلميذ صربي الارشيدوق فرديناند ولي عهد النمسا في مدينة بوصنه سراي انتصاراً للجامعة السلافية فاكفهرّ وجه السياسة وكانت هذه الجناية الشرارة التي اولعت نيران البارود في الحرب الكبرى

﴿ التاريخ الحديث ﴾

وكان من نتائج هذا الاتجاه القومي الجديد ان الحسين بن علي شريف مكة عاصمة الاسلام أبى الانضواء الى الاتحاديين محركي النعرة العنصرية والسير تحت لواء « الجهاد المقدّس » الذي اعلنوه ثم دخل في مذاكرات حلفية مع بريطانيا ووثق كل الثقة بالعهود التي قطعت له لاعتقاده ان دولة معظمة خاضت غمار الحرب للدفاع عن معاهدة تتعلق بسلامة البلجيك لا تتنزل للحنث معاهدتها مع العرب بل كان يظن ان تحقيق الوطنية العربية قاب قوسين أو أدنى

وقد مكّن هذه العقيدة في نفسه تأليف حكومة عربية وطنية في دمشق حافظت على النظام وراعت شؤون الحرية والاستقلال . ولكن بين عشية وضحاها هاجمتها اعظم دولة حربية على وجه الارض فاكتسبت في سحقها شرفاً ولا خلّدت ذكراً وانما اقامت لنا الدليل على ان الاستقلال انما يؤخذ كما اخذه الترك . ولا مراء ان وجود هذه الدولة المستحدثة ولّد في قلوب الاهلين طمأنينة وثقة بوعود اوربا وتقديراً لحرمة عهودها ولكن مابثّه الحكومة الوطنية بالجهاد الجهيد على ألسنة الخطباء واقلام الكتاب هدمه الجنرال غورو برؤوس الحراب

﴿ الحالة الاجتماعية والدينية ﴾

ويمكنني ان اصف الحالة الحاضرة في الشرق الادنى من الوجهة الاجتماعية والدينية بأنها قد تكون في بعض الاقطار بحلى المتناقضات فهنالك المذهب الوهابي السعودي يحاول السير وراء طريقة السلف . وهنالك الحكومة التركية الكمالية المجددة . ومن الخطإ الفادح أن أحسب أن هذا التجدد في فتيان الترك حديث العهد بل كان في عصر الاتحاديين وانما كان مستتراً تغطيه الدعايات السياسية فيكون الغازي مصطفى كمال باشا قد أزاح الستار وأظهر جرأة في الحرية تليق بقيمته الحرية

ويلاحظ الباحث ، على ذكر هذا ، ميلين ظاهرين في الشرق العربي ميلاً الى الجامعة الاسلامية وميلاً آخر الى الجامعة العربية وحينما كانت البلاد متمتعة بالحرية مستوثقة من النجاة كانت الجامعة القومية بتقلية . ولما كان الحسين بن علي مليكاً على الحجاز مستقلاً

قال جلة تناولتها الالسن في مختلف البقاع وهي : « لقد كنا عرباً قبل أن نكون مسلمين » ولا شك ان البسطة الاستعمارية الاوربية تقوي الشعور بالحاجة الى الجامعة الدينية بين المغلوبين على أمرهم

وكما يوجد في بلادكم رجعي ورجعيون كذلك يوجد عندنا مثلهم . ودلني الدرس والتتبع على أنهم أنشأوا في البلدان العربية الناهضة إجمالاً ردّ فعل على التحكم الاوربي والسيادة الاجنبية . وأعرف زعيم حركة في العالم العربي يقول بتقوية التعصب الاعمى تخلصاً من الاسر مع انهُ شخصيًا من كبار المتسامحين . بل ان الالحاد في المسلمين كثيراً ما يكون نتيجتهُ التحمس في المبشرين . فالمبشر الذي لاهمّ لهُ الاّ الطعن في الاسلام والحط من قدر مؤسسيه قد يحمل بعض المسلمين في آخر الامر على الانضمام الى صفوف الملحدين في أوربا وأميركا لمحاربة الدين جيماً فيخسرهم الاسلام ولا تربحهم النصرانية وهذا لعمري من الهدم الذي لامصلحة للاديان فيه . وأهل الاديان التوحيدية (على ما يدعونهُ من الفروق فيما بينهم) هم في سفينة واحدة فاما أن ينجوا معاً واما أن يغرقوا معاً

وأرى بين الرجعي والالحاد مذهباً جديداً أنصاره يدعون في العالم الغربي « مقابلين » وهم الذين يبنون عقائدهم الدينية وأحكامهم المذهبية على درس الدين بطريقة المقارنة . ولا بأس أن أبيّن لكم ملاحظاتي هنا على كلمة « الطريقة الحديثة » في مقابل « الطريقة السلفية » يعني تكييف الدين بحسب الحاجة الجديدة أو تركه على ما كان عليه حرفيًا فالحداثة بهذا المعنى تجرح التاريخ ولا تنسجم مع روح العلم لأن المتدينين في هذا التطبيق قد يعدلون ويفسرون ويحولون بما يخرج بهم عن دائرة الحقائق التاريخية القطعية . على أني اذا حرّمت هذه الكلمة عليًا فلا أحرمها اصلاحيًا واجتماعيًا لان جانباً مهمًا من الاصلاح الديني هو تعديل على النمط تحت تأثير الضرورة الملجئة الحاضرة

والطريقة التقابلية التي أشرت اليها تبني حكمها على التاريخ ولا تأخذ بعين الاعتبار التعديلات والاضافات والتفاسير الطارئة فالدين يجب أن يبقى وحدة تاريخية كاملة كما وضعهُ صاحبهُ وتبعتهُ قائمة على ما فيه من خصائص أصلية فقط لا على ما أصابهُ من زيادة أو نقصان

على أن درس هذا التعديل هو من ألذّ الدروس واشغل في الآونة الحاضرة باستخراج الدستور الذي يسير بموجبه وينقاد لحكمه فهو عنوان الشعور بالحاجة الى التغيير ويكون مقداره على نسبة هذه الحاجة ويدل من جهة أخرى على القوة الحيوية الكامنة في الدين الذي يفسره أصحابهُ على المقتضيات الطارئة كما يجري في النصرانية عند أنصار التوفيق من تطبيق النصوص على قضية الطلاق المدني الحاضر مثلاً وفي الاسلام على قضية تعدد الزوجات من غير أي نظر الى الحقائق التاريخية القطعية بل الغاية فيه المصلحة الاجتماعية كما يراها المفسر

قلت كما يراها انفسر لا كما هي في ميزان الحق لأن ما نظنهُ اليوم مصلحة تفسر نصوص الدين بحسبهِ قد يأتي يوم نرجع فيهِ الى النص الاصلي فنتمسك بهِ لانهُ يكون أقرب انطباقاً على ما نراهُ يومئذٍ حقيقةً جليةً

ومن البديهي انَّ لكل دين من الاديان مزايا خلاَّبةً قضت ببقائهِ . وقد تسألوني وانتم قادمون من الغرب مقر النصرانية ماهي مزية الاسلام الخلاَّبة في نظرك فاقول مزاياه كثيرة واجلاها البساطة — تلك البساطة العجيبة التي نراها اليوم في مضارب البدو في الصحراء فتملأ ذهن الرجل الحكيم منا بجلالها وقلب الشاعر بجمالها

وانا محدثكم عن الهداية في الصحراء كما شاهدتها مما يثبت لكم طرفاً من هذه البساطة ويعيد الى الخاطر ذكريات العصر النبوي وكيف كان يحدث الانتقال من الكفر الى الايمان في يوم واحد . فقد نزلت في صيف سنة ١٩٢٦ على ماء منقطع يبعد عن آخر العمور نحو مائة كيلو متر يدعى الازرق فوجدت بيتاً من الشعر صغيراً فيهِ رجلان مختلفان جدَّ الاختلاف في نظافتهما وبشاشتهما وحديثهما وان هما لم يختلفا كثيراً في سحنتهما وتكوين اعضائهما فسألتهما من هما فقالا اخوان شقيقان من قبيلة تدعى الشرارات فقلت لم هذا الاختلاف في المظهر وعلى م هذا الثبات في الحديث فقال الشراري النظيف الفصيح انهُ اهتدى الى الاسلام منذ سنة ولكن أخاه لا يزال على الجاهلية وكانت هدايتهُ على يد الوهابيين فانقطع بتاتاً عن جميع عاداته الاولى من سرقة وقطع طريق وزنا وكان من قبل لا يعرف الماء فصار يتطهر كل يوم للوضوء ويستحم ويغسل ثوبهُ في اليومين مرة وقصارى القول كان « خنزيراً » مختوناً كما قال عن نفسهِ فاصبح انساناً نظيفاً . ثم التفت اليَّ وقال مامعناه: لو رأيتك في هذه الصحراء منفرداً لانقضضت عليك ومزقتك شر ممزق وسلبت منك هذا الحصان الذي تركبهُ وانتزعت منك هذه الثياب التي تلبسها اما اليوم فيحرم عليَّ ديني التعرض لك بسوء ولكنني اذا اشتبهت في امرك ذهبت بك حالاً الى القاضي في قريات الملح لاتمم منهُ حكم الشرع فيك وانا مستعد لتنفيذ ما أومر بهِ . وكم كنت اود لو كنتم تفهمون العربية ان اتلو عليكم حديثهُ كما دونتهُ في مذكراتي ولكني أترك ذلك لمن يتكلم هذه اللغة الطليقة

ان نظرة سطحية الى هذين الرجلين تكفي لبيان معنى الانتقال من الجاهلية الى الاسلام وانهُ لمن الخطأ الاخلاقي الفادح بل من الجناية الاجتماعية الفظيعة ان يحاول مبشر متحمس اقناع مثل هذا المهتدي الحديث بخطاء الدين الذي اهتدى اليهِ وبطلان الشريعة التي أستمسك بها

واذا كان طول الاعمار كما اشار احد الشعراء لا يقاس بخطران الرقاص ولا بدوران الساعة بقدر ما يقاس بالأنات والآهات وخفقان القلب وكثرة التجارب ووفرنا

الاختبارات فان رجلاً مثلي اضاف الى رؤيته الحرب العالمية وما جرّته من الويلات والمصائب انه عاش في امّة ناهضة تائبة تطلب عزّها من جديد يجب ان يكون شيخاً طاعناً في السن . فان عمري الاسمي خمسون سنة لكن عمري العملي في الاخذ والعطاء مائة وخمسون سنة بل الف وخمسمائة سنة ! لاني قد شاهدت بعيني في غضون التطور الحديث الذي تطورته بلادي شيئاً من التاريخ القديم وشطراً عظيماً من روح القرون الوسطى وتصوراتها واني اعيش الآن في لب المدنية الحديثة : اعيش بجانب اللاسلكي وبمسح الهاتف بل تحت اجنحة الطيارة الحربية وما ترسله من مفرقعات تقتل الطائع والعاصي من غير تفريق . افلا أُحسَبُ بعد هذا « عصريًّا » صرفاً وعلى احدث طراز ؟

والآن ارجو ان تسمحوا لي يا ابناء انكلترا وخريجي مدارسها العالية وعماد مستقبلها الحافل بالممكنات ان اقول لكم بالصراحة التي تعهدونها من كل مخلص للحق ولبلاده ان ثقتنا بالانكليز وبعهودهم كانت ثقة عظيمة . وقد قلت «كانت» للدلالة على الماضي الذي مضى لا على الحاضر وبأيدي شباب ناهضين مثلكم ان يعيدوا الى نفوس العرب هذه الثقة وذلك بمحكم في سجلات حكومتكم ايام الحرب العظمى عن تلك البقع السوداء والخرايش ونحوها . كنت امس في تأبين حليفكم الملك حسين بن علي وقد مات قهراً من الاخلاف بالوعود والعهود فاقترحت ان يُعمَل له مأتم سنوي تمثّل فيه هذه المأساة كما تمثل مأساة الحسين بن علي في كربلاء الى ان يعود الحق الى اصحابه

واني في الختام اعرف ان بعض كبار رجال السياسة والاجتماع ينقدون بلادنا بقولهم انها اتون العقائد المختلفة التي لا يمكن التوفيق بينها لكن الحوادث علمتنا — والحوادث اعظم مدرسة — ان نتساءل فلا نبيع مقومات حياتنا بدواعي اختلافاتنا . لا جرم انه ينشأ فيما بيننا — الاّ قيمن بقوا على عهد القرون الوسطى من ابناء الطوائف المتنوعة — شعور بالتآلف نبيل يبشر بمستقبل باهر ولا خوف عليه مطلقاً الاّ من اوربا المستعمرة التي لا يقر لها قرار الاّ بتحريك النعرات التعصبية الكريهة التي تضمن لها سيادتها . وان المثل الاعلى الذي ننشده في حياتنا الروحية قد وصفه وصفاً دقيقاً منذ عشرات الاجيال امام من امتنا وجدٌّ من اجدادنا مدفون بدمشق اسمهُ محيي الدين بن العربي فقد قال والتصوف اخذ بمجامع قلبه :

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي ... اذا لم يكن ديني الى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف ... والواح توراة ومصحف قرآن
ادين بدين الحب اني توجهت ... ركائبه فالحب ديني وايماني

الخلية النباتية وتركيبها السيتولوجي

للدكتور سيد خربوش

مدرس علم النبات في مدرسة الزراعة العليا

تحتوي الخلية الحديثة النامية في النباتات الراقية على مادة حية كولويدية (غروية) شفافة تعرف بالبروتوبلازما [1] تشمل أجساماً مختلفة شكلاً وحجماً أهمها النواة والبلاستيدات المتنوعة فأجزاء الكوندريوم ثم الفاكيوم كذلك مواد أخرى كيميائية تختلف تركيباً كالبلورات والاجسام الدهنية والزيوت الطيارة وغيرها يحيط بها جميعاً غشاء رقيق مقفل تكوّن من سيتوبلازما الخلية الواقي لها

والسيتوبلازما [2] اصطلاح يشمل الكتلة الحية للخلية ما عدا النواة أي البروتوبلازما مضافاً اليها مجموعتي البلاستيدوم [3] والكوندريوم [4] . وللوقوف على ما للسيتوبلازما من الشأن في الخلية النباتية يجدر بنا أن ندرس كلاً من أجزائها درساً وافياً فيما يلي

(البروتوبلازما) : أهم أجزاء الخلية وهي مادة غروية تركيبها الكيمياني غير معروف تماماً ويظهر أنها تحتوي على مقدار عظيم من الماء حاملاً لكثير من المركبات البروتيدية المتنوعة فهي اذن أشبه بكتلة غروية ترجع اليها عمليات التنفس والتمثيل والتغذية والنمو والتناسل في جميع الكائنات الحية نباتات كانت أو حيوانات

وقد تضاربت الآراء في هل للبروتوبلازما تركيب خاص أو لا . فبعض الباحثين يقول بأن لها تركيباً خاصاً وبعضهم ينكر ذلك . فقال الفريق الاول بأربع نظريات يطول شرحها هنا ولذلك نكتفي بذكرها فقط لأن الابحاث الحديثة أثبتت خطأها وهي :

1	La Théorie réticulaire	١) النظرية الشبكية
2	„ „ alvéolaire	٢) » الفجوية
3	„ „ filaire	٣) » الخيطية
4	„ „ granulaire	٤) » الحبيبية

أما الفريق الثاني فقد أثبت أن البروتوبلازما وحدها (مجردة عن باقي مجموعة الكتلة

(1) Protoplasma (2) Cytoplasma (3) Plastidome (4) Chondriome

الحية للخلية) ليس لها تركيب خاص فتظهر حينئذ كمادة شفافة لا لون لها متجانسة كالماء غروية التركيب . ومن خواصها الحركة المتولدة من التغيرات والتفاعلات الكيميائية العديدة التي تحدث فيها فتغير تياراتها في جهات مختلفة فضلاً عن أنها تتأثر بالحرارة والضوء والكهربائية وغيرها اذا زادت عن الدرجة الملائمة . أما المواد المخدرة مثل الكحول والايثر والكلوروفورم وما شابهها فتوقف عملها لا سيما اذا كانت مقاديرها مرتفعة نوعاً مما يثبت ان البروتوبلازما تبلغ من شدة الاحساس درجة عظيمة

تقوم البروتوبلازما بعمل هام في حياة الخلية لاعتبارها جزءاً هاماً من أجزاء كتلتها الحية . وهي لا تنشأ لنشأة جديدة ولا يمكنها أن تقوم وحدها بحفظ حياة الخلية وكيانها بل يجب أن تكون متضامنة مع باقي طوائف السيتوبلازما كالبلاستيدات والميتوكندري والنواة

وعليه فمتى وجدت هذه الطوائف مجتمعة في الخلية وجدت الحياة ومعنى الموت انفصال إحداها عن باقي محتويات سيتوبلازما الخلية

وقد أجريت تجارب عديدة لفصل هذه الطوائف عن السيتوبلازما على حدة فلم تنجح لكن ما أمكن عمله انما هو فصل السيتوبلازما بمشتملاتها عن النواة . فمثلاً : اذا وضع نبات الطحلب الاخضر الخيطي المسمى Zygnema في محلول مخفف من سكر القصب بنسبة ١٦ ٪ يحدث في خلاياه عملية البلزمة Plasmolyse التي تسبب تجمع السيتوبلازما في وسط الخلية من جهة والنواة مع قليل من المادة البروتوبلازمية من جهة أخرى . وقد وجد أن الجزء من الخلية المحتوي على النواة كوّن له جداراً ثم نما وتكاثر تكاثراً عادياً بينما الجزء الآخر منها المشتمل على السيتوبلازما المجرد عن النواة ظل حيًّا فترة قصيرة ثم مات . اذن لا حياة للبروتوبلازما ولا للسيتوبلازما من دون نواة . ولا حياة للنواة من دون بروتوبلازما على ما سيتضح فيما بعد

(السيتوبلازما): تشمل السيتوبلازما أجساماً مختلفة بعضها ذو وظائف معلومة والبعض الآخر لم تعرف وظائفه بعد. منها البلاستيدات المنوعة والحبيبات الدهنية المختلفة شكلاً وتركيباً والحبيبات الاليرونية والبتاكرومانينية وهذه مختزنة في الفجوات الخلوية ولكل منها أهميته بالنسبة لوجوده او عدمه في النباتات المختلفة فمثلاً إننا نجد في أوراق السراخس عدداً كبيراً من البلاستيدات الخضراء بينما لا نجدها في خلايا الفطريات. ثم ان خلايا بزرة الخروع تشمل حبيبات اليرونية وأخرى زيتية بينما درنات البطاطس فان خلاياها تشمل عدداً كثيراً من البلاستيدات الاميلية الحاملة لكثير من الحبيبات النشوية المختلفة الحجم ، أما الفجوات فكثيرة في النسيج الحاري للبرتقالة مثلاً

يتضح مما تقدم ان هناك اختلافات كثيرة في التركيب الداخلي لأنسجة النباتات المختلفة وأن هذه الاختلافات مضافاً اليها اختلافات أخرى خاصة بالجدر الخلوية والنوى ترشدنا الى معرفة تركيب الانسجة المختلفة وتميز بعضها عن بعض. ومن أجل أن نصل الى معرفة ما تشمله السيتوبلازما من طوائف لابدَّ من درسها باتقان متتبعين جميع تطوراتها من البيضة حتى يبلغ النبات نضجه

هذه هي الطريقة المتبعة في معامل السيتولوجيا الحديثة والتي بواسطتها توصل الباحثون الى وجود أجزاء مستديمة وأخرى مؤقتة في سيتوبلازما الخلية النباتية والحيوانية معاً. فالاولى لها شأنها من حيث وجودها باستمرار في جميع خلايا أنسجة الاحياء أما الثانية فضيقة الشأن لعدم دوامها في الانسجة. لهذا نضرب عنها صفحاً ولنتكلم الآن على الاعضاء المستديمة

(النواة) : تحتوي أغلب خلايا النباتات الراقية على نواة واحدة وقد يكون أكثر من ذلك كما هي الحال في بعض الخلايا المستطيلة في كثير من الفطريات الدنيا وبعض أنواع الطحالب والخلايا المجاورة لحبوب اللقاح في النباتات البزرية المعدة لتغذيتها أما في البكتيريا فلم يعثر الباحثون على نواة أو ما يشابهها حتى الآن

(شأن النواة فسيولوجيًّا) : نعرف أن النواة أحد اعضاء المادة الحية في الخلية بل هي أهمها في الواقع بدليل ان الجزء المحتوي عليها من بروتوبلازما الخلية هو الجزء الذي يبقى حيًّا والذي يتجدد بخلاف الجزء المجرَّد عنها فانهُ يموت . ويمكن اثبات ذلك بوضع نبات الماركانسيا [1] ذي الشعيرات الجذرية الصغيرة في محلول من ملح مركَّز فيبتدئ هذا المحلول في امتصاص الماء من بروتوبلازما الخلايا بواسطة الضغط الأزموزي فتتكور هذه في جهة متجمعة في جزءين أو أكثر احياناً فالجزء المحتوي على نواة يفرز جداراً حولهُ ويبقى حيًّا بعكس الآخر المجرَّد عنها فانهُ لا يفرز جداراً ولا يتكاثر بل يموت بعد زمن مما يبرهن على أهمية وجود النواة في الخلية الحية

لكن أثبتت التجارب الحديثة ان وجود النواة فقط في الخلية دون جزء من سيتوبلازمها لا يكفي لحفظ كيانها بل ينتهي أمرها بالانحلال ثم الموت. وقد ظهر ذلك بوضوح في شعيرات اسدية نبات الترادسكانسيا [2] حيث امينت سيتوبلازما الخلايا بالكلوروفورم وبقيت النوى وحدها حيَّة زمناً الى حد انها انقسمت ولكن اخذت في الاضمحلال التدريجي بعدئذ ثم ماتت . فنستنتج من ذلك ان النواة لا يمكنها ان تنمو وتتكاثر وحدها بل لابدَّ لها ان تعيش مع السيتوبلازما الخلوية دائماً ولا يمكن للخلية أن تحيا وتنشط إلاَّ بوجودهما معاً

(تركيب النواة) : يحيط بالنواة غشاء شفاف خاص يسمى غشاؤها وفي داخله عصارة

(1) Marchantia (2) Tradescantia

فالزوجية لزجة تشبه المخاط البروتوبلازمي تعرف بعصير النواة وثَمَّ شبكة كروماتينية معلقة فيه مُركَّبة من اللنين [٣] في شكل خيوط متفرعة متداخل بعضها في بعض تتخللها حبيبات من مادة أخرى تسمى كروماتين [٤] . وليس اللنين في الواقع خيوطاً بل هو أنابيب دقيقة جوفاء تشغلها الكروماتين . والفرق بين هاتين المادتين هو ان اللنين يتلوَّن بالصبغات الحمضية بعكس الكروماتين فانهُ يصبغ بالاصباغ القلوية

وقد اختلف العلماء في حل هذه الشبكة الكروماتينية مكوَّنة من خيط واحد أو خيوط عديدة والمهم انها تتجزأ عند انقسام النواة فتنفصل الاجزاء بعضها عن بعض في شكل وحدات كروموسومية يمكن عدّها وعددها ثابت في كل نوع من أنواع النباتات أو الحيوانات ففي الانسان مثلاً كل خليَّة بها ٤٨ كروموسوماً مهما تباينت السلالات

وعدا ما ذكر يوجد في النواة جسم او اجسام كروماتينية صغيرة معلقة في عصيرها يسمى كل منها نويَّة (تصغير نواة) [٥] وهي غير ثابتة عدداً وتختلف حجماً وتتلاشى اثناء الانقسام ويظن أنها غذاء للكروموسومات

(انقسام النواة) لانقسام النواة ثلاث طرق :

(١) الانقسام المباشر : [٦] وهو أبسطها ويحدث بان تنقبض النواة في وسطها ويزداد الانقباض تدريجاً في المادة الكروماتينية حتى يتمّ انقسام النواة الى اثنتين متساويتين في الحجم أحياناً . وقد تكون إحدى الخليتين الجديدتين الناشئتين عن هذا الانقسام أصغر من الاخرى فيسمَّى الانقسام في هذه الحالة تبرعماً كما في الخميرة

(٢) الانقسام غير المباشر : [٧] تكون النواة ابان الانقسام في حالة سكون ويكون كروماتينها معزاً وخيوطها شبكية . فتبتدىء الانقسام تضخم النواة ويتحوَّل جزء من عصيرها الى خيوط كروماتينية دقيقة بينما تأخذ ثُنوية أو أكثر في التلافي فينجه مايها من النوكليولين الى الخيوط الكروماتينية فيزيدها ثخانة وهذه تأخذ شكل حبل ملتوٍ على نفسه مرَّات عديدة ويعبر عن هذا بالطور التمهيدي [٨] وبعدئذ يقصر الخيط الكروماتيني ويثخن ثم ينقسم الى اقسام عديدة تزداد سمكاً وتأخذ شكلاً خاصًّا فيسمى كل منها كروموسوماً [٩] قد تكوَّن من كروماتين النواة . ثم ان عدد الكروموسومات يختلف باختلاف أنواع النباتات كما ذكرنا فهو قليل في الفنجاي [١٠] واليوسين [١١] وكثير في الطحالب [١٢] والنباتات

(3) Linin (4) Chromatine (5) Nucleole (6) Direct Division - Amitosis (7) Indirect Division-Mitosis (8) Sinapsis (9) Chromosome (10) Fungi (11) Muscinea (12) Algae

البزرية واكثر عدداً في النباتات الكربتوجامية الوعائية

وفي المرحلة الاولى من هذا الانقسام تستطيل النواة فتأخذ شكلاً بيضيًّا وينحلُّ غشاؤها فيتلاشى فيمتزج عصير النواة بالسيتوبلازما ثم ينقسم الكروماتين فيظهر جسم شفاف مستدير يعرف بالسنتروزوم [١٣] (أي الجسم المركزي) قد تكوَّن من رسوب بعض اجزاء المادة البروتوبلازمية ولا يلبث هذا السنتروزوم طويلاً حتى ينقسم الى قسمين يتجه أحدهما الى القطب الشمالي لمنزل النواة المنقسمة [١٤] بينما يتجه الآخر نحو قطبه الجنوبي بحيث لا يصل بينهما إلاَّ الخيوط الرفيعة المتقطعة المكوِّنة للشكل المنزلي المنوَّه عنهُ . ثم تتصل تلك الخيوط المغزلية بالكروموسومات التي ترتب نفسها في وسط المغزل [١٥] والى هنا ينتهي الطور الاول لانقسام النواة غير المباشر ويسمى الطور التمهيدي [١٦]

بعد تكوين المغزل واتصال خيوطه بالكروموسومات تبتدىء الاخيرة ترتب نفسها بشكل خاص وينقسم كلٌّ منها اثناء هذا الطور انقساماً طوليًّا فينتج عدد مضاعف لعددها الاصلي . بعدئذ يأخذ السنتروزوم في جذب نصف هذا العدد بواسطة خيوطه ناحية قطب والنصف الآخر اتجاه القطب المضاد للاول ليكوِّنا نواتين جديدتين يحتوي كل منهما على عدد معين من الكروموسومات مساوٍ لعدد كروموسومات النواة الاصلية المنقسمة تماماً ويسمى هذا الطور المتوسط [١٧]

أما في الطور الاخير [١٨] فيشاهد وصول مجموعتي الوحدات الكروموسومية المتساويتين في العدد الى القطبين المتقابلين للمغزل وهناك تمتزج أفراد كل منها بعضها مع بعض فتكون كتلة كروماتينية على شكل شريط ملتوٍ على نفسه بينما يبتدىء الجدار النووي في تكوُّنه حول هاتين الكتلتين من الكروماتين الملتفتين في « النيوكليوبرتوبلازما » المكونة لعصير النواة الحديثة . وفي الوقت نفسه تتكوَّن في وسط المغزل مكان الكروموسومات قبل انقسامها طوليًّا رواسب تزداد تدريجاً حتى يتصل بعضها ببعض فتكون جداراً فاصلاً بين الخليتين الجديدتين . وتتركب هذه الرواسب من مادة بكتينية [١٩] ترسب فوقها طبقة من مادة اخرى سيلولوزية ثم يتلاشى المغزل تدريجاً ويحل محله نواتان جديدتان تحتوي كل منهما على عدد متساوٍ من الوحدات الكروموسومية مطابق لعدد كروموسومات النواة الأمية تماماً التي قد نشأتا منها ويسمى هذا الطور تلوفاز [٢٠]

(٣) الانقسام الاختزالي [٢١] : سبق ذكرنا ان عدد الكروموسومات ثابت في كل

(13) Centrosomes (14) Spindle (15) Equatorial plate
(16) Prophase (17) Metaphase(Anaphase (19) Pictin
(20) Telophase (21) Reduction Division- Miosis

نوع من الحيوان والنبات فلو فرض أن في خلية لقاح نوع من النباتات ستة عشر من الكروموسومات فبويضة هذا النبات يكون بها مثل هذا العدد أيضاً . وعند حصول عملية التلقيح باندماجهما ينشأ زيجوت به ضعف ما في كليهما اي (٣٢) ثم يتضاعف هذا العدد في الاجيال التالية حتى يصل الى عدد غير معقول . لكن فرضنا هذا نظري لحسن الحظ لانهُ في الواقع لا يحدث ذلك بل يختزل عدد الكروموسومات الى النصف قبل تكوين الجاميطة وعليه فعندما تتحد جاميطة مذكرة باخرى مؤنثة ينتج عنهما زيجوت يحتوي على عدد من الكروموسومات مساوٍ للعدد الموجود في الجاميطتين الاصليتين معاً

والانقسام الاختزالي يشبه الانقسام العادي أي ان النواة تنتقل من طور السكون الى طور الانقسام فتقطع الخيوط الكروماتينية الى جملة وحدات كروموسومية تأخذ في السماكة وتقل في الطول ثم بعد ذلك ترتب نفسها في ازواج يحتوي كل منها على قطعتين متشابهتين تتقاربان تدريجاً حتى تلتصقان التصاقاً طولياً بالتواء وعند اتجاهها الى قطبي المغزل تنفصل ثانية ثم ينكمش السيتوبلازما وتنقسم الخلية حينذاك الى اثنتين تحتوي الواحدة منهما على نصف عدد كروموسومات الخلية الاصلية المنقسمة

يلاحظ ان الكروموسوم الواحد في الجاميطة يكون فردي الجرعة لانهُ صفة مضادة فعند ما يتحد جاميط مذكر بآخر مؤنث ينشأ زيجوت به زوج من الجرعات أي واحدة من الاب واخرى من الام وفي الجيل الثاني تنزل العوامل اثناء تكوُّن الجاميطات فيكون في كل جاميطة جرعة واحدة كالجاميطة الاولى . لهذا اسست نظرية مندل[٢٢] على سلوك الكروموسومات وما تحملهُ من جرع او بعبارة اخرى ان الكروموسومات هي الحاملة للجرع (العوامل الوراثية) كما اكدت ذلك فيما بعد نظرية مورجان[٢٣] وكان ستون[٢٤] أول من أشار الى هذا الحل

ثم ان كثيراً من علماء الوراثة يعتقد أن مادة النواة الكروماتينية المكونة للكروموسومات هي وحدها مصدر الصفات الوراثية لكن هناك عدد كبير من البيولوجيين لا يسلمون به لا يسلم تماماً بصحة تلك النظرية بل يعتقد أنهُ لابدَّ أن يكون للسيتوبلازما الخلوية نصيب في ذلك أيضاً ويرهن بصحة هذه الفكرة انهُ أثناء انقسام النواة وعند تلاشي غشائها يتصل كروماتين النواة بسيتوبلازما الخلية وهناك يحصل تبادل بينهما ربما نشأ عنه فقدان بعض من خواص الكروماتين الوراثية بسبب هذا الاتصال وتغير البيئة لاسيما اذا كانت هناك علاقة ارتباط بين الخواص البيولوجية والكيميائية لكليهما

من أجل هذا كله لا يستغرب أن يكون للسيتوبلازما الخلوية ما للنواة في حمل الصفات الوراثية أيضاً خصوصاً انها تعد من أهم أجزاء الكتلة الحية في الخلية

(22) Mendel (23) Morgan (24) Sutton.

مكتبة المقتطف

رسالة من باريس — لبشر فارس

كتب شرقية بالفرنسية

مجموعة نصوص في التصوف

Recueil de textes inédits concernant l,histoire de la mystique en pays d,Yslam.
— Editions Geuthner —

ان الاستاذ (ماسينيون) Massignon في مقدمة المستشرقين، وله مصنفات من الطراز الاول ثم إنّ لهُ جولات معروفة في البلاد الاسلامية . ومقامه في أنس المسلمين من عرب وأعاجم رفيع ذلك بأنه يخالصهم الودّ ويأنس بهم ويُقرّ بجلالة ماضيهم وأما شغفه بأديهم فليس له غاية

على أن الاستاذ (ماسينيون) يكاد أن يقف بحوثه على التصوف الاسلامي وله في هذا الباب تصانيف محكمة الوضع . ولا يسعنا إلا أن نشير إلى الكتاب النفيس الذي ألّفهُ في الحلاّج وعسى أن تنقده عاجلاً

والذي بين يدينا اليوم مجموعة نصوص في التصوف الاسلامي عُني الاستاذ (ماسينيون) بنشرها فرتّبها وشرح ما غمض منها وكشف عن مُقفل مسائلها . وهذه النصوص جامعة للفلسفة وعلم الكلام والأدب ومن يطالعها يلمّ بأصول التصوف ويستقصي فروعه ويقف على دقائق اصطلاحاته ثم يعلم كيف يتأمل المتصوفة خلال تصائدهم واعترافاتهم وخطبهم

ثم ان هذه النصوص تدل على أن لأصحابها بصائر نافذة تنفوص على الحقائق ، وأفكاراً ثاقبة تقلّب المسائل ظهراً لبطن ، وأنهاماً سديدة تأتي باليّنات النواهض . إلاّ أن هذه النصوص يشوبها من حين الى آخر ولا سيما في الصور المتأخرة التكرار والاقتباس المحض واللبس والخلل والركاكة والتصنّف

في الموسيقى العربية

Encyclopédie le la Musique. Editions Delagrave. Paris

ان الموسيقى العربية من العلوم الخافية الاعلام والسبب في ذلك انها جعلت تنتقل من حال الى حال حتى أوشكت أن تجمد في القرن السابع للهجرة فلم يقع إلينا الاَّ الشيء القليل منها والغالب على الظن انهُ مدخول فيهِ ولا سبيل لنا في تهذيبه ولا في الزيادة عليه لأن العرب لم يخلّفوا لنا ألحاناً مُدوَّنة مثبتة نرجع اليها فنستفيد بعض الفائدة

فمن يعزم على الالمام بنواحي الموسيقى العربية يحاول أمراً بعيداً على حين ان الذي يتأتّى لها رجاء أن يتبصر فيها يخرج منها ببعض الفائدة

على أن جماعة من الموسيقيين الفرنسيين نشروا موسوعة تضم بين دفتيها رسالةً في الموسيقى العربية ألّفها أحد المستشرقين فذكر فيها أسماء الذين كتبوا في الموسيقى بين اخاريين ورواة أمثال ابن المورة واحمد بن المكّي وأبي الفرج الاصبهاني وبين فنّيين أمثال اسحق الموصلي والكندي وموسى بن شاكر والفارابي وابن سينا واخوان الصفا وغيرهم . ثم ساق شيئاً من تاريخ الموسيقى العربية فأشار إلى الحداء أيام الجاهلية والى الاصوات المتقنة الصنعة في عهد الامويين والى الالحان التي جُنَّ بها خلفاء بني العبّاس والى الموشّحات التي افتنَّ فيها الاندلسيون . ثم نوّه بالمغنّيين المُتقدّمين من سائب خاثر وابن سُريج وابن جامع وابرهيم الموصلي وابنه اسحق وابرهيم بن المهدي وزرياب وغيرهم . ثم عمد الى نواحي الموسيقى الفنّية فحاول أن يُفسّر ما استغلق من اصطلاحات كتاب الاغاني مثل ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى مستنداً في ذلك الى بحث أتى به مستشرق يدعى (كولانجيت) ولكنه لم يخرج فيما حاول عن دائرة الفرض . ثم بسط أسماء الاصوات من مثنى وعمّاد وغيرها وضروب الايقاع rythmes من هزج ورمل وخفيف وثقيل ثم أحاط بشتى الابعاد intervalles من بسيطة بين متلائمة ومتنافرة ومن مركبة بين ذوات الاربع وذوات الخمس ثم شرح أجناس الالحان من ليّنة وقوية ومتصلة ومنفصلة وألوان الانتقالات modulations من مستقيمة ولاحقة ومن راجعة رجوعاً فرداً أو رجوعاً متواتراً . ثم عرض الآلات فوصف آلات النقر فآلات النفخ فآلات العزف

هذا مجمل رسالة الرجل . فانك لترى انها جليلة جمة الفوائد . الا أن فيها من الخبط ما يجعل بعض نواحيها في موضع النكير

ان صاحب الرسالة يكاد أن يقف الغناء الجاهلي على الحداء وهذا ابن رشيق يخبرنا أن

عرب الجاهلية ناسبوا بين النغمات مناسبة بسيطة فأتوا بنوع من الغناء يقال له السناد

ثم ان صاحب الرسالة لم يحدثنا عن قراءة القرآن وعن تحولها على أيدي عبيد الله ابن أبي بكره والاباضي وسعيد العلاف (راجع كتاب المعارف طبعة أوربا ص ٢٦٥)

ثم انهُ زلّ زلةً تاريخية حيث قال ان ابن مسجح أقبل على تلاحين الروم والفرس وأخذ منها ما تستريح له آذان العرب والحقيقة ان ابن محرز الذي عمل هذا (راجع الاغاني طبعة دار الكتب ص ٢٥٠ ج أول)

ثم ان صاحب الرسالة وان حدثنا عن المغنين فرداً فرداً الحديث الطويل أهمل أن يذكر منافراتهم ومنافساتهم ومناقضاتهم (راجع الاغاني طبعة دار الكتب ص ٢٧٤ وما يليها)

ثم انهُ رمى الموسيقى العربية بالجمود منذ القرن السابع للهجرة حتى اليوم ، فهل غاب عنهُ أنّ الترك ابتدعوا البشرف وزادوا في الموسيقى العربية ما شاء الله حتى بلغوا بها الى الرقيّ في عهد سليم الثالث ، وهل جَهِلَ ان أهل حلب أعاروا الى موسيقانا شيئاً من ترانيمها الماضية وان المصريين استحدثوا فيها النقاسيم والرقصات والاناشيد

ثم ان صاحب الرسالة علّل إعراض العرب عن الموسيقى المؤلّفة harmonie بعجزهم عن التأليف الجمعي Multiplicité . ولسنا نرى رأيه فان فلاسفة العرب نظروا الى مناحي الحكمة نظرة شاملة والشمول أسّ التأليف الجمعي . ثم ان الاخباريين والمؤرخين يسوقون لنا أن الخلفاء كانوا يقيمون حفلات موسيقية يشترك فيها مائة من العازفين والمغنين . فلا سبيل لنا أن نتّهم العرب بأنهم لم يعمدوا الى الموسيقى المؤلفة حتى تقع الينا أصواتهم وتلاحينهم مدونة مضبوطة فنتبصر فيها . وأما إرسال هذه التهمة استناداً الى قول (رنان) بأن السامي لا يقدر على أن يتمثل الاشياء مجتمعةً فأمرٌ فيه من السفه ما فيه

في الفن الاسلامي

Manuel d' art musulman : Editions Picard. Paris

ان أهل اوربا لم يفطنوا الى روعة الفن الاسلامي إلاّ لبعض سنةٍ خلت . غير انهم ذهبوا الى أن في مظاهره الاندلسية والمغربية شيئاً يرجع الى الفن الغربي وقد وضع الاستاذ (مارسيه) (Marçais) المدرس بجامعة الجزائر مجلدين يدير فيهما تلك المسألة . فجعل موضوع بحثه البنايات التي شيّدت في تونس والجزائر ومراكش والاندلس وصقلية منذ القرن التاسع للمسيح حتى القرن التاسع عشر . نخرج مما قدّم بنتائج هذه خلاصتها :

نشأ الفن الاسلامي في جزيرة العرب وفي دمشق ثم هبط البلاد التي فتحها العرب .

ثم انهُ لما استقرَّ المسلمون في بلاد الفرنجة استقلوا بانفسهم عن الخليفة أو كادوا فانقطعت الصلة التي كانت بينهم وبين اخوانهم المقيمين بالشرق ، غير انهم مازالوا يرجعون الى أساليب فنهم ومظاهره. فانهم قاطعوهم سياسيًّا ولكنهم مابرحوا يحاكونهم ويتقلبون في بلادهم

ثم ان مسلمي الغرب ومسلمي الشرق وردوا منهلاً واحداً منهل الاسلام فاتحدت وجهتهم وتسايرت اهواؤهم على تراعي اوطانهم فوافق بعضهم بعضاً على أساليب التشييد وانتهوا بما نشأوا عليهِ جميعاً الى آراء في الفن متشابهة، ودونك مثلاً :— ان إعراض المسلمين كافة عن صور الطبيعة واقبالهم على معالجة علم المساحة وشغفهم بالاقتان حمل الاندلسيين واهل المغرب والمصريين وأهل العراق على أن يسعدوا في فنون النقش الى اساليب المساحة وهيئاتها

ومما يدلُّ على ان المسلمين لم يعولوا على اصول الفن الغربي القديم انهم أهملوا مسألة القوة الدافعة والقوة المقاومة — على خلاف فرنجة العصور المتوسطة — معتمدين على حذقهم في البناء . ولكنهم عنوا بالنقش والحفر والنحت فبالغوا في تحلية البنايات وغالوا في تزيينها فجعلوا لفنهم خاصية تدلُّ على حضارة لا يلحق بها حضارة

هذا ما انتهى اليهِ الاستاذ (مارسيه) . وأما البنايات التي رجع اليها في بحثهِ فبعضها معروف من زمان ، وبعضها لم ترها الأعين إلاَّ من زمن غير بعيد مثل منازل الخلفاء بجوار قرطبة واكتشافات مدينة الزهراء . على ان هنالك بنايات تونسية ومراكشية لم يستطع الاستاذ أن يتأملها لانها من المعاهد الدينية ولو استطاع لازداد بحثه متانة ولجاء كتابهُ الغاية التي ليس وراءها مذهب لطالب

كتب في الادب الفرنسي

تاريخ الادب الفرنسي

Histoire de la Littérature Fmncaise—Editions Larousse, Paris

إن الادب الفرنسي فسيح الرقعة شتى النواحي لم يعرض أحد للبحث فيهِ إلاَّ بات مجهوداً ولربما خذلهُ تشاطه فأمسك أو فاتهُ التدقيق فزلَّ . ولقد فطن فريق من ادباء فرنسا في مقدمتهم الاستاذ البيه (بيديه) Bédier ان الرجل المنفرد بنفسهِ يعجز عن الالمام بتاريخ أدبهم فاتفقوا أن يتعاونوا على تأليف كتاب غزير المادة مطرد التنسيق يجمع بين أطرافهِ المتذلات والشوارد فاختصَّ كلٌّ بفصل من فصوله فجاء الكتاب محكم الآراء شديد التنقيب على أن هؤلاء الادباء لم ينهجوا منهج من سبقهم من النقاد فلم يجعلوا همَّهم التبحُّر

في المصنَّفات ولا الفحص عن دخلات الكتَّاب والشعراء ولكنهم عمدوا الى منهج أجلّ من ذلك المنهج شأناً إذ تدبروا تحوُّل الأدب ثم نقَّبوا عن أسرار الفئات الادبية (المدارس على قول نقادنا المُحدثين) واستوضحوا الوجه الذي تواطأوا عليه والوجه الذي تشاقَقن فيه ثم قلَّبوا النظر في آراء المؤتنين ووقفوا منها موقف نقَّاد لا موقف مجادلين فلم يتشيَّعوا لها ولم يتعصَّبوا عليها . ثم انهم عُنوا بالبحث الشامل عنايتهم بالبحث التحليلي فجعلوا يبسطون كيف تتساوق اجزاء الادب فيأخذ بعضها بأعناق بعض وكيف تتنافر فلا تتجاوب أولها وآخرها فتصبح وبعضها من بعض بمنزلة الضدمن الضدّ ، ثم فحصوا عن الاسباب التي من أجلها يخرج الأدب من طورٍ الى طور فاضطروا الى أن يصَّعدوا النظر ويصوّبوه في الاحوال السياسية والشؤون الدينية والاوضاع الاجتماعية من حيث انها تؤثر في الأدب فتدفع اصحابهُ الى الطمأنينة أو تحرّضهم على التمرُّد ثم تسوقهم الى ذرى الحكمة أو تتحدر بهم الى هوَّة الفحش

وجملة القول ان اصحاب هذا الكتاب لم يحصروا عملهم في سرد تاريخ أدبهم بل أخذوا يبسطون ارتقاء التفكير الفرنسي وتحوُّله . وإن بدا لي ان الوهم في شيء لا يسخي إلاَّ أن أعيبهم في أمرين . أما الامر الاول فتبسُّطهم في محاسن الكتَّاب والشعراء الى حدٍّ ذهلوا عنده ان يتنبَّهوا الى مساوىء القوم . واما الامر الثاني فاهمالهم أدب اليوم ظنًّا منهم بأن الروّي فيه لا يصلح إلاَّ للناقد الآتي . ومثل هذا الظن بعيد عن مرمى الصواب لأن الادب في عهد كهذا ليس بشيء اذا لم يمثل ذلك العهد . فالناقد الحالي أبعد نظراً وأجدر بأن يتفهم أدب اليوم وينقده إذ يرى رأي العين هل يبلغ الادب الى الصدق في التمثيل وكيف يبلغ اليه

ومهما يكن في الكتاب من مطعن فانهُ والله لجليل . ودعني اصرّح لك بأني ازداد به عجباً كلما ولَّيت فكري شطرَ « المجمل في الادب العربي » ذلك المصنَّف الذي لا يثبت على النقد على ان تستثنى منهُ الفصل الاول والفصل الثاني

مؤلفات كورتلين

Oeuvres de Courteline – Editions Le Trianon - Paris

لما تُوفي (كُورتلين) لسنتين مضتا قال الفرنسيون انَّا فُجعنا بأحد كتَّابنا ظلاً . والواقع ان الرجل ابتدع فنًّا في الكتابة ذلك أنهُ يقصُّ عليك القصة هازلاً متهاوناً بها ساخراً منك تنظنهُ ضيق التأليف مأفون الرأي لا يبحث البحث البعيد الغَوْر فاذا

قرأت ثانيةً ما قصَّهُ عليك أثبتَ انهُ أتى بشيء عجيب جامع لفحص الدقيق والعلم الواسع والدراية التي لا مغمز فيها

ولكُورتلين اسلوبهُ فهو كليفٌ بالتشبيه يكاد لا يؤلف جملةً إلاَّ يردفها بأخرى تتقدمها الكاف او كأنَّ . وليس بين التشبيه الذي يعمد اليهِ وبين التشبيه الذي سبقهُ اليهِ الكتَّاب الفرنسيون صلة من الصلات فهو يستحدث التشبيه استحداثاً ولربما اغرب فيهِ الاَّ انهُ يسحر بهِ القارىء في الغالب

على ان من يقرأ تآليف كُورتلين القصصيَّة كتل Boubouroche و Les Linottes يعجب للرجل كيف يُعنى فيما يكتب بأن يبسط نواحي الحياة الوضيعة واذا بها بين يديهِ جليلة القدر

واما حِكَم (كُورتلين) La Philosophie de Curteline فلطيفة الاشارات بعيدة المرامي . ان الغموض ينشاها من حين الى آخر . والذي يلوح لي ان (كورتلين) خبرَ النساء والرجال الى حدٍ لا نهاية لهُ ومن اقواله فيهم — يزعم بعضهم ان الرجل يمتاز بالبله والشراسة وفي هذا الزعم مغالاة : اما الشراسة فان الرجل لا يبسط يده إلا الى المستضعف الأعزل، واما البله فان الرجل سرعان ما يفهم عند ما يهدد بالنظم او يوعد بالكسع

— متى يَدَعْنَ رجل من نساء يتساقطن الحديث يلزمن السكوت لساعتهنَّ فما السبب في ذلك ؟

— ان المرأة خيرٌ مما يزعمون . والدليل على ذلك انها لا تبث بدموع الرجل إلاَّ اذا كانت سبب انهمارها

مؤلفات شفاليه ده ميريه

Oeuvres completes du Chevalier de Méré
Editions Fernans Roches. Paris.

ما قولك في رجلٍ لا يُقبل على التأليف إلاَّ بعد بلوغهِ الستين وحجتهُ ان الرجل ما يزال ينظر في اعطاف الحياة ايام قوَّته وكهولته حتى اذا شاخ وطَّد لهُ اختباره اساليب التفكير وسدَّد آراءه . فان كنت اتى بالشيء الصالح

ذلك شأن (الفارس دي ميريه) الكاتب . ان الفارس دي ميريه خالط عيون قومه في القرن السابع عشر ودأبهُ الفحص عن اخلاقهم ثم قرأ مصنَّفات الاغريق وهمُّهُ اقتباس دقتهم في التعبير . فلما أخذ يكتب بسط ما شاهده في اسلوب كلهُ طلاوة

ان (دي ميريه) لا يتحدث الاَّ عن الخاصة . ولكنَّ لحديثهِ ظرفاً لا نهاية لهُ ذلك

أن فيه وصفاً دقيقاً لمواطف شتى ، وبحثاً جليلاً عن اخلاق تغيب في الغالب عن الاعين ، واشارات لطيفة الى نقائص منتشرة . واما آراؤه بين الجد والهزل واما نظرهُ الى الحياة فنظر رجل تغلب السماحة على نفسه وملك الرقة على قلبه

واذا عدلنا عن أسلوب الرجل الى الفحص عن «أخلاقياته» وجدناه يحمل الانسان على ان يراقب نفسهُ ويملك قيادها ويدفعه الى ان يكفّ عن التحمس في الرأي والتطرف فيه وينصح له ألاّ يستسلم الى احد عن غير روية وألاّ يعزم على أمر يلحق به العار

هل تغيرت العقلية الفرنسية

عهدنا الفرنسيين لا يقرأون إلاّ الروايات والاقاصيص ولا يخرجون من ديارهم إلاّ ليذهبوا في قرية من قرى فرنسا ابتغاء الراحة . والذي يدهشنا اليوم ان جماعة من الفرنسيين يغادرون اوطانهم ليسيحوا في البلاد وهم يكتبون عن سياحاتهم . والظاهر ان الناس مطمئنون الى قراءة ما يكتبون . والدليل على ذلك ان ناشراً فرنسيًّا Duchartre, Paris اذاع بين الناس ثلاثة كتب أحدها Les derniers sauvages يبحث عن قبائل جزائر المركيز تلك الجزائر الكائنة في اميركا الجنوبية . والكتاب الثاني Voyage de Siam حديث رجل رحل الى مملكة السيام . والكتاب الثالث Tahiti ذكريات ربّ سفينة

الاّ ان هذه الكتب لا تخلو من خصائص الروح الفرنسية . فإنّا نرى في الكتاب الاول حديثاً مسهباً عن عادات القبائل يتخلله من هنا ومن هناك مجون لا غاية لهُ . ثم اننا نرى في الكتاب الثاني تقدماً لطائفة من السادات كلهُ لذع وتهكم في لطف وظرف . فان كان الفرنسيون قد تأثروا بالادب الانجليزي اذ عدلوا قليلاً عن الروايات الى كتب السياحات فانهم لا يزالون يحافظون على ميلهم للمجون ورغبتهم في التهكم

بشر فارس

مؤلفات عربية جديدة

رسالة النسبة

للعلامة الخالد الذكر جبر ضومط فلسفة لغوية تجعله في العلماء المتأخرين منزلة ابن جنّي في علماء اللغة المتقدمين الاّ أن ابن جنّي كان يتجه بفلسفته في الغالب الى تلمس النكت والتعليلات الفلسفية لقواعد اللغة المتواضع عليها لكأنهُ كان يعمل لتثبيت او تركيز هذه القواعد اكثر مما هي عليه . أما العلامة ضومط فقد جعل محور فلسفته يدور حول وجوب معاشاة بداهة الفطرة في اختيار الاسب من الصيغ والاّ لفاظ لانهُ يرى أن لبداهة الفطرة

ادراكاً خفيّاً دقيقاً ترى به الحقيقة قبل ان يراها العقل بالبرهان. وعلى اساس هذه القاعدة التي هي الفلسفة الضومطية بمثابة الشعار صدرت كل تعاليم العلامة ضومط سواء أكانت هذه التعاليم بحوثاً في مجلات ام في كتب ام في رسائل مثل رسالة النسبة هذه التي نستوحيها ما نكتبهُ الآن — فهذه الرسالة على صغر حجمها صالحة جدًّا لتقرّر مركز مؤلفها بين امثاله من العلماء. انها فيما نعتقد صالحة جدًّا لتكون عنواناً حسناً للرسالة العلمية التي بُسمت العلامة ضومط فأداها على احسن وجه للحياة

حقيقة ان الرسالة من حيث مظهرها، طباعة وكيّنة، ليست مما يملأ العين ولاسيما في هذا العصر الذي يكاد في كل شيء ينظر الى الكم لا الى النوع الاّ انها من حيث مخبرها ومن حيث ما تحويه بين غُلافتيها من جهود علمية وتحقيقات لغوية جديرة بالخلود بل هي جديرة ان تسمى بالرسالة اليتيمة ليس لانها آخر مؤلفات صاحبها العالم كلاّ بل تسمى اليتيمة لانها كما جاء في مقدمتها بحق تبحث في نحو لم يُسبق اليه

ان هذه الرسالة تقرر قاعدة فلسفية لغوية لا يصفها من يقول انها خطيرة وكفى. هي شيء اكبر من ذلك لانها (اي هذه القاعدة) لن تقف عند حدود موضوعها (باب النسبة) وانما هي اذا كتب لها الفوز سوف تُخضع لدستورها قواعد اللغة جميعاً من النحو الى المعاني الى البيان الى البديع ايضاً... فهذه الرسالة في اكبر الظن ليست الاّ قذيفة قد احكم اقوى سواعد المجددين رميها وكأنها اصابت قواعد القديم في الصميم

لقد اختار المؤلف الحكيم باب النسب موضوعاً لرسالته اومستودعاً لنظريته. ولقد كان هذا الباب ولا يزال مصدراً للخلاف بين جماعة الكتاب وبين القواعد المقررة. فاذا كان هذا الخلاف سيكون مَنْشجاً عظيماً لاستخراج الامثلة والشواهد الكافين لحياة النظرية الضومطية حياة قوية في منطقة باب النسب على الاقل، فان هؤلاء الكتاب الذين تشاقفهم القواعد سيكونون دائماً في صف صاحب النظرية كجنود بل كمكروفونات من اقوى وأشد المكروفونات التي تملك اذاعة المذاهب العلمية في جميع الاوساط وناهيك بنظرية تنتصر لبداهة الفطرة

ان الكتّاب الذين تابعوا بداهة فطرهم فقالوا (تاريخ كنائسي) ولم يقولوا (كنسي) وايضاً الكتاب الذين لم يتابعوا فطرهم وخضعوا لقياس بعض العلماء كالعلامة الصابونجي ان هؤلاء جميعاً عند ما يقرأون تحقيق العلامة ضومط لهذه النسبة في الفصل الذي عقده لها في صحيفتي ١١ و ١٢ سوف يطّلعون فيه على ما يجعلهم اشد تأييداً لمذهب ضومط الذي يمكن ان نسميه « بداهة الذوق العام »

محمود ابو الوفا

الخيام

ترجمة السيد احمد النجلي الصافي

كنزّهافت ادباء العرب في هذه السنوات على ترجمة عمر الخيام فظفر الشاعر الفارسي من وراء ذلك بشهرة سلكته في مصاف اعظم الشعراء الفحول من بين ادباء العرب

وسواء اكان الخيام هو الممثل الوحيد للشعر الفارسي ام لا وسواء اكان هنالك من يستحق شيئاً من مثل هذه العناية ام لا فان شهرة الخيام مدينة في اتساعها هذا الاتساع العظيم للشاعر الانجليزي فتزجرالد بل للغة الانجليزية ذاتها. فان تراخي هذه اللغة ونفوذها وسيطرتها كلغة الاقوياء الغالبين ولاسيما في الشرق كل ذلك الى اشياء اجتماعية اخرى هو العامل الاول في اقبال هذا العصر على الخيام

ومهما يكن من شيء فاننا نرجو ان تكون ترجمة الاستاذ الصافي للخيام بكل هذه الدقة التي فرظها العلامة التزويني (صحيفة ١٤) وبكل هذا الثيوْ الذي يقرر الاستاذ الصافي نفسه انهُ لاجل هذه الترجمة قضى ثماني سنوات في دراسة الفارسية والنقل عنها والبها — نرجو ان تكون هذه الترجمة التي اتيحت لها كل هذه الظروف فاتحة عهد جديد لدراسة العلاقة بين الادبين العربي والفارسي ، فاننا نعتقد ان تاريخ تطور الادب العربي بحاجة الى الشعاع الكشاف الذي يلقى على هذا الموضوع الخطير بل نكاد نذهب اكثر من ذلك ونقرر ان علاقة الادبين قريبة قرباً يبعث الى وجوب دراسة علاقة احداهما بالاخرى ولا يستبعد ان هذا البحث قد يرينا ان كثيراً من قواعد علم البيان العربي موضوعة على انماط فارسية او ان لها على الاقل اشباه ونظائر عند الفارسيين

وبعد فاننا نشكر للاستاذ الصافي جهوده ونرجو لترجمته ما يستحقه جهدهُ العظيم من التقدير والاقبال. والكتاب مطبوع طبعاً متقناً فكل صفحة من الترجمة يقابلها صفحة من الاصل الفارسي ضمن اطار جميل . والمطبعة التي تولت هذا العمل هي مطبعة التوفيق بدمشق الشام

المجمع المصري للثقافة العلمية

الكتاب السنوي الثاني — صفحاته ٢٩٨ عدا ٢٢ صفحة صور — طبع بمطبعة المقتطم تحت اشرافنا

المجمع المصري للثقافة العلمية ، مجمع حديث النشأة ولكنهُ جمُّ النشاط . فلم تكد تتألف هيئتهُ في يناير سنة ١٩٣٠ حتى عقد مؤتمرهُ السنوي الاول في شهر مارس من تلك السنة فألقيت فيه احدى عشرة محاضرة في موضوعات علمية مختلفة جمعت كلها في كتابه السنوي الاول . وقد سمعنا أحد كبار الاساتذة الذين تلقوا علومهم العالية في جامعات أوربا وانتظموا

في سلك جمعياتها العلمية ان هذا الكتاب السنوي يضاهي كتب الجمعيات العلمية التي من قبيله

وغرض هذا المجمع نشر الثقافة العلمية . وقد قال الدكتور علي باشا ابرهيم رئيسهُ الاول في الكلمة التي افتتح بها المؤتمر السنوي الثاني : « ان القيام بنشر الثقافة العلمية ضرب من الحسبة والمحتسب للخير . لا ينبغي أن يلقى في سبيله عسراً . وذو الموهبة لا يتصدق بها على الانسانية ولكنها حقٌّ للانسانية عليه »

وهذا هو الكتاب السنويُّ الثاني يشتمل على اثنتي عشرة محاضرة ، كل محاضرة منها خلاصة كتاب ، بل ان منها محاضرة هي كتاب كبير وهي محاضرة الدكتور شاهين باشا رئيس المجمع المنتخب للسنة المقبلة . فان صفحات محاضرته في « إطالة العمر وتجديد الشباب » تملأ ١٢٠ صفحة وقد أحاط صاحبها بالموضوع من جميع أطرافه وضمنهُ من الرأي الصادق والارشاد العلمي المتزن ، مايجعل الكتاب ، بصرف النظر عن سائر المحاضرات ذا قيمة كبيرة للجمهور

ولكن المحاضرات الاخرى تعالج موضوعات علمية وعملية خطيرة . فالرئيس حسين بك سري والدكتور عبد العزيز احمد بك ، طالما في محاضرتهما « موضوع كهربة القطر المصري » وما يحتاج اليه من القوى الكهربائية في القرن المقبل ، ثم تناولا مسألة توليد القوة الكهربائية اللازمة من مشروع القطارة (محاضرة سري بك) ومساقط خزان اسوان (محاضرة عبد العزيز احمد بك) تناولاً علميًّا هندسيًّا ، يحملك على الاعجاب بعلمهما الواسع

ثم ان الموضوعات الطبية الصحية لها قسط كبير من العناية . فمدار محاضرة شاهين باشا تقرأ خطبة بيولوجية فلسفية للدكتور عبد الخالق بك أستاذ الطفيليات في كلية الطب ، وقد بحث فيها موضوع الطفيليات وأثرها في صحة الناس الجسدية والعقلية وقيام حضاراتهم وانحطاطها . ثم هناك الخطبة البديعة التي ألقاها الدكتور شوشه بك في موضوع العراك اليومي بين الجسم وأعدائه وقد صوَّرها تصوير معركة حربية لها من المعارك كل وسائلها من هجوم ودفاع

ولا يتسع هذا الباب للكلام عن موضوعات المحاضرات الباقية وانما نشير اليها اشارة . فثمة محاضرة « المباحث المائية » للدكتور حسن زكي مدير أعمال قناطر الدلتا و « توارث الصفات الجسمانية المكتسبة » للدكتور محمد ولي الاستاذ المساعد للتاريخ الطبيعي بكلية العلوم و « الحالة والعلم » للدكتور ابوشادي . و « الحفائر والانزيمات » للدكتور علي حسن . و « تعيين الذكر والانثى » للدكتور كامل منصور . و « مقام الانسان في الكون » لمحرر هذه المجلة

وعلى الجملة فان الكتاب السنويَّ الثاني يؤيد كل الآمال التي بنيت على هذا المجمع في نشأته . وأملنا كمجلة تسعى سعي المجمع أن يقبل قرّاؤها على كتابه السنوي هذا فانهُ من خير ما يطالعهُ أبناء العربية

تفسير القرآن الحكيم

المعروف بتفسير المنار

أتمّ حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار، تأليف عشرة اجزاء من تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار وأهدى الينا الجزء العاشر من ذلك التفسير الذي نال حظوة عظيمة لدى جمهور من اكبر العلماء المصريين والشرقيين فقرظوه وأثنوا على مؤلفه المفضال. ولقد سبق المقتطف ان نوّه بفوائد هذا التفسير وما امتاز به صاحبهُ من علم غزير في الشريعة الاسلامية . ولذلك نرى اتماماً للفائدة هنا ان ننقل زبدة من بعض اقوال علماء الشريعة الاسلامية في التفسير فهم أعلم من غيرهم بهذا الامر

قال الاستاذ الشيخ محمد العدوي مدرس الحديث والتفسير في الازهر الشريف :

« تفسير المنار فيما أعلم هو أمثل تفسير يتناسب مع روح العصر الحاضر يتجلى فيه لقارئه عظمة التشريع الاسلامي بأسلوب جذاب يفيض على قارئه هداية ويبعث فيه روح الحياة العملية ويعدّهُ لان يكون عالماً دينيًّا وباحثاً اجتماعيًّا واستاذاً اخلاقيًّا »

وقال الاستاذ الشيخ احمد ابراهيم استاذ الشريعة الاسلامية في كلية الحقوق : « وان خير تفسير لكتاب الله على ما نعلم من حيث هو كتاب هداية وارشاد هو تفسير المنار .. فرأيت روح الهداية الربانية قد فاض عليه فغمرهُ من اوله الى آخره »

وقال الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ... « ... لم أجد لهُ نظيراً في سهولته وبلاغته وطلاوته واتقان اسلوبه وترتيبه وحسن ارشاده فهو افضل الكتب التي الفت في هذا العصر لحفظ الدين وتأييده وبيان ما ترشد اليه الآيات من العقائد والعبادات والاديان ومكارم الاخلاق والعمل للدين والدنيا والتعاون على البر والتقوى »

ولو شئنا الاسترسال في النقل لما اتسع المقام لذلك. ولا شك ان اجماع كل هؤلاء العلماء على التنويه بفضل هذا التفسير فيه أنصع دليل على فوائده وما امتاز به من مادة غزيرة واسلوب الهداية مع سهولة في اللفظ تقربهُ من افهام العوام فضلاً عن المتعلمين . ولقد صدر من التفسير عشرة اجزاء كل جزء في مجلد كبير قائم بذاته ووضع لكل مجلد فهارس مرتبة على حروف المعجم لتسهل على الباحث الرجوع الى ما يشاء البحث عنهُ فهو أشبه بدائرة معارف اسلامية جامعة لاصول الشريعة الاسلامية وهداية المسلمين . فنثني على فضيلة مؤلفه ونحث القراء على اقتناء فوائده وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع الانشاء بمصر وثمن كل جزء منهُ ٢٥ قرشاً

رجال العلم ومكتشفاتهم

اصدر محرر هذه المجلة ترجمة « رجال العلم ومكتشفاتهم » المقرر بالانكليزية لطلاب البكالوريا في القسم العلمي ليكون عوناً لهم على تفهم الاصل الانكليزي

وهو يشتمل على ٢٣ فصلا تبدأ بروجر بايكون زعيم الاسلوب العلمي في البحث الذي ذاق في سبيله الاسر والعذاب ، الى غليليو ونيوتن وهرشل رواد علم الفلك الحديث بما كشفوه من النواميس وصنعوه من آلات . الى المجموعة الشمسية واعضائها الى الحيوانات وقصتها والبحر واحاديثه والنباتات واسرار تكوينها . الى الابطال الذين ماتوا الامرين وضحوا بحياتهم في سبيل مكافحة الامراض الاستوائية كالملاريا والحمى الصفراء ومرض النوم وغيرها . الى خالق طرق العلاج الحديثة جنر وباستور ومن تقدمها اوجرى في اثرها . الى الراديوم العنصر السحري الذي كشفته مدام كوري فكان مفتاحاً بيد العلماء يفتحون به مغاليق اسرار الكون

ولا يقتصر نفع هذا الكتاب على الطالب الذي يدرس الاصل الانكليزي فحسب ، بل انه كتاب جدير بان يطالعه الاحداث جميعاً وان يدرَّس في المدارس لما توخاه المؤلف والمترجم من ايراد الحقائق العلمية بمنهاج واضح وبيان جلي

الآداب العربية وتاريخها

بحسب منهج البكالوريا في الجمهورية اللبنانية ودولة سوريا الفخمتين تأليف جرجس كنعان مدير كلية الشرق في طرسوس واستاذ الآداب العربية فيها . ابتدأ الاستاذ الفاضل مؤلفه بمقدمة فصيحة أوضح فيها الدستور الذي وضعه نصب عينيه في تأليف كتابه وقفى ذلك بتوطئة مختصرة مفيدة في جغرافية بلاد واخلاق وعادات العرب وانتهى من هذا الى تمهيد عرف فيه الادب مرجحاً صدق نظر ابن خلدون في قوله عن الادب انه الاخذ من كل شيء بطرف ثم تخلص الى ما وصل الينا من الشعر الجاهلي وترتيب طبقاته فقال في صفحة ١٣ وقد قسَّم منهاج البكالوريا اللبناني هذا الشعر وشعراءه الى قسمين الشعراء الاقدمين واقتصر على شاعرين هما الشنفري والمهلهل وشعراء المعلقات ومن يلحق بهم . قال المؤلف وسنجري على هذا التقسيم . والكتاب في مختاراته وتوجيهاته من الكتب الوافية بأغراضها الصالحة لتوجيه نهاء الطلبة الى البحث والاقبال على ارتشاف مناهل الادب الصحيح

مطبوعات جديدة اخرى

ضاق نطاق هذا الجزء عن درس كل المطبوعات الجديدة التي تكرّم اصحابها باهدائها الينا فنذكرها هنا وسوف نعود اليها في الاعداد التالية

﴿ ذكريات باريس ﴾ وهي صُوَرٌ لما في مدينة النور من الصراع بين الهوى والعقل والهدى والضلال . بقلم الدكتور زكي مبارك دكتور في الآداب من الجامعة المصرية ومن جامعة باريس . ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة الاميركية . صفحاتهُ ٣١٩ قطع المقتطف بنط ٢٤ وقد طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر

﴿ الرسالة العذراء ﴾ لابراهيم بن المدبر صحّحها وشرحها وجعل لها مقدمة مفصلة باللغة الفرنسية موضوعها فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث الدكتور زكي مبارك . وهي جزء من الدراسات التي قدمها الى جامعة باريس لنيل شهادة الدروس الادبية العليا . صفحاتها ٥٢ بالقطع الكبير وصفحات المقدمة ٣٢ وقد طبعت طبعة ثانية بمطبعة دار الكتب المصرية

﴿ قصص وادب وفكاهة ﴾ كتاب بليغ متقن الطبع بالروتوغرافور على نسق كل ما تخرجهُ ادارة الهلال ، يشتمل على قصص مختارة وصفحات طريفة في الادب والفكاهة والنوادر . جعلتهُ ادارة الهلال الهدية الاخيرة من هداياها السنوية لمشتركيها . وهو في ١٤٤ صفحة من القطع الكبير محلاة بصور ورسوم كثيرة وثمنهُ ١٠ غروش

﴿ الدليل الثاني ﴾ مبادىء واصول في تعليم اللغة العربية وخلاصة مطالعات واختبارات غير قليلة بقلم الاديب الفلسطيني الكبير خليل سكاكيني

﴿ عَبَدَةُ الشيطان في العراق ﴾ مجموعة مشاهدات وتنبيهات شخصية في المذهب اليزيدي بقلم السيد عبد الرزاق الحسني . وقد طبع طبعة ثانية منقحة ومضاف اليها بمطبعة العرفان بصيدا

﴿ الصابئة قديماً وحديثاً ﴾ وهذه رسالة نفيسة بقلم السيد الحسني لها مقدمة بقلم احمد زكي باشا وقد طبعت بالمطبعة الرحمانية بمصر

﴿ البابيون في التاريخ ﴾ وضع الاستاذ الحسني هذه المقالة التاريخية لمجلة العرفان الصيداوية فنشرت فيها في المجلد العشرين سنة ١٣٤٩هـ ثم طبعت في رسالة مستقلة بمطبعتها

﴿ الانتدابات في العراق وسورية ﴾ بقلم محمد جميل بيهم وهو بحث عمراني اجتماعي سياسي اقتصادي تولاهُ المؤلف بنفسهِ في دار السلام وتطرق الى المقابلة بين احوال العراق والامصار العربية الاخرى . صفحاتهُ ١٣٧ قطع المقتطف بنط ٢٤ وقد طبع بمطبعة العرفان بصيدا

باب الأخبار العلمية

اختلاط السلالات وعظمة الامم

ليس اختلاط السلالات شرًّا كما يوهم رجال السياسة ودعاتهم . بل على الضد من ذلك قد يكون هذا الاختلاط منشأ للحيوية القومية ومصدراً للارتقاء . ولا يتطرق الانحطاط الى قوم الاّ اذا اوصدوا ابوابهم دون غيرهم واستقرُّوا على ما هم فيه

هذه هي خلاصة الرأي الذي دارت عليه خطبة الرآسة في مجمع تقدُّم العلوم الاميركي الذي عقد في الصيف الماضي بكاليفورنيا تحت رآسة الاستاذ بواس الانثروبولوجي المشهور واحد اساتذة جامعة كولومبيا. وعنده أن عظمة اسبانيا ازدهرت بعد فترة اختلاط السلالات فيها اختلاطاً عظيماً ، وانها بدأت تنحطُّ اذ استقرَّ شعبها على طراز معين وانقطع ورود المهاجرين اليها . وما هو حادث في اميركا الآن انما هو تكرار لما حدث في اوربا في العصور الخالية اذ اكتسح الكلتيّون غرب اوربا الى ايطاليا فاسيا الصغرى واذ هجرت القبائل الجرمانية ضواحي البحر الاسود الى ايطاليا واسبانيا. واذ انجه الصقالبة الى سهول روسيا في الشمال الغربي ، والى البلقان في الجنوب. واذ اكتسح العرب اسبانيا ، واختلط أرقاء الرومان بعامة الشعب ، واتسعت رقعة الاستعمار الروماني في بلدان البحر الابيض المتوسط. ثم ان زعماء الحياة الاوربية وثقافتها الآن انما هم نتاج هذا الاختلاط الواسع النطاق . وفي وسع الباحث أن يثبت ان ابناء البلدان الاوربية نشأوا من اصل خليط . بل ان سكان فرنسا والمانيا وايطاليا نشأوا من كل الاطرزة الاوربية الصريحة . ومن المتعذر ان ترد علة ايّ انحطاط فيهم الى التزاوج والاختلاط بينهم

اما الانحطاط البيولوجي فلا تقع عليه الاّ في البيئات المحصورة والجماعات التي يكثر التزاوج بين اسرها جيلاً جيلاً لما تنطوي عليه عترات الدم من مواطن ضعف في بناء الجسم فيشتدُّ فعلها بالتزاوج

وهذه الملاحظات في رأي الخطيب لا تتناول موضوع التزاوج والاختلاط من حيث اثرها في صحة بناء الجسم وحيويته، بين سلالات تختلف احداها عن الاخرى

من الوجهة البيولوجية اكثر من الاختلاف بين سلالات اوربا . اذ يصعب علينا الآن ان نأتي بالدليل الحاسم ، وانما اذا بنينا حكمنا في هذا على النتائج العامة التي نشهدها ، لم نرَ ما يشير الى ان هذا الاختلاط يفضي الى نتائج ضارّة ، في الاجيال الاولى او التي تلتها

حجم سديم الجبار وبعده

صرّح الدكتور ترمپلر (Trumpler) احد علماء مرصد لك أمام الجمعية الفلكية الاميركية الملتئمة في بالو ألتو ان بُعد السديم الكبير في كوكبة الجبّار ثلاثة اضعاف ما كان يُظنّ . وقد استعمل ثلاث طرق لتقدير بُعده فافضت به ثلاثتها الى ان بعده ١٨٠٠ سنة ضوئية . والسنة الضوئية كما لا يخفى هي المسافة التي يجتازها الضوء في سنة سائراً بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية . وبعد معرفة البُعد سهل تقدير حجم السديم . فهو يشغل من الفضاء رقعة لا يجتازها الضوء الا في ٢٦ سنة . ولكنه اذا قيس بالسدم العامية التي في المجرة كان من اصغرها

مكروب يكافح ابن عمه

من ابدع الوسائل التي استنبطها الطبُّ الحديث استعمال الملاريا لعلاج الشلل العام الناشىء عن مكروب الزهري . ذلك ان المصابَ بالشلل العام يحقن بطفيليات الملاريا فيصاب بها ، فتقضي الحمّى العالية التي يصاب بها على مكروب الزهري في دمه . فيشفى من الشلل ثم يعالج بالكينا وما اليها لشفائه من الملاريا . ولكن الملاريا داء وبيل فقد يستعصي شفاؤه ولا يندر ان يكون مميتاً

لذلك عني الدكتور فردريك ايبرسن (Eberson) والدكتور وليم مُسْمن (Moesman) من اطباء مستشفى جبل صهيون في سان فرنسيسكو ، بادخال مكروب لوبي الى دم المصاب بالشلل بدلاً من ادخال طفيليات الملاريا ، فيحدث هذا المكروب في الجسم حمّى عالية تفعل ضدّ الشلل العام فعل الملاريا الآن . وهذا المكروب لوبي غير مؤذٍ ، وهو ابن عم مكروب الزهري ، لانهما كلاهما من الفصيلة اللولبية (spirochete) فكأنّ هذين الطيبين يسلّطان المكروب على ابن عمه لمكافحته وقتله

والحمى التي يحدثها هذا المكروب السليم تستغرق سبعة أيام ثم تنتهي من تلقاء نفسها ولا تحتاج الى علاج ما . ثم اذا دعت الحاجة امكن احداثها ثانية بادخال هذا المكروب الى الجسم من جديد . أضف الى ذلك ان هذه المكروبات يمكن ازدراعها في انابيب زجاجية وحفظها الى حين الحاجة اليها . وهذا يسهل على الاطباء استعمالها . اذ لا يخفى انهم اذا احتاجوا الى طفيليات الملاريا وجب ان يتناولوها من دم مصاب بالملاريا او من دم مصاب بالشلل في حالة معالجته بها . وفي الحالين لا نأمن نقل مكروبات أدواء جديدة من مصاب الى سليم

علاج جديد للانيميا الخبيثة

ثبتت للاطباء فائدة الكبد النيئة او خلاصتها في علاج الانيميا الخبيثة ولكن بعضهم وصف اصابات بها لم تتحسن بهذا العلاج ووصف غيرهم اصابات تحسنت ثم اصيبت بنكسة اذا مضى الطبيب المعالج في تغذية المصاب بالكبد او حقنه بخلاصتها باتظام . ثم ظهر من عهد قريب ان نسيج المعدة ، ومعدة الخنزير على وجه خاص ، تفيد فائدة الكبد، وتتساوى المعدة المجففة والمعدة الجديدة في فعلها . ومن اعراض الانيميا الخبيثة التي لا تخطئ فقدان الحامض الهدروكلوريك من الصارة المعدية . فهذا جعل كاسل Castle يظن ان الداء سببهُ عدم افراز المعدة لعنصر يكوّن في الطعام مادةً مقاومة للانيميا ، او يكون هو نفسهُ مصدراً اساسيًّا لهذه المادة . ويؤخذ من تفاوير الباحثين ان المعدة المجففة تفعل فعل الكبد ، او هي اشدُّ فعلاً منها ، في علاج الانيميا الخبيثة لذلك عنيت شركة المقاقير الانكليزية British Drug Houses باعداد مستحضر قوي الفعل يدعى جاستر سيكاتا Gaster Siccata تؤخذ منهُ جرعة قدرها ٣٠ مليغراماً لمنع الانيميا الخبيثة وعشرة مليغرامات للاحتفاظ بصحة الدم . ومادة هذا المستحضر خالية من الدهن تقريباً ، لا طعم لها ولا رائحة ، واذا اذيبت في اللبن تكوّن منها سائل سهل التناول

تطبيق مبادئ اليوجنية

وضع المسيو الفرد داشير Dachert خطة لانشاء بلدة لا يقطنها الا ازواج يرجح انهم ينشئون اسراً سليمة الجسد والعقل . وفي سنة ١٩٢١ ادركت مدينة ستراسبورغ فائدة البحث العملي في هذا الموضوع ، فوضعت تحت تصرفه بقعةً من الارض ، فألّف شركةً وبدأ في بناء ١٤٠ بيتاً عليها ، جعل تصميم كلٍّ منها بحيث يوفّر على ربة البيت كل عمل غير ضروري . وكان لا بدَّ من ان يختار لغرضه ازواجاً في حالة صحية تامة ، وعلى جانب كبير من النشاط والحيوية والجمال وأن يكون كل زوج منها راغباً في تنشئة اسرة متوسطة . وللحال وضع نظاماً لاختيار هؤلاء الازواج بناء على تقديم الطلب ، ومقابلة الطالبين ، فزيارة الدور التي بنيت ، فالفحص الطبي الدقيق

والظاهر أن تجربة المسيو « داشير » قد أحرزت نجاحاً عظيماً ، فمعدل المواليد في هذا البلدة أعلى جداً منهُ في مدينة ستراسبورغ نفسها وحسن تصرف السكان يضرب به المثل

ولتحقيق الغرض من التجربة ، لا بدَّ من اخراج الازواج المصابين بالعقم واحلال غيرهم محلّهم ولكن هذا كان نادراً ، ففي أثناء تسع سنوات من القيام بهذه التجربة لم تضطرّ الشركة الا الى اخراج سبعة ازواج فقط

الكهارب وزرقة الجو

يرى الدكتور ولي كون (Cohn) أحد أساتذة جامعة برلين ان الكهارب المنطلقة من الشمس قد تكون سبباً في زرقة الجوّ، وقد أعلن هذه النتيجة بعد تجربة قام بها في معمل برلين اسفرت عن تولّد ضوء ازرق زرقتهُ قريبة جدًّا الى زرقة الجوّ

فقد كان الدكتور كون يجري التجارب بأشعة المهبط (السلبية — الكاثود) في انبوب مفرغ فجعل تيّاراً من الكهارب (وهو اشعة المهبط نفسها) ان يصطدم بدقائق كهربائية اكبر منها تدعى الايونات . فظهر الضوء الازرق حيث اجتمعت الكهارب بالايونات . والتعليل الذي يقترحهُ الدكتور كون لزرقة الجوّ، بناء على هذه التجربة، هو ان تيارات الكهارب المنطلقة من الشمس، تجتمع في طبقات الجوّ العليا بالايونات التي تتولّد من غازات الجو، فيتولد الضوء الازرق من اجتماعهما في الفضاء، كما تولّد في فضاء الانبوب المفرغ . ولا يريد ان يجزم بان هذا يعلل كلّ زرقة الجوّ وانما يريد ان يقول ان جانباً منها يحدثهُ هذا الاجتماع بين الكهارب والايونات

وقد مضى العلماء منذ عهد نيوتن الى عهدنا في محاولة تعليل زرقة الجوّ. ولعل أوفى تعليل لها باعتراف جماعة العلماء هو تعليل السر جون تندل واللورد رايله الانكليزيين. قالا ان سبب الزرقة تكسّر ضوء الشمس بطريقة خاصة، على ذرات كروية دقيقة في الهواء . على ان الدكتور كون لا يزعم بان رأيهُ الجديد يعارض ورأي تندل ورايله من حيث ضوء الشمس، وانما يقول ان نظريتهما تقتضي أن يكون ضوء الشمس مستقطباً . وان الضوء الذي تولّد في معمل كون لم يكن مستقطباً . وان جانباً فقط من ضوء النهار مستقطب والجانب الآخر غير مستقطب

علاج جديد للانكلستوما

الانكلستوما مرض استوائي سببهُ دودة معقوفة الفم (hookworm) توجد في الامعاء الدقاق وتمصّ الدم من جدران الاثني عشري فتحدث أنيميا شديدة . وهو كثير الانتشار بين فلاحي القطر المصري . وقد قرأنا الآن ان الدكتور ثيودر لردّ احد اساتذة مدرسة الميجين والصحة العامة في جامعة جونز هبكنز الاميركية صرّح أمام قسم الطب الاستوائي في المؤتمر الاميركي العام المنتظم في عاصمة المكسيك، ان علاجاً جديداً للانكلستوما قد كشف وهو المطهر المعروف باسم « هكسيلرزورسيفول » المركّب تركيباً صناعيًّا (بطريقة التأليف) . وقد وصف الدكتور لردّ اولاً خواص هذه المادة وبوجه خاص فعلهُ في قتل البكتيريا . فقد ثبت أولاً بالتجارب ان هذا المركّب الكيماوي من الوجهة البكتيريولوجية يفوق الحامض الكربوليك ٧٠ ضعفاً في قوة قتله للمكروبات وانهُ في الوقت

قصيراً لا يسمّ الانسان اذا تناوله. وقد مضت عليه بضع سنوات وهو مستعمل كمطهر عام، أو داخلي

ثم كشف الدكتور بول لامسن Lamson استاذ الصيدلة بمدرسة الطب بجامعة فندربلت الاميركية فعله الشديد في مرضى الانكلستوما والاسكاريا سس في اثناء بحثه عن العقاقير التي لا تضرّ متناولها. وهذا البحث كان تحت رعاية قسم الصحة الدولية في معهد روكفلر

ومرض الانكلستوما قديم ورد ذكره على ادراج المصريين القدماء. ويقال ان نصف سكان العالم الآن يقطنون بقاعاً منتشرة فيها عوامل هذا الداء. وملايين الناس مصابون به. راجع (خطبة الدكتور محمد خليل عبد الخالق في مقتطف مايو ١٩٣١ صفحة ٥٣٧ وكتاب المجمع المصري للثقافة العلمية صفحة ١٧٥ سنة ١٩٣١

ويقول الدكتور لنرد (Leonard) ان مشكلة الطب في اميركا فيما يختص بهذا المرض هي السيطرة على نوعين من الطفيليات الدودة المعقوفة الفم (اونسينا ريا)، ودود الاسكارس. فترا كلوريد الكربون وزيت الشينبوديوم دواء نوعي في مكافحة احد الطفيليين. ولكن معظم المصابين بالانكلستوما يكونون مصابين بالطفيليين معاً

اضف الى ذلك ان المعالجة بترا كلوريد الكربون تكون خطيرة احياناً فاذ هي تقتل الدودة المعقوفة الفم، تثير دود الاسكارس وتحملها على الهجرة من مكان الى آخر لتجنب فعل الدواء، فينتر عن ذلك اضطراب خطير في جسم الانسان

***

اما الدواء الجديد «هكسيلرزورسنول» فقتّال في قتل كلا الطفيليين، بل وفي قتل طفيلي ثالث من قبيلهما. وهذا الدواء سهل التناول لا يحدث رد فعل في الجسم، ويظهر انه فتّال (مائة في المائة) اذا اتبعت التعليمات في تناوله. وهو فتّال كذلك اذا كان مبلوراً موزعاً في حبوب مغلفة بالسكر. فاذا كان المصاب طفلاً في السادسة كفته جرعة منه قدرها خمس الغرام. واذا كان في الثانية عشر أو فوقها وجب تناول جرعة قدرها غرام واحد. ويجب تناوله على خلاء المدة ثم يجب الامتناع عن الاكل بعد تناوله مدة أربع ساعات

ولا يعلم الدكتور لنرد هل يكون هذا العلاج فتّالاً في الطفيليات الاوربية وغيرها فعله في الدودة الاميركية. والبحث في هذه الناحية قائم الآن في اليابان والصين وجزائر الفيلبين والهند وسيام ومصر وجنوب الولايات المتحدة الاميركية والمكسيك

فعسى ان يتم معهد الامراض المتوطنة في مصلحة الصحة بهذا الاكتشاف الخطير، ويجري تجاربه على انواع الانكلستوما التي تصيب المصريين وليس ما يمنع أيضاً تجربته لمعرفة فعله بسائر الديدان الطفيلية لا سيما البلهارزيا

امتحان الدم لمعرفة الوالدين

إذا وقع خلاف على نَسَب طفل، ففي يد العلماء الآن أداة قد تمكّنهم من الفصل في موضوع الخلاف. والتجارب الاولى التي أفضت الى استنباط هذه الأداة العلمية، تمّت في القطر المصري على يدي الدكتور طُدْ (C.Todd) والدكتور هويت (C.G.white) اذ أجريا تجاربهما في الماشية ثم استأنفها الدكتور طد في انكلترا في الطيور الداجنة

والطريقة قائمة على تفاعل الدم والاجسام الغريبة التي تدخل الاوعية الدموية. فاذا دخلت أوعيةَ الدم، مكروبات، أو كريات دم آخر، أو أي أجسام غريبة عن الدم، تولّدت فيه أجسام لمحاربتها. وهذه الاجسام تعرف لدى العلماء بـ « الاجسام المضادة » والمواد المستعملة في الوقاية من بعض الامراض مبنية على هذه الحقيقة

فاذا دخلت أوعية الدم كريات دم آخر هاجمها صنفان من الاجسام المضادة. أحدهما يحاول أن يحلّ الاجسام الغريبة ويعرف بالملزّن (تعريب شوشه) — والثاني يلبّدها ويعرف بالملبّد (ترجمة اجلوتنين) — وقد استعمل الباحثان الانكليزيان هاتين الطريقتين في مباحثهما، فالاولى استعملت في تجارب الماشية. والثانية في تجارب الدواجن

وجرياً على نتائج بعض المباحث السابقة وجد الدكتوران « طُدْ وهويت » ان الكريات التي تدخل دم حيوان معين تحدث تفاعلات مختلفة فيه اذا كانت من دماء حيوانات مختلفة. وان الكريات التي تؤخذ من دم حيوان من فصيلة الحيوان الذي تدخل في دمه، لا يسهل على الاجسام المضادة حلّها أو تلبيدها

ومفتاح الاكتشاف تمّ لهما لما وجدا انهُ في الامكان استنفاد المواد المضادة لجسم غريب معيّن في مصل الدم. ذلك انهما أخذا قدرًا من مصل دم، وأضافا اليه قدرًا كبيرًا من كريات دم آخر فخلت المواد المضادة هذه الكريات أو لبّدتها، ولكن لما زاد مقدار الكريات المضافة عن حدّ معيّن نفدت قوة الاجسام المضادة في مقاومة هذا الصنف من الكريات، ولكنها ظلّت محتفظة بقوتها على ابادة كريات اخرى أضيفت اليها من دماء حيوانات أخرى

بعد ذلك حضّر الدكتوران نموذجاً من مصل مركّب من مصول دماء حيوانات مختلفة وأضافا اليه كريات حيوان معيّن حتى استنفدا منهُ قوة الاجسام المضادة الخاصة بهذه الكريات. فأصبح هذا المصل المركّب بذلك قادراً على مقاومة الكريات من دم أي حيوان الا كريات هذا الحيوان المعيّن أو أقاربه الادنين. وفي حالة كريات الاقارب لا يكون الابقاء عليها تامًّا ولكن الاجسام المضادة لا تبيدها تماماً كما تفعل بكريات الحيوانات الغريبة

بدائع الصور الكسي — غورلاً وابنها

اذن يحضّر مصلٌ مركّب من هذا الفيل يضاف اليه من كريات صوص معيّن مثلاً مايستفد الاجسام المضادة فيه الخاصة بكريات هذا الصوص ، ثم تضاف كريات ديك نظنهُ والد الصوص، فاذا لم تبدها الاجسام المضادة الباقية ثبت لنا ان هذا الديك هو والد الصوص

اكتشاف بكتيريولوجي خطير

اثبت الدكتور ارثر كندل Kendall احد اساتذة مدرسة الطب بجامعة نورثوسترن الاميركية انهُ اذا غذيت المكروبات بالبروتينات البشرية انقلبت اطوار حياتها فيظهر منها ما كان خافياً ويخفى منها ما كان ظاهراً . ويحسب هذا الاكتشاف اعظم خطوة خطاها علم البكتيريا من عهد باستور لانهُ يشير الى ان معظم المكروبات — بل كلها — يتحول من ظاهر الى خفي او من خفي الى ظاهر بحسب الاغذية التي تغذيها بها

فقد كان من المتعذر حتى الآن ان نزدرع مكروبات خافية مثل مكروبات الانفلونزا والجدري والحصبة خارج الجسم الحيّ . والاستاذ كندل يعتقد ان السبب في ذلك ان الباحثين في المعامل البكتريولوجية كانوا يغذونها بالغذاء الذي لا يلائمها. فمعظم الاغذية المكروبية كان المرق او الهلام او غيرها محتوية على المواد التي تنشأ من انحلال المواد البروتينية . ولكن في جسم الانسان والحيوان ، وهو مرتع المكروبات ، لا يوجد شيء من هذه المواد . فالمكروبات هناك تتغذى بالبروتينات في حالتها الطبيعية

فقد حضّر الاستاذ كندل غذاء بروتينيًّا خالصاً بأن أخذ قطعاً من المخ الدقاق من اجسام الانسان والكلب والخنزير والارنب وبعد ما عالجها علاجاً كيماويًّا لكي يزيل منها كل المواد التي تنشأ من انحلال بعض البروتينات فيها حضّر منها مزدرعاً نظيفاً من الشوائب . ثم اخذ قطرة دم من مصاب بالانفلونزا وزرعها في هذا المزدرَع البروتيني فتكثّر صفوهُ مما دلّ على تكاثر المكروبات فيه . فاخذ قطرات قليلة من هذا المزدرَع المكثر وحقن بها ارنباً فاصيبت بكل اعراض الانفلونزا ثم نقل الاستاذ كندل قطرات من مزدرعه المكثر (ويدعوه مزدرَع K) الى المزدرَعات المكروبية القديمة فنمت فيها طوائف كثيرة من مكروبات كروية دقيقة . ويظهر ان هذه هي مكروبات الانفلونزا

وبعد ما فاز كندل في اظهار مكروب الانفلونزا الخفي عالج غيره فنجح باظهار مكروب شلل الاطفال ، ومكروب الحمى القرمزية وكلاهما من فصيلة الستربتوكوكس ثم اظهر بانسلس الحمى التيفودية وبانسلس الحمى البارا تيفودية ومكروب التسمم والمكروب الموجّ الذي وجدهُ الدكتور لفوني في دم المصابين بالحمى الصفراء . وقد اخذ يميل الى الاعتقاد ان كل البكتيريا تحيا حياة مزدوجة، جانبٌ منها خفيٌّ وجانب منها ظاهر

يوم البعوض

في ٢١ اغسطس الماضي أديت مأدبة فاخرة في معهد رس للامراض الاستوائية ، قرب لندن ، للاحتفال بذكرى اليوم الذي تمكن فيه السير رونلد رُسّ من العثور على طفيليات الملاريا في جدران معدة البعوضة المعروفة بالانوفيليس في سنة ١٨٩٧

أما قصة متاعب رُسّ وإبمانه الذي لا يقهر وشجاعته فمن اروع القصص في تاريخ الشعب البريطاني . كان امامهُ سبيلٌ واحد ممكناً ، وهو ان يمضي في تشريح البعوض تحت عين المكرسكوب حتى يفوز اخيراً بالعثور على طفيلي الملاريا . هذا عمل كان يتطلب قوة عشرة جبابرة وصبر كثيرين من امثال ايوب . وكان على رُسّ ان يشتغل في حر استوائي من دون نسيم البتة « مروحة الحيش » الطويل لانهُ ينثر قطع البعوض التي على مائدته . وكان عليهِ كذلك ان يقضي نحو ساعتين في تشريح كل حشرة وفحصها ، في حين ان اقاربها الاحياء كانت تزاحمه من غير مهادنة . والمتود الذين كانوا على وشك ان يستفيدوا من مكتشفاته اكثر من اي شعب في العالم ، كانوا ينظرون اليهِ شزراً ، يتوهمون فيهِ السحر ، وكانوا يترددون في مدّ اصابعهم لوخزها لكي يأخذ دمهم لامتحانه ، على انهُ كان يفحمهم بمبلغ حاسم في نظرهم ، وهو نحو ريال لكل وخزة

واخيراً ، في ذلك اليوم الخالد ، يوم ٢٩ اغسطس ، اي من نحو ٣٤ سنة مضت ، العدوّ الذي خرج لقتاله . في ذلك اليوم رأى رونلد رُسّ ، على جدران غرفته بعوضة من صنف لم يمتحنهُ قبلاً فقبض عليها وكانت من فصيلة تعرف بالانوفيليس — والاسم يطابق المسمّى لان انوفيليس باليونانية معناها « المؤذي » او « الضار » — . ثم بعيد ذلك جاءهُ احد جامعي البعوض بنحو ١٢ بعوضة من الصنف نفسهِ في زجاجة . فوضع البعوضات واحدة اثر واحدة تحت المكرسكوب وشرحها ، ميكروناً ميكروناً (الميكرون هو جزء من الف جزء من المتر) ولكنهُ لم يجد شيئاً جديداً ، يسترعي الانتباه . حتى وصل الى البعوضة الاخيرة . وهنا ترك الكلام للمكتشف ، يقص نهاية بحثهِ الاخاذة بكلامهِ هو : —

« كان التشريح تامًّا . ففحصت الانسجة بعناية ، بعدما صارت معروفة لديَّ باحثاً في كل ميكرون بنفس اللهفة والعناية اللتين يبحث بهما في قصر خرب عن كنز مدفون . لا شيء اكلاً ان هذه البعوضات الجديدة سوف تخيبني . فلا بدَّ . من خطاء في النظرية — ولكن لسيج المعدة لم يفحص بعد . رأيتهُ ملقى هناك فارغاً رخواً ، على شريحة زجاجية ، وهو امتداد فسيح ابيض من الخلايا كدار كبيرة مبلطة ، وكل خلية بجيب

ان تمتحن بدقة . عمل نصف ساعة على الاقل. كنت تعباً وما الفائدة من البحث. واظن انني كنت قد فحصت اكثر من الف بعوضة قبل ذلك

«ولكن ملاك القدر وضع لحسن الحظ يده على رأسي ، فرأيت امامي دائرة صافية قطرها نحو ١٢ ميكروناً . كانت جلية اكثر من العادة ، والخلية اصغر من ان تكون خلية عادية في معدة بعوضة ، فحدقت قليلاً . ها هي خلية اخرى ، تشابه الاولى كلَّ الشبه . كان الجو حاراً نسبياً ، واذكر انني وسعت فتحة الميكرسكوب لاستجلاء الاشباح. ثم غيرت ضبط المسمة وفي كل من هذه الخلايا وجدت مجموعة من حبيبات صغيرة سوداء كالحبر »

هذه كانت خلايا ملارية . وبعد يوم رؤيت وقد كبر حجمها . ومن ثمَّ ، تتبع رُس دورة طفيلي الملاريا ، درجة درجة ، من معدة الانوفيليس ، الى مصّه (وهو كالخرطوم) وبه يدخل الى مجرى الدم في قرائس البعوضة، اي الذين تلسعهم

السكر لمرضى البول السكري

يؤخذ من نتائج احدث الباحث في مرض البول السكري (الدبابيطس مليتس) ان المصابين به يستطيعون ان يتناولوا أغذية سكرية ونشوية اذا ازيل منها الدهن

وهذه الطريقة التي تخالف ما هو مجمع عليه بين اطباء اليوم ، استعملها الدكتور رابينوتش (Rabinowitch) أحد أطباء مستشفى منتريال العام (كندا) فأسفرت عن نجاح باهر

وقد سرد نتائجها في رسالة تلاها أمام أعضاء الجمعية الاميركية الكيماوية التي التأمت حديثاً في مدينة بفلو بالولايات المتحدة الاميركية

وقد اكد الدكتور المشار اليه الى ان داء الدبابيطس مليتس ليس لهُ علاج بالمعنى الصحيح . وكل ما تستطيعهُ طرائق العلاج الحديث هي إيقاف سير الداء وإطالة عمر المصاب به . وقد وُجدَ ، بعد اكتشاف الانسولين ، ان غذاءه مؤلفاً من العناصر اللازمة ، وخالياً من العناصر الضارة ، يكفي لايقاف سير المرض في معظم الاصابات

وكان الاستاذ مكلم الفسيولوجي الكندي المشهور ، وأحد زعماء البحث في الانسولين، قد اورد الادلة الفسيولوجية على ان المواد التي تتألف من انحلال الدهن في الجسم أشدُّ ضرراً بمريض البول السكري من المواد التي تتكوَّن من انحلال السكر . وإذن فالمنطق يحكم بتدبير غذاء للمصاب تحذف منهُ الادهان جميعها ، وهذا ما فعلهُ الدكتور رابينوفتش. ويظهر من خلاصة رسالته التي نشرت في مجلة « الرسالة العلمية الاسبوعية » ان النتائج التي اسفرت عنها تبشر بالنجاح

أكبر بلونات العالم

يبني الاميركيون بلوناً ضخماً ليكون في خدمة بحريتهم ، وقد احتفلوا في أوائل أغسطس الماضي باطلاق اسم « اكرون » عليه ، وينتظر أن يبدأ تجاربهُ قبل وصول هذا العدد من المقتطف الى قرائه

سعة هذا البلون ٦٥٠٠٠٠٠ قدم مكعبة ، فحجمهُ ضعف حجم البلون « غراف زبلين » ويبلغ طولهُ ٧٨٥ قدماً وأطول قطر ١٣٢ قدماً وتسعة أعشار القدم . وهو ممتلئ بغاز الهليوم الذي لا يلتهب ، وفي استطاعته أن يرفع من الركاب والملاحين والبضائع ما وزنهُ ١٨٢٠٠٠ رطل أو نحو تسعين طناً أما محركاتهُ فتولد ما قوتهُ ٤٤٨٠ حصاناً وهذه القوة تمكن البلون من بلوغ سرعة ٨٤ ميلاً في الساعة . فاذا سار بسرعة خمسين ميلاً أمكنهُ أن يقطع ١٠٥٨ ميلاً من غير أن يحتاج الى تجديد وقودهِ

ومن الاشياء التي يمتاز بها هذا البلون ان آلاتهِ داخل هيكلهِ وانما مراوح المحركات خارجةٌ وذلك لتقليل مقاومتهِ للهواء . ثم ان له مكنفاً خاصاً يستعيد من الغازات الناتجة عن الاحتراق ما يستعمل لتعويض ما يفقده البلون من الثقل باحتراق الوقود . ولهُ كذلك سطح خاص لنزول الطيارات الصغيرة عليهِ وقيامها منهُ وهو معلّق في الجوّ . وينتظر أن يجهز بمدافع سريعة الانطلاق

حول الارض بالطيارة

في مساء اليوم الذي صدر فيهِ مقتطف يوليو الماضي (أول يوليو) وصل الى نيويورك الطيارانِ الاميركيان بوست وغاتي بعد ما طارا حول الارض في تسعة أيام . وكان خطُّ طيرانهما دائرة صغيرة في نصف الكرة الشمالي طولها نحو ١٦٠٠٠ ميل . وأطول مسافة قطعاها في يوم واحد كانت ٢٥٠٠ ميل إذ طارا من بلدة خبارفسك بسيبريا الى بلدة سلون في الاسكا مجتازين مضيق بهرنغ الفاصل بين طرف اميركا الشمالي الغربي وطرف آسيا الشمالي الشرقي . وقد هلّلت الصحافة اليومية وكبّرت لهذا الفتح المجيد ودعت رحلتهما رحلة حول الارض . وفي هذا خطأ اذا تجاوزنا عنهُ في الصحف اليومية لم نتجاوز عنهُ هنا . فان طيرانهما حول الارض في دائرة كبيرة أي حول خط الاستواء مثلاً يجعل المسافة التي يجب قطعها ٢٤ ألف ميل . وأما الدائرة الصغيرة التي طاراها فطولها ١٦٠٠٠ ميل فقط كما تقدم . ولكن هذا لا ينقص من قيمة عملهما كمغامرة تستدعي الصبر والجَلَد وحضور الذهن . على أن اتمام الرحلة في طيارة بنيت خاصة لرحلة طويلة سريعة لا يعني ان اتمامها على وجهٍ تجاري مستطاع ، ولا ان اعادتها بما فيهِ تعريض النفوس للخطر مستحسنة . ولكنها في الوقت نفسهِ شهادة بتقدم هندسة الطيارات وصناعة محركاتها

سباق كأس شنيدر ومعانيه

جاك شنيدر من رجال الطيران والالعاب الرياضية المشهورين في فرنسا. صنع سنة ١٩١٢ كأساً من الذهب والفضة والبرنز قيمتها نحو الف جنيه وجعلها جائزة دولية يفوز بها السابق في سباق للطيارات المائية يقام كل سنة او سنتين . والغاية منها ترقية الطيارات البحرية وزيادة سرعتها باذكاء نار المزاحمة بين الامم المختلفة . وقد تحققت غايتهُ كما ترى من الجدول التالي وفيه اسماء الفائزين بهذه الجائزة النفيسة والامة التي ينتمون اليها وسرعتهم في السباق الذي تفوّقوا فيه والسنة التي تفوقوا فيها

السنة	الاسم	جنسيته	السرعة بالاميال
١٩١٣	بروفو	فرنسي	٧٥و٤٥
١٩١٤	بكستن	انكليزي	٧٥و٨٦
١٩٢٠	بولوتا	ايطالي	١٢و١٠٧
١٩٢١	ده بريناتي	ايطالي	٨٤و١١٠
١٩٢٢	بيارد	انكليزي	٦٢و١٤٥
١٩٢٣	رتهوس	اميركي	٣٨و١٧٧
١٩٢٥	دولتل	اميركي	٥٧و٢٣٢
١٩٢٦	ده برناردي	ايطالي	٤٩و٢٤٦
١٩٢٧	وبستر	انكليزي	٦٥و٢٨١
١٩٢٩	اتشرلي	انكليزي	٦٣و٣٢٨
١٩٣١	بوثمن	انكليزي	٠٨و٣٤٠

فكان ميعاد السباق هذه السنة في الساعة الثانية عشر والدقيقة الثلاثين من يوم ١٢ سبتمبر الماضي ولكن اضطراب الجو حمل القائمين به على تأخيره الى اليوم التالي . ولما كانت فرنسا وايطاليا قد انسحبتا من المباراة في آخر ساعة لم يبق على الانكليز الاّ أن يطير أحدُ طيّاريهم المسافة المعينة وهي ٣٥٠ كيلو متراً لكي يفوزوا بالكأس للمرة الثالثة المتوالية ، فتصبح ملكًا توميًّا لهم . واذا كان الجوّ صحواً في يوم الاحد ١٣ سيتعبر طيار الملازم بوثمن بطيارة سوبرمارين S 6 B المجهزة بآلات رولزرويس فتقطع المسافة وهي في شكل مثلث بسرعة متوسطها ٠٨ر٣٤٠ في الساعة

ثم حاول الطيار ستاينفورث أن يبلغ بطيارته البحرية أقصى سرعة بلغها الطيارون فطار أربع مرات فوق مسافة طولها ثلاثة كيلو مترات فبلغ متوسط سرعته ٠٥ر٣٧٩ في الساعة وبلغت سرعتهُ في إحداها ٦٧ر٣٨٨ في الساعة . وقد قرأنا ونحن نكتب هذه السطور ان هذا الملازم نفسهُ أعاد كرتهُ على قصب السرعة فطار كذلك أربع مرات فوق مسافة طولها ثلاثة كيلو مترات فبلغ متوسط سرعته ٤٠٨ أميال في الساعة وبلغت سرعتهُ في احداها ٤١٥ ميلاً في الساعة

***

ان الطيران بسرعة أربعمائة ميل في الساعة أشدُّ خطراً من ان يستعمل لاغراض النقل والانتقال العادية . فالسيطرة على هذه الطيارات السريعة تتعذّر اذا قلّت سرعتها

عن مائة ميل في الساعة ، مما يجعل الطيران بها صعباً جداً ، دع عنك محاولة النزول بها الى مطار مكتظ بالطيارات . فان نزولها على أي سطح ، غير سطح مائي وعر ، ينطوي على خطر كبير . ثم ان هناك مسألة الحمل الذي تستطيع طيارة من هذا القبيل أن ترتفع به الى الجو . فالطيارات التي تتبارى في سباق كاس شنيدر ليست اكثر من آلات مجنحة حذف منها كل شيء إلا محمد غير مروح للسائق ، لتقليل مقاومة الهواء ابتغاء للسرعة . فاذا استطاعت الطيارة ، لشدة قوتها ان ترتفع حملاً ما ، لم يوجد مكان فيها يتسع له . يقابل ذلك أن المهندسين الذين انشأوا هذه الطيارات أنشأوا كذلك طيارات النقل ولكنهم ضحوا فيها بسرعة الطيارة (قلما تزيد سرعة طيارة النقل والاتقال على مائة ميل في الساعة) لتدبير مقاعد مريحة للركاب ومكان لأمتعتهم

وزير ورئيس جمعية فلسفية

انتخب السر هربرت صموئيل وزير الداخلية البريطانية في وزارة مكدونلد الوطنية رئيساً لمعهد الفلسفة البريطاني خلفاً للورد بلفور وينتظر أن يكون بين خطباء المعهد في الفصل المقبل السر جيمز جينز الفلكي الرياضي المعروف والاستاذ الكسندر أستاذ الفلسفة في جامعة منشستر والاستاذ هولدين البيولوجي المشهور

مراجع الدكتور عبد الخالق

الدكتور محمد خليل عبدالخالق بك من طراز العلماء الذين تفاخر بهم الامم . فهو باحث مدقق منقطع الى قرعه في شجاعة وهدوء . وهو علاوة على ذلك مستنبط لمستحضر الفؤادين المستعمل في علاج البلهارزيا . وقد قرأنا في مجلة نايتشر العلمية عن مؤلفه الضخم الذي جمع فيه كل المراجع العلمية التي تتعلق بموضوع البلهارزيا من كل وجوهها مبوبة تبويباً علمياً في ما يزيد على ٥٠٦ صفحات وهي قسمان احدهما فهرس باسماء المؤلفين يملأ ٢٣٢ صفحة والآخر فهرس بالموضوعات . وقد قالت نايتشر ان جمع هذه المراجع عمل كبير يعود بالفخر على المؤلف ومديري الجامعة (مدرسة الطب المصري) ومطبعة بول باريه بمصر

سلحفاة ذات رأسين

وجد المستر باركر احد سكان غلوسيستر قبل بفلوريدا من اعمال الولايات المتحدة الاميركية في أحد المستنقعات سلحفاة ذات رأسين . وكلا الرأسين كامل التكوين سوية ، ينظر ويسمع ، ويأكل ويشرب ، وينام ويتنفس ويتحرك على حدة . ولكل من الرأسين عنقه واسنانه وأما فيما عدا ذلك فالجسم جسم سلحفاة واحدة ويؤخذ من الصور التي صورت باشعة اكس ان لها معدة واحدة كذلك

فلسفة السعادة في الحضارة الحديثة

تابع المنشور ص ١٥٢

وليذكر الافراد الموهوبون ان الرأي العام والكلاب سواء ، وأنت حين تلتفت الى الكلب يزداد نباحاً وصراخاً فاذا أهملته التزم الصمت وعاد كلباً بعد أن استأسد

قلنا ان المدنية حملت معها أسباب التباين والاختلاف ، وبالتالي أسباب عدم السعادة عند البعض من جراء التصادم والتنافر ، ونريد أن نذكر ان هذه المدنية نفسها هي التي حملت معها علاج هذا الرأي ، ان أحسن الناس الاستفادة منه

حين كان المرء بالامس يتنافر في آرائه مع أفراد أسرته أو عشيرته من أهل القرية أو المدينة لم يكن من السهل أن يجد لهُ وسطاً آخر فيه جو يتساوق وما يأخذ به من الآراء والمعتقدات

أما اليوم حين أجد أنا ان جماعتي متنافرة في أفكارها مع أفكاري فليس أسهل عليَّ من أن أجد لنفسي وسطاً آخر اطمئن اليه ويطمئن هو إليَّ دون حاجة الى الزوج وهجران الاوطان ، فالمواصلات ربطت أنحاء العالم بعضها ببعض

نفهم من هذا ان الوسط الاجتماعي اليوم تعدى حدود العائلة ، وحدود القرية أو المدينة فاصبح أعم من ذلك ، فهل ترى ان الفرد تخلص بذلك من سلطان الاقلية الظالمة ؟

والصحافة ... ماظنك بها ؟ عائلة الامس والمدينة والقرية ، أعني أقلية أمس وشدة تحكمها وسلطانها بالافراد والجماعات انتقلت اليوم الى الصحافة . فايتق رجال القلم ربهم في كل ما يكتبون

وجوب انشاء متحف للتاريخ الطبيعي

تابع المنشور في الصفحة ١٥٨

فتخرج منها ضباب هائلة وفيلة هائلة واسماك تقطن الماء بيوضة وولودة ، وبرمائيات استحوذت بسلطانها على البر والماء ، مقعدات وغير مقعدات ، وطيور لها من صفات الزواحف القديمة اكثر مما لها من صفات الطيور في هذا الزمان ، وذوات ثدي موحدة المخارج ، ثم قوارض ثم سباع ثم ميامين ثم قردة عليا تمت الى الانسان او تمت اليها الانسان بأكبر الاسباب . تاهيك بعالم الحشرات ما انقرض منهُ وما بقي ، ثم بعالم النبات ما علم منهُ وما خفي ، ثم بأحياء الزمان الحاضر وضروبها وانواعها واجناسها وفصائلها وسرائبها وقبلها ثم عمالكها وعوالمها . وهنالك ترى ان عصا العلم قد استقوت على عصا السحر ، اذ تمرض عليك تاريخ الكون من السديم والحواء ، الى المادة والنظام ، ومن الخلية الحية الى الانسان ، وتطوف بك في ساعات ، على ما كدّت الطبيعة في ابرازه الى عالم الوجود الملايين ثم الملايين من السنين

الجزء الثاني من المجلد التاسع والسبعين

صفحة
١٢٩ المذاهب الكونية الجديدة . للسر جيمز جينز (مصوَّرة)
١٣٤ مبدأ قوة الحياة . في فلسفة برنارد شو (مصوَّرة)
١٤٠ التجربة التي قضت على الاثير . لشارل مالك (مصوَّرة)
١٤٨ فلسفة السعادة في الحضارة الحديثة . لبرتراند رسل
١٥٣ وجوب انشاء دار للتاريخ الطبيعي . للاستاذ اسماعيل مظهر (مصوَّرة)
١٥٩ قبل الزلزال . (قصيدة) لالياس ابو شبكة
١٦٢ فراداي (مصورة)
١٦٧ امير اموي من سلالة مسيحية . للعلاَّمة بارتولد
١٧٧ حيرة . (قصيدة) للاستاذ محمود ابو الوفا
١٧٨ مجدو وآثارها . لنقولا زيادة
١٨٦ الدمقراطية والخبراء
١٩١ علاج داء ادمان المخدرات . للدكتور فرًا
١٩٦ منعوك . (قصيدة) لحسن كامل الصيرفي
١٩٨ امين الريحاني يستقبل جبران ويودعهُ
٢٠٤ هل الانتحار حق او جريمة . لابن طفيل
٢١٢ اشعة اكس تتلف ثمارها
٢١٦ التطور الاجتماعي والسياسي الحديث . للدكتور شهندر
٢٣٤ الحلية النباتية وتركيبها السيتولوجي . للدكتور سيد خربوش

٢٣٠ مكتبة المقتطف ١٣ صفحة
٢٤٣ بلا الاخبار العلمية ٥ وفيه ١٨ نبذة